

لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي
المتوفى سنة ٤٢٧ هـ

أشرف على إخراجه

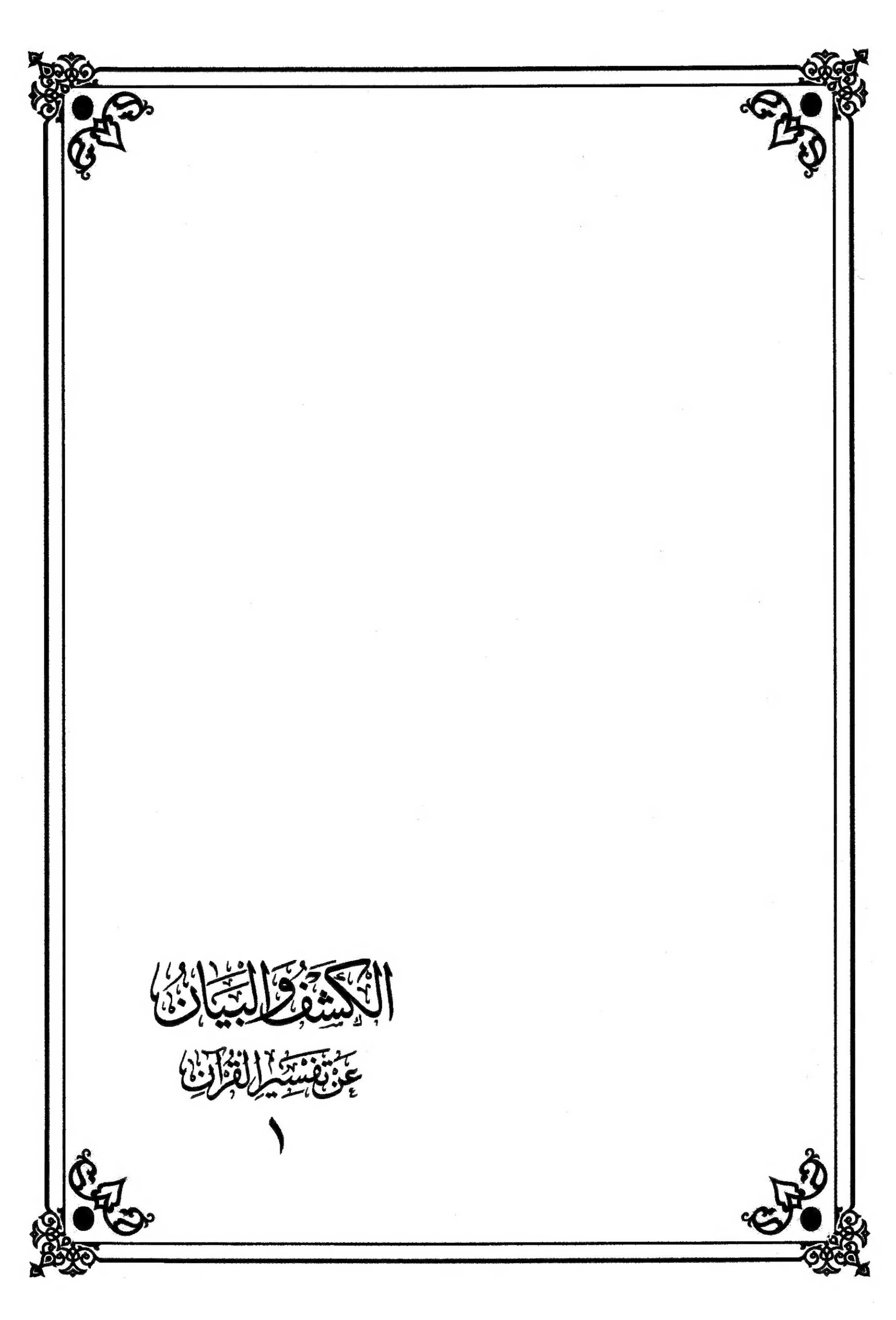
د/ صلاح باعثمان د/ حسن الغزالي د/ زيد مهارش د/ أمين باشه

المجلد الأول
مقدمة التحقيق



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾



الكشف والبيان

عن تفسير القرآن

١

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥١٤١ / ٢٠١٣

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



جدة - المملكة العربية السعودية
شارع محمود نصيف - حي الأندلس

ص ب ١٢٢٤٩٧ جدة ٢١٣٣٢

تلفاكس ٦٦٨٨٨٢٣ - ٠١٢


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة اللجنة العلمية
المشرفة على إخراج الكتاب

الحمدُ لله الذي شَرَحَ بكتابِهِ الصدور، وأخرجَ بنورِ هدايته عباده من الظلماتِ إلى النّور، فأنار بتلاوته بصائرهم، وهدى بشرعه حائرهم، وكتب الفوز والنجاة لمن صلحت بهدايته سرائرهم، وجعله لعباده فرقاناً بين الحق والباطل، فمَنْ أقامَ أحكامَهُ واتخذه إمامَهُ صلحت له دُنياه وآخرته، ومن تنكبه وجعله خَلْفَ ظهره خاب وخسر وضل سعيه؛ إذ القرآن حجة الله البالغة، ومعجزته الخالدة، تحدى الله به الفصحاء فألجموا، واسمعه البلغاء فأفحموا، شهد له أعداء المُنزل عليه بالحلاوة، ولروعة بيانه بالطلاوة، ومباينته للسحر والرجز والكهانة، لا تنقضي عجائبه، فهو للقلوب شفاء، وللإبصار ضياء، وللظمآن رواء، ولا يعكره ورْد الواردين، ولا يخلق على كثرة الرد. والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على رسول الله وخيرة خلق الله محمد البشير النذير، والسراج المنير، من أرسله ربه رحمة للعالمين، وحجة على السالكين، وأيده بالذكر الحكيم، فبينه أكمل بيان، انقياداً لأمر ربه له بقوله: ﴿وأَنْزَلنا إليكَ الذِّكْرَ لتُبيّنَ للنَّاسِ ما نُزِّل إليهِم﴾ [النحل: ٤٤]، فنقل عنه أصحابه ذلك البيان، وتناقله وُعاة العلم جيلاً إثر جيل، وطبقة بعد طبقة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء،

ورفع درجاتهم في عليين، وحشرنا معهم في زمرة العلماء العاملين والنصحة لدين الله وكتابه المبين الذين هم أهل الله وخاصته.

أما بعد: فإن كتاب "**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**" لأبي إسحاق الثعلبي المتوفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة من الهجرة النبوية، كتاب من كتب التفسير بالمأثور؛ إذ أودع فيه مصنفه ما أخرجه الأئمة المتقدمون مما جمعوا في التفسير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآثار الصحابة والتابعين كل ذلك بإسناده إلى قائله رفعاً أو وقفا، والحق أنه عمل صعب عسير لا ينقاد إلا لأمثال الثعلبي في غزارة علمه، وسعة إطلاعه واستقصائه، مع ذهن متوقد، وذاكرة وحفظ وإتقان، حتى صار لمن بعده مرجعًا؛ ومن ثَمَّ تبرز أهمية تحقيق هذا السفر المبارك، تحقيقاً يليق بمقام المؤلف والمؤلف.

ولما لم يكن هذا الأمر بالسهل اليسير في بدايته، كانت الخطوة الأولى هي البحث في المؤسسات الأكاديمية عمن قام بتحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً رصيناً فوجدنا أن جامعة الأزهر وفي كلية أصول الدين والدعوة قام قسم التفسير وعلوم القرآن بتحقيق أجزاء من التفسير لكن لم يتم إكمال التحقيق - في حينه - نظراً لأن النسخة الموجودة بدار الكتب المصرية فيها أجزاء مفقودة فتوقف المشروع، بينما الكتاب قد حقق تحقيقاً علمياً كاملاً في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، فاتجهنا إلى هذا التحقيق المبارك، وتم الاتصال بأصحاب الفضيلة الباحثين أصحاب الرسائل الجامعية وأخذ موافقاتهم على المشروع، ومنذ ذلك الحين تم تشكيل لجنتين:

الأولى: **لجنة إشرافية متخصصة** قامت بوضع منهج علمي لتنسيق الرسائل وإخراجها في شخصية كتاب واحد والإشراف على تنفيذ هذا المنهج وذلك بعد النظر في التجارب العلمية المماثلة والإفادة منها، والتشاور مع العلماء المبرزين في هذا الفن.

ويتمثل منهج الإخراج والتنسيق في الضوابط التالية:

١- أن توضع الرسالة كاملة كما هي لاعتبارات الجهود الأكاديمية.

٢- حذف فروق النسخ التي لا داعي لها وليست لها فائدة علمية.

٣- توحيد الرموز للمخطوطات التي اعتمد الباحثون عليها.

٤- تحويل الآيات القرآنية من الرسم الإملائي إلى الرسم العثماني.

٥- ترجمة رجال الثعلبي ورواته وتخريج الآثار بما يكفي للحكم عليها.

٦- بيان الغريب والتعريف بالأماكن والبلدان.

٧- اعتماد تصدير الحديث بالحكم عليه، ثم الحكم على الإسناد.

٨- حذف المكرر من التراجم والتخريج، وغير ذلك مما لا يمس بالجهد الأكاديمي.

٩- نقل جميع التراجم في مجلد مستقل في آخر البحث مع الفهرس.

١٠- المراجعة الإملائية واللغوية للنص والتحقيق.

١١- الترويس لاسم السورة والآيات مع وضعها بلون مختلف عن متن الكتاب وكذلك هوامش الكتاب بما يخرج الكتاب في صورة أنيقة.

١٢- أن يكون مقياس التخريج الأوسع لمن قام بذلك من الباحثين وسوف يستكمل ما هو دون ذلك قدر المستطاع من اللجنة التنفيذية.

١٣- توحيد مصادر الكتاب في التحقيق في الطبعات وسنة الإصدار.

الثانية: لجنة تنفيذية قوامها مجموعة من المحترفين مهمتها تنفيذ مرئيات اللجنة العلمية في إخراج الكتاب وفق المنهج السابق.

وبعد البحث والتأمل في الدار المناسبة التي تتولى إخراج هذا العمل في عدة دول عربية وقع الاختيار على

دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإدارة الأستاذ/ خالد الرباط

بمدينة الفيوم بجمهورية مصر العربية، وقد بذل الباحثون والفنيون بالدار جهداً كبيراً، فجزاهم الله خيراً.

وقد شجعنا على التعاون مع هذه الدار خوضها لتجربة مماثلة وهي إخراج مجموعة رسائل علمية في تحقيق تفسير الإمام الواحدي «البسيط».

وزيادة في الحرص على رفع مستوى جودة العمل تم تشكيل لجنة من الأكاديميين المتخصصين في اللغة والتفسير والحديث لمراجعة هذا العمل مراجعة إضافية ومنهم الدكتور عبد الحق بن حمادي الهواس.

والجدير بالذكر أن هذا المشروع الضخم قد اعترضه بعض العقبات التي يسر الله تجاوزها ومنها:

١- تواجد عدد من الباحثين أصحاب الرسائل خارج المملكة بعد تخرجهم من الجامعة وعدم معرفة عناوينهم مما استغرق وقتاً طويلاً للتواصل معهم.

٢- الاضطرار إلى إعادة كتابة أكثر الرسائل العلمية نظراً لعدم وجود نسخ الكترونية لبعضها، وعدم صلاحية بعضها الآخر مما تطلب

وقتاً ليس بالقصير.

٣- الأوضاع المضطربة التي عاشتها جمهورية مصر العربية بعد قيام ثورة ٢٥ يناير مما أدى إلى إعاقة العمل زمناً طويلاً.

ومما يحسن ذكره ويجمل أن فضيلة الدكتور صلاح بن سالم باعثمان هو صاحب فكرة إخراج هذه الرسائل في صورة كتاب وهو أول من بدأ بتحمل أعباء هذا المشروع المبارك وسعى إلى إتمامه بما خوله الله من علم وجاه.

وختاماً فإننا نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل في موازين الحسنات، وأن يكون أثراً باقياً لكل من ساهم في تحقيقه وإخراجه وطباعته ونشره.

والحمد لله رب العالمين.

اللجنة العلمية المشرفة على طباعة الكتاب

د / صلاح بن سالم بن سعيد باعثمان .. رئيساً

د / حسن بن أحمد الغزالي .. عضواً

د / أمين عطية باشة .. عضواً

د / زيد بن علي بن مهدي مهارش .. عضواً

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل،،

كلمة الناشر

إنَّ الحمدَ للهِ نَحمدُهُ ونستعينُهُ ونَستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أنفُسِنَا ومِنْ سَيِّئاتِ أعمالِنَا، مَن يَهدِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ لهُ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أما بعد ...

فإنَّ الله تعالى ما زال يوفِق لتراثنا الإسلامي العظيم مَنْ يقوم بخدمته والعنايةِ به، فصدرت مجلداتٌ غير قليلة من كتب التفسير بعنايةِ علماء أجلاء وأساتذة فضلاء، لم يألوا جهدًا في خدمتها وتسهيل الإفادة منها، وهي جهود مشكورة.

وفي المقابل فقد أقدم في الآونة الأخيرة كثير ممن ينتحلون صناعة الوراقة على نشر كتب قيمة لبعض علماء الأُمَّة في التفسيرِ والحديثِ والفقهِ والعربيةِ والتاريخِ ونحوها، وأخرجوها في طبعاتٍ رديئةٍ، فيها أخطاء واضحة، وأغلاط مشكلة، وسَقْط وتحريف، فالكثير منها لا يعتمد على أصول خطية موثقة، ويوكل أمر تحقيقها والتعليق عليها إلى من ليس بأهل لأن يتولى مثل هذا العمل العظيم الذي لا يحسن الخوض فيه إلا من اكتملت فيه وسائل المعرفة وتحلى بالصبر والأناة والتقوى، وقضى شوطًا كبيرًا في معاناة كتب سلف الأمة ورياضتها.

وإنَّ دارَ التفسير بمشيئة الله تعالى وعونه عازمةٌ على أن تُولي كتب تفسير القرآن الكريم عنايةً خاصةً وتقوم على تحقيقها ونشرها لتنتفع بها الأُمة، وأول هذا الغيث المبارك هذا السفر العظيم

((الكشف والبيان عن تفسير القرآن))

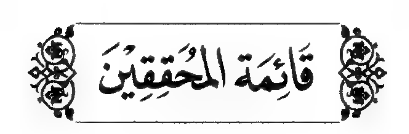
لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ، والذي اجتهدت الدار أن تخرجه في أحسن صورة وأبهى حلة، ولم تدخر وسعا في الإنفاق على إخراجه بسخاء.

سائلين الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المشرف على دار التفسير

دكتور/ صَلاَح بَاعُثمان



قائمة المحققين

د/ خالد بن عون العنزي

أ.د/ ناصر بن محمد بن عثمان المنيع

د/ عبد الله بن جمعة بن محمد أبو طعيمة

د/ خالد بن علي بن عبدان الغامدي

د/ عبد الله بن عواد بن فهد الجهني

أ/ هاشم بن محسن بن عبد الله باصرة

د/ جمال بن محمد بن أحمد ربعين

د/ عبد الله علي عبد العزيز القبيسي

د/ قاري أحمد دين بن حاجي خوشي

د/ عيد بن مدعج السبيعي

د/ ناصر بن محمد بن صالح الصائغ

د/ عفراء بنت محمد بن مطلق المصري

د/ خالد بن محمد الوزيناني

د/ ساعد بن سعيد بن سفري الصاعدي

د/ هند بنت إبراهيم هزازي

د/ فريدة بنت محمد بن أحمد الغامدي

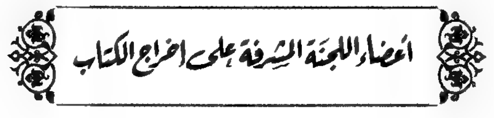
د/ هبة الله بنت صادق بن سعيد هاشم أبو عرب

د/ محمد بن علي الغامدي

د/ صلاح بن سالم بن سعيد باعثمان

د/ أحمد بن محمد بن إبراهيم البريدي

د/ صالح بن نمران بن ناصر الحارثي



أعضاء اللجنة المشرفة على إخراج الكتاب

د/ صلاح بن سالم باعثمان .. رئيسًا

د/ حسن بن أحمد الغزالي .. عضوًا

د/ زيد بن علي مهارش .. عضوًا

د/ أمين عطية باشه .. عضوًا



تقسيم الرسائل بحسب ترتيب المصحف

١- د. خالد بن عون العنزي: الفاتحة- البقرة ١-١٧٦.

٢- أ. د. ناصر بن محمد بن عثمان المنيع:
البقرة ١٧٧- آخر السورة.

٣- د. عبد الله بن جمعة أبو طعيمة: آل عمران.

٤- د. خالد بن علي بن عبدان الغامدي: النساء- آخر المائدة.

٥- د. عبد الله بن عواد بن فهد الجهني: الأنعام.

٦- أ. هاشم بن محسن بن عبد الله باصرة: الأعراف - الأنفال.

٧- د. جمال بن محمد بن أحمد ربعين: التوبة - يونس.

٨- د. عبد الله بن علي بن عبد العزيز القبيسي: هود - الرعد.

٩- د. قاري أحمد دين بن حاجي خوشي: إبراهيم - الإسراء.

١٠- د. عيد بن مدعج السبيعي: الكهف - مريم.

١١- د. صالح بن نمران بن ناصر الحارثي: طه - آخر الحج.

١٢- د. ناصر بن محمد بن صالح الصائغ: المؤمنون - الشعراء.

١٣- د. عفراء بنت محمد بن مطلق المصري: النمل إلى السجدة.

١٤-د. خالد بن محمد الوذيناني: الأحزاب- يس.

١٥- د .ساعد بن سعيد بن سفري الصاعدي: الصافات - غافر.

١٦- **د. هند بنت إبراهيم هزازي**: من فصلت - الفتح.

١٧- **د. فريدة بنت محمد بن أحمد الغامدي**: الحجرات - الرحمن.

١٨- **د. هبة الله بنت صادق بن سعيد هاشم أبو عرب**:
الواقعة - الجمعة.

١٩- **د. محمد بن علي الغامدي**: المنافقون - المزمل.

٢٠- **د. صلاح بن سالم بن سعيد با عثمان**: المدثر - الفجر.

٢١- **د. أحمد بن محمد بن إبراهيم البريدي**: البلد- الناس.

الفصل الأول

ترجمة المصنف

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: ٱسمه، ونسبه، ولقبه، وكنيته.

المبحث الثاني: ولادته، موطنه، وعصره

المطلب الأول: ولادته.

المطلب الثاني: موطنه.

المطلب الثالث: عصره، وتأثير الحالة السياسية والدينية والاجتماعية والعلمية فيه.

أولاً: الحالة السياسية.

ثانيًا: الحالة الدينية.

ثالثًا: الحالة الٱجتماعية.

رابعًا: الحالة العلمية.

المبحث الثالث: نشأته، وطلبه للعلم.

المطلب الأول: نشأته.

المطلب الثاني: طلبه للعلم (بداية طلبه - جده ومثابرته في طلبه- ميادين علمه).

المبحث الرابع: شيوخه، وتلاميذه.

المطلب الأول: شيوخه.

المطلب الثاني: تلاميذه.

المبحث الخامس: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

المطلب الأول: عقيدته.

المطلب الثاني: مذهبه الفقهي.

المبحث السادس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المطلب الأول: مكانته العلمية.

المطلب الثاني: ثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: مؤلفاته.

المبحث الثامن: وفاته.

المبحث الأول

اسمه ونسبه، ولقبه، وكنيته[١]

اسمه: هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم، النيسابوري، الشافعي، أبو إسحاق الثعلبي، ويقال: الثعالبي. المقرئ، المفسِّر، الواعظ، الأديب.

نسبه: يُنسب إلىٰ مدينته التي عاش بها نَيْسَابور.

لقبه: ويُلقَّب أبو إسحاق بـ«الثعلبي» بفتح الثاء المنقوطة بثلاث،

---

(١) **مصادر ترجمته**:

«المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٩٧)، «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير ١/ ٢٣٨، «إنباه الرواه» للقفطي ١/ ١٥٤، «معجم الأدباء» لياقوت ٥/ ٣٦، «وفيات الأعيان» لابن خلكان ١/ ٩٩، «طبقات الشافعية للأسنوي» ١/ ١٥٩، «الوافي بالوفيات» للصفدي ٧/ ٣٠٧، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٤٣٥، «تذكرة الحفاظ» للذهبي ٣/ ١٠٩٠، «العبر» للذهبي ٢/ ٢٥٥، «دول الإسلام» للذهبي ١/ ٢٥٤، «مرآة الجنان» لليافعي ٣/ ٤٦، «البداية والنهاية» لابن كثير ١٢/ ٤٨٥، «طبقات الشافعية» للسبكي ٤/ ٥٨، «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ١/ ٢٣٣، «شذرات الذهب» لابن العماد ٣/ ٣٨٩، «غاية النهاية» للجزري ١/ ١٠٠، «بغية الوعاة» للسيوطي ١/ ٣٥٦، «طبقات المفسرين» للسيوطي (ص١٧)، «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٦٦، «طبقات المفسرين» للأدرنوي (٤٣٢)، «مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده ٢/ ٥٨، «كشف الظنون» لحاجي خليفة ٢/ ١٤٩٦، «هدية العارفين» للبغدادي ٥/ ٧٥، وهناك دراسة مستقلة عن الثعلبي وكتابه في رسالة دكتوراه بعنوان «الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان» من إعداد د. محمد أشرف مليباري، مقدمة إلىٰ قسم التفسير بكلية القرآن وعلومه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وسكون العين المهملة، وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة[١].

وهو لقب لا نسب، كما قال ابن الأثير وتبعه ابن كثير[٢].

ويقال له أيضًا الثعالبي: بفتح الثاء المثلثة، والعين المهملة، وفي آخرها الباء الموحدة بعد الألف واللام[٣].

كما يلقب كذلك بـ"الأستاذ" وممن لقبه بذلك: تلميذه الواحدي، وعبد الغافر الفارسي، والبغوي[٤].

وقد شاركه في هٰذا اللقب جماعة من العلماء والمؤلفين ٱشتهر منهم ٱثنان، يحصل اللبس بهم مع إمامنا أبي إسحاق وهما:

عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، أبو منصور النيسابوري (ت٤٢٩هـ) أديب، ناثر، ناظم، لغوي، أخباري، من تصانيفه: فقه اللغة وسرّ العربية، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، وغيرها[٥].

وهو بلدي إمامنا وعصريه ولذلك يحصل بينهما الخلط أحيانًا.

أما الآخر فمتأخر وهو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجزائري، أبو زيد المالكي (ت٨٧٥هـ) مفسّر، فقيه، صوفي. من

---

(١) «الأنساب» للسمعاني ٥/ ٥٥٠.

(٢) «اللباب» ١/ ٢٣٨، «البداية والنهاية» ١٢/ ٤٨٥.

(٣) «اللباب» ١/ ٢٣٨.

(٤) «التفسير البسيط» ١/ ٤٢٤، «المنتخب من السياق» (ص٩١)، «معالم التنزيل» ١/ ٣٤.

(٥) «معجم المؤلفين» ٢/ ٣٢١.

تصانيفه: الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز، والجواهر الحسان في تفسير القرآن[١].

كنيته: أبو إسحاق، ونجد تلميذه الواحدي لا يكني بهٰذِه الكنية في كتبه وخاصة تفاسيره الثلاث (البسيط- الوسيط- الوجيز) غيره، فإذا أطلق وقال: حدثنا أبو إسحاق ، فلا يعني به غير الثعلبي.

ولم يُذكر بغيرها عند جميع من ترجم له إلا جلال الدين السيوطي، إذ كناه بأبي القاسم في كتابه «طبقات المفسرين»[٢]، ولم نجد من ذكره بهٰذِه الكنية غيره.



(١) المصدر السابق ٢/ ١٢٢.

(٢) أنظر: «الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان» للمليباري ١/ ٤٠.

المبحث الثاني

ولادتــــه، وموطــــنه، وعصــره،

وتأثير الحالة السياسية، والدينية والاجتماعية، والعلمية فيه

* المطلب الأول: ولادته

لم يحظ أبو إسحاق الثعلبي رحمة الله عليه بترجمة واسعة، تبيِّن لنا سنة ولادته، ونشأته، وطلبه للعلم.

فجميع الذين ترجموا له لم يذكروا سنة ولادته، فليس لنا سبيل إلىٰ معرفة ذلك، إلا عن طريق كتاب الثعلبي «الكشف والبيان» نتلمس في ثناياه، ما يدلنا علىٰ تاريخ ولادته، ومكانها.

وبعد البحث وجدنا أن أبا إسحاق رحمه الله يذكر تاريخ بعض سماعاته، وهٰذِه السماعات كلها بعد سنة (٣٨٠هـ).

ومن هٰذِه السماعات ما يأتي:

أ- قال رحمه الله: أخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس العبدوي في رجب سنة أربع وثمانين وثلاث مئة.

ب- وقال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بن الفضل بقراءتي عليه في صفر سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة، فأقرَّ به.

وحدَّث الثعلبي كذلك عن شيخيه ابن المقرئ محمد بن إبراهيم بن

علي الأصبهاني، وابن مهران وقد توفيا سنة (٣٨١هـ)[١].

ومن شيوخه الذين روىٰ عنهم في هذا الكتاب إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن جعفر سنة ٣٥٥ هـ ، وربما هناك آخرين قبل هذا التاريخ. وعليه فإنه يصعب تحديد سنة ولادته، والله أعلم.

(١) ستأتي ترجمتهما.

* المطلب الثاني: موطنه

عاش المصنف رحمه الله في نَيْسَابور- بفتح النون، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين، وفتح السين المهملة، وبعد الألف باء مضمومة منقوطة بواحدة، وفي آخرها الراء[١] - وكانت أحسن مدن خراسان، ومعقلًا عظيمًا من معاقل العلم، ضمت بين جنباتها عددًا كبيرًا من العلماء والفضلاء.

قال السمعاني[٢]: هي أحسن مدينة وأجمعها للخيرات بخراسان. والمنتسب إليها جماعة لا يُحصون. وقد جمع الحاكم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحافظ البيِّع[٣] تاريخ علمائها في ثمان مجلدات ضخمة[٤].

---

(١) «الأنساب» للسمعاني ٥/ ٥٥.

(٢) أبو سعد عبد الكريم ابن الإمام الحافظ الناقد أبي بكر محمد ابن العلامة مفتي خراسان أبي المظفر منصور بن عبد الجبار، التميمي السمعاني الخراساني المروزي. الإمام الحافظ الكبير الأوحد الثقة، صاحب المصنفات الكثيرة. ومنها كتابه «الأنساب». توفي سنة (٥٦٢).

انظر ترجمته: «المنتظم» لابن الجوزي ١٨/ ١٧٨، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٢٠/ ٤٥٦، «طبقات السبكي» ٧/ ١٨٠.

(٣) صاحب «المستدرك على الصحيحين». وهو شيخ أبي إسحاق الثعلبي. ستأتي ترجمته.

(٤) هذا الكتاب «تاريخ نيسابور» للحاكم. من أنفس وأعظم كتب التراجم. وقد أفاد منه العلماء كثيرًا. ومن أبرز هؤلاء السمعاني في «أنسابه»، والإمام الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء» وغيرهما. ولكن للأسف، فالكتاب مفقود. وقد عمل عليه عبد الغافر الفارسي ذيلًا بعنوان «السياق لتاريخ نيسابور» وهو مخطوط في تركيا كما في «تاريخ التراث العربي» لسزكين ١/ ٣٦٩، وقام إبراهيم بن محمد

وقال ياقوت الحموي[١] :لم أرَ فيما طوَّفتُ من البلاد مدينة كانت مثلها[٢].

وقال ابن حوقل[٣] : ليس بخراسان مدينة أصحّ هواء، وأفسح فضاء، وأشدّ عمارة، وأدوم تجارة، وأكثر سابلة، وأعظم قافلة من نيسابور[٤].

وفي سبب تسميتها بنيسابور: ساق أبو علي الغسَّاني في كتابه «تقييد المهمل» بسنده إلىٰ أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني أنه

الصريفيني، واختصر «السياق» في مصنف وأسماه «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» وهو مطبوع.

وعقد أيضًا الثعالبي (ت ٤٢٩) في كتابه «يتيمة الدهر» بابًا في ذكر النيسابوريين، وبابًا آخر في ذكر الطارئين علىٰ نيسابور من بلادٍ شتىٰ.

انظر: «يتيمة الدهر» الباب التاسع والعاشر ٤/ ٤٤١ - ٥٢٠.

(١) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي النحوي الأخباري المؤرخ صاحب «معجم البلدان» وغيره من المصنفات. توفي سنة (٦٢٦).

انظر: «التكملة لوفيات النقلة» للمنذري ٣/ ٢٤٩، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٢٢/ ٣١٢.

(٢) «معجم البلدان» لياقوت ٥/ ٣٣١.

(٣) هو: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم، رحالة، من علماء البلدان. كان تاجرا. رحل من بغداد سنة ٣٣١ هـ ودخل المغرب وصقلّيّة، وجاب بلاد الأندلس وغيرها. ويقال: كان عينا للفاطميين. توفي بعد سنة ٣٦٧ هـ. من آثاره: «المسالك والممالك».

انظر: «الأعلام للزركلي» ٦/ ١١١، «معجم المؤلفين» ١١/ ٥.

(٤) كتاب «صورة الأرض» ٢/ ٤٣٣ .

قال: إنَّما قيل لها نيسابور، لأنَّ سابور مرَّ بها، فلما نظر إليها قال: هٰذِه تصلح أن تكون مدينة، فأمر بها، فقطع قصبها، ثم كبس، ثم بُنيت، فقيل لها: نيسابور، والنيّ: القصب[١].

وكان فتحها زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه علىٰ يد ابن خاله عبد الله بن عامر بن كُريز[٢] في سنة تسع وعشرين من الهجرة.

وقيل إنها فتحت في أيام عمر رضي الله عنه علىٰ يد الأحنف بن قيس، وإنما ٱنتقضت في أيام عثمان، فأرسل إليها عبد الله بن عامر، ففتحها ثانيةً[٣].

---

(١) «الأنساب» للسمعاني ٥/ ٥٥٠. وانظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٩٩.

(٢) عبد الله بن عامر بن كُريز بن ربيعة، أبو عبد الرحمن القرشي العبشمي، الأمير الذي ٱفتتح إقليم خراسان. رأى النبي ﷺ وروىٰ عنه حديثًا. وهو ابن خال عثمان. وأبوه عامر هو ابن عمة رسول الله ﷺ البيضاء بنت عبد المطلب. ولي البصرة لعثمان، ثم وفد علىٰ معاوية، فزوجه بابنته هند. توفي سنة (٥٩).
«سير أعلام النبلاء» للذهبي ٣/ ١٨، «الإصابة» ٥/ ١٤.

(٣) «الأنساب» للسمعاني ٥/ ٥٥٠، «معجم البلدان» لياقوت ٥/ ٣٣١.

* المطلب الثالث: عصره من الناحية السياسية والدينية والاجتماعية والعلمية وتأثره بذلك

الإنسان ابن بيئته وعصره، ولهذه البيئة، ولذاك العصر، آثار تنطبع عليه وتؤثر فيه. وفقًا لمدىٰ قابليته للتفاعل مع بيئته، واستجابته للظروف البيئية التي تدخل في مكونات النشأة والسلوك، ثم تمتد جذورها في الأعماق النفسية، لتدخل في بناء الشخصية واتجاهاتها السلوكية والعملية.

فكل شخص يتأثر بمشايخه وأساتذته، ويتأثر بالبيئة التي تحيط به، ويعيش فيها. ويتأثر كذلك بالحالة السياسية، والاجتماعية، والعلمية، في بيئته وعصره.

وعند دراسة أي علم من الأعلام، يتأكَّد الوقوف على العصر الذي عاش فيه، وبم اتسم ذلك العصر من الناحية السياسية والاجتماعية، والعلمية، لنعلم مدىٰ تأثر ذلك العلم بتلك الأحوال، وكيف كان تأثير ذلك كله فيه.

وهٰذا ما سنقوم به مع أبي إسحاق الثعلبي، من دراسة عصره سياسيًّا، واجتماعيًّا، وعلميًّا. لنخلُص بعد ذلك إلىٰ أثر ذلك كله في الثعلبي رحمه الله.

أولا: الحالة السياسية:

تبيَّن لنا أنَّ الثعلبي رحمه الله عاش ما بين الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، إلىٰ ما يقرب من نهاية العقد الثالث من القرن

الخامس (٤٢٧هـ).

وهٰذا يعني أن الثعلبي عاصر الدولة العباسية في أسوأ أيامها، إذ كان عهد الدويلات المتناحرة، وقد أفل الوجود الفعلي، للسلطة العليا. بحيث لم يبق للخليفة العباسي حكم إلا علىٰ بغداد وما حولها، إضافة إلىٰ أن الخليفة نفسه صار يتحكم فيه وزراؤه ورؤساء الجند، وقد يعزلونه، أو يقتلونه.

وخرج كثير من البلدان عن حكم الدولة العباسية، فأصبح علىٰ كل بلد أمير مستقل بحكمه عن سلطان الخلافة ببغداد، ولم يبق لخلفاء بني العباس إلا الاْسم فقط، وأصحاب الأطراف يُقدِّمون للخليفة الدعاء في المساجد معترفين بالسيادة العليا للدولة[١].

ومن أقوىٰ عوامل ضعف الخلافة: اْعتماد الخلفاء العباسيين في حكمهم على الأتراك، وكان المعتصم بالله هو أول خليفة أدخل الأتراك واستكثر منهم[٢].

وقد حكم خلال هٰذِه المدة ثلاثة من خلفاء العباسيين وهم:

١- الطائع لله (٣٦٣ - ٣٨١).

٢- القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢).

٣- القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧).

وتعد مدتا حكم القادر والقائم هما الأهم في حياة الثعلبي، إذ كان

---

(١) اْنظر: «تاريخ الإسلام السياسي» ٣/ ٢٤٧.

(٢) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٢٥٩).

في مدة حكم الطائع ما يزال صغيرًا.

١- **أمَّا القادر بالله**[١]: فهو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر. الذي تولى الخلافة سنة (٣٨١هـ) بعد خلع الطائع لله.

قال الخطيب البغدادي: وكان القادر من الديانة والسيادة وإدامة التهجد وكثرة الصدقات، وحسن الطريقة علىٰ صفة ٱشتهرت عنه وعُرف بها عند كل أحد، مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد، تفقَّه على العلامة أبي بشر الهروي الشافعي، وقد صنَّف كتابًا في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة علىٰ ترتيب مذهب أصحاب الحديث، وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز، وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن، وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي، وبحضرة الناس[٢].

٢- **وأمَّا القائم بأمر الله**[٣]: فهو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله، ولي الخلافة بعد موت أبيه سنة (٤٢٢) واستمر إلىٰ سنة (٤٦٧هـ).

وهٰؤلاء الخلفاء كما أسلفت ليس لهم من السلطة الفعلية شيء.

وحقيقة أمر البلاد التمزق والتفكك والتشرذم، فالبويهيون في العراق وما جاورها، والحمدانيون في الشام، والفاطميون في

---

(١) له ترجمة في «تاريخ بغداد» للخطيب ٤/ ٣٧، «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٣١٦)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٥/ ١٢٧.

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب ٤/ ٣٧.

(٣) له ترجمة في «تاريخ بغداد» للخطيب ٩/ ٣٩٩، «الكامل» لابن الأثير ٩/ ٤١٧، «شذرات الذهب» لابن العماد ٤/ ١٤.

المغرب، ومصر، والشام، والغزنويون والسلاجقة بالمشرق[١].

ويصوِّر لنا المؤرخون هٰذِه الحالة البئيسة من التفكك والتمزق فيقولون: البصرة في يد ابن رائق، وخوزستان في يد أبي عبد الله البريدي، وفارس إلىٰ عماد الدولة ابن بويه، وكرمان في يد أبي علي محمد بن إلياس، والري وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة الحسن بن بويه، والموصل وديار بكر ومُضَر وربيعة في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج الإخشيدي، وبلاد أفريقية والمغرب في يد القائم بأمر الله ابن المهدي الفاطمي، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقَّب بالناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني. ولم يبق في يد الخليفة غير مدينة السلام، وبعض السواد[٢].

هٰذِه هي الصورة العامة لحالة العالم الإسلامي آنذاك. والذي يعنينا أكثر في هٰذا المقام هو المشرق الإسلامي، موطن الإمام الثعلبي، إذ كان يقطن نيسابور، ذلك الجزء المهم من المشرق.

ولقد تنازع المشرق الإسلامي في تلك الفترة عدة دول:

١- الدولة البويهية: (٣٣٤ - ٤٤٧).

٢- الدولة الغزنوية: (٣٥١ - ٥٨٢).

---

(١) أنظر: «الدولة العباسية» للشيخ محمد الخضري (٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٠) وما بعدها، و«ظهر الإسلام» لأحمد أمين ٧/ ١٥٦، ٨/ ٥٤.

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير ١١/ ٢١٩.

٣- الدولة السلجوقية: (٤٢٩ - ٥٢٢)[١].

وهم وإن تأخر تأسيس دولتهم، إلا أن بداياتهم كانت من أول القرن الخامس كما سيأتي.

أما البويهيون: فقد كانت لهم الغلبة والسيطرة علىٰ بغداد ونواحيها، وقد ٱستبدوا بأمر الدولة، رُغم قربهم من مقر الخليفة، حيث شاركوه في بعض مظاهر الخلافة، إذ كان الأمير البويهي هو الذي يتولىٰ إصدار الأوامر، أما الخليفة فما عليه إلا توقيعها، لتأخذ صفة الشرعية أمام الرأي العام[٢].

وأمّا الغَزْنَويون: فقد قامت دولتهم علىٰ أنقاض الدولة السامانية، علىٰ يد محمود بن سُبُكتكين الغزنوي، إذ كانت بينه وبينهم مناوشات، ٱنتهت بالنصر والتمكين له في خراسان، فأزال عنها ٱسم

---

(١) **البويهيون:** هم من سلالة الفرس، سكنوا الديلم، ولم يكونوا ذوي بال، إلىٰ أن ظهر أبو شجاع بن بويه الذي صار هو وأولاده أمراء لهم جيوش، فأقاموا لأنفسهم سلطانًا قويًّا في العراق وفارس.

والغزنويون: نسبةً إلىٰ عاصمتهم غزنة، القريبة من كابل، ٱمتد سلطانهم إلىٰ شمال الهند كما سيأتي وخراسان، وسجستان، وأسس دولتهم ألْب تكين، وتولىٰ حكمهم ستة عشر ملكًا، أشهرهم سبكتكين، وابنه محمود الغزنوي.

والسلاجقة: فرع من الأتراك الغز، ونسبتهم إلىٰ سلجوق بن فقاق، عاشوا أولًا في تركستان، ثم ٱستقروا ببخارىٰ، حتىٰ سيطروا علىٰ خراسان بعد القضاء على البويهيين.

انظر: «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (ص٣٣١، ٢٥٤).

(٢) ٱنظر: «الكامل في التاريخ» ٨/ ٤٦٦.

السامانية، وخطب للقادر بالله سنة (٣٨٩هـ) وجعل أخاه نصرًا قائدًا لجند نيسابور، وسار هو إلىٰ بلخ، فاتخذها دار ملك له، واتفق أصحاب الأطراف علىٰ طاعته[1].

وكان محمود هٰذا من أعظم ملوكهم، وأكثرهم فتوحًا، وأشدهم بطشًا بأعدائه، حتىٰ ألقىٰ بزعماء السلاجقة في غياهب السجون، وفي عهده توسعت الدولة الغزنوية خارج بلاد غزنة، فقد ضم بلاد الغور، ثم أدخل جزءًا عظيمًا من بلاد الهند تحت سلطانه، وأسلم علىٰ يديه أكثر ملوك الهند، ومن الجهة الأخرىٰ ضُمَّت إليه خراسان والري والجبال، ودانت له ملوك طبرستان وجرجان، ولم يزل في عزه وسلطانه، إلىٰ أن أدركته الوفاة سنة (٤٢١هـ).

وبعد وفاة هٰذا القائد العظيم دبَّ النزاع بين ولديه محمد، ومسعود، مما شجع السلاجقة علىٰ تجميع صفوفهم، وإعادة كرتهم في محاولة الأستيلاء علىٰ خراسان، حتىٰ تمكنوا من ذلك سنة (٤٢٩هـ) وأعلنوا قيام دولتهم[2].

وقد عاصر أبو إسحاق الثعلبي الغزنويين، وهم في أوج قوتهم، وكانت نيسابور موطن الثعلبي تنعم بحكم محمود الغزنوي في ٱستقرار سياسي، وأمن داخلي، وقوة دينية، مما كان له الأثر

---

(١) ٱنظر: «الكامل» ٧/ ٣١٥، ٣٣٥، «النجوم الزاهرة» ٤/ ٢٠٠، «تاريخ الإسلام السياسي» ٣/ ٨٨.

(٢) «الدولة العباسية» للخضري (ص٣٤٦).

الإيجابي الكبير بلا شك على الإمام الثعلبي، وحياته العلمية.

وأما السلاجقة: فقد بدأت حركاتهم وتهديداتهم للدولة الغزنوية منذ أوائل القرن الخامس، ولكن السلطان محمود كان يتغلب عليهم، ويتمكن منهم في بداية الأمر.

وخوفًا من خطر السلاجقة على الدولة، ٱحتال محمود الغزنوي عليهم، وأبدىٰ رغبته في التفاهم والصداقة معهم، وأرسل إليهم ليقرِّر موعدًا للقاء برؤساء السلاجقة.

وما إن ذهب إسرائيل زعيمهم للقائه قرب جيحون مع أعوانه، حتىٰ قبض عليهم، وأودعوا غياهب السجن بإحدىٰ قلاع الهند، حيث ظل إسرائيل في معتقله إلىٰ أن مات سنة (٤٢٢هـ).

ومن هنا بدأت لدى السلاجقة فكرة الأنتقام، وأخذت قوتهم في الأزدياد، وتحايل ميكائيل أخو إسرائيل على السلطان محمود، فاستأذنه في المرور من بلاده للإقامة بخراسان، فسمح له، فكان في ذلك فرصة للإعداد العسكري، فقاموا بعدة هجمات ضد الغزنويين، وكانت وفاة السلطان محمود الغزنوي سببًا آخر لرفع شأن جيوش السلاجقة، فيما بعد علىٰ يد (طغرل بك) و (داود) ابني ميكائيل، ومن هنا ٱستطاع زعماء السلاجقة تنظيم صفوفهم، والاستيلاء علىٰ معظم بلاد خراسان، حتىٰ وصلوا قاعدة الغزنويين نيسابور مقر إمامنا الثعلبي، وطلب السلاجقة من واليها السماح لهم بالإقامة بجوارها، فرفض، واندلعت نيران المعركة بينهم، حتى ٱستطاع السلاجقة

الٱنتصار علىٰ مسعود الغزنوي وجيشه ٱنتصارًا ساحقًا. وكان ذلك عام (٤٢٩هـ) وبذلك تم الٱستيلاء الكامل علىٰ نيسابور، وجلس طغرل بك علىٰ عرش الغزنويين، معلنًا قيام دولة السلاجقة، وخطب له علىٰ منابر نيسابور ملقَّبًا بالسلطان الأعظم[١].

وبعد:

فنخلُص مما سبق إلىٰ أن العصر الذي عاش فيه الثعلبي، كان عصر تفكك وانقسام، تميَّز بكثرة الدويلات الإسلامية المتناحرة، وتفشي الفساد السياسي، وانعدام السلطة المركزية.

إلا أنَّ الثعلبي رحمه الله عاش جزءًا كبيرًا من حياته، بمنأىٰ إلىٰ حد كبير عن تلك الفوضىٰ، وذلك في المدة التي عاشها تحت ظل الدولة الغزنوية بقيادة قائدها محمود الغزنوي، الذي جعل نيسابور مركزًا لدولته.

فعاشت نيسابور -آنذاك- وعاش فيها أبو إسحاق في ٱستقرار، مكَّنه بلا شك من طلب العلم، وهيَّأ له الجوَّ المناسب لذلك.

---

(١) «الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان» ١/ ٨، وانظر: «الكامل» لابن الأثير ٥/ ١٧٠، «تاريخ الإسلام السياسي» ٤/ ٤، وكتاب «سلاجقة إيران والعراق» (ص٢٤).

ثانيا: الحالة الدينية:

نجد أن الأحوال الدينية قد تأثرت باضطراب الأحوال السياسية، ففي العراق تبنى البويهيون مذهب الرفض، ونشروه بين الناس، وكتبوا لعن الشيخين رضي الله عنهما علىٰ أبواب مساجدهم، وألزموا الناس بما أحدثوه من بدع في يوم عاشوراء[1].

وجاراهم في ذلك إخوانهم العبيديون، الباطنية، فنشروا البدع، والرفض في مصر والشام، والمغرب العربي، وحاربوا أهل السنة، ونكلوا بهم، فقد أمر نائب دمشق بمغربي فطيف به علىٰ حمار، ونودي عليه: هٰذا جزاء من يحب أبا بكر، وعمر رضي الله عنهما ثم ضرب عنقه في سنة **٣٩٣**هـ[2].

أما في بلاد المشرق -خراسان وما جاورها- فالأمر أهون من ذلك، لأن الغزنويين، والسلاجقة من أهل السنة في الجملة، فلم تتأثر تلك البلاد، كما تأثرت البلاد الأخرىٰ، وتولى الرافضة، والباطنية السلطة في بلاد المسلمين كان أمرا طارئا، لم يدم بحمد الله تعالىٰ.

وسيأتي مزيد تفصيل إن شاء الله للحالة الدينية وتأثيرها في المصنف في مبحث عقيدة المصنف ومذهبه.

---

(١) أنظر: «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر ٦/ ٢١٨-٢٢٩.

(٢) أنظر: «شذرات الذهب» ٢/ ١٤١.

ثالثًا: الحالة الاجتماعيَّة:

تبيَّن لنا مما سبق أنَّ الحالة السياسية في تلك الحقبة من أيام الدولة العباسية -التي عاصرها الثعلبي- كانت حالة سيئة، بسبب التفرق والتشرذم، والحروب والصراعات التي كانت مستمرةً.

ولا شك بأن العلاقة وثيقة جدًّا بين الحالتين: السياسية، والاجتماعية، فالحالة الاجتماعية مرآةٌ للحالة السياسية، فإذا كانت الحالة السياسية مستقرَّة، وكانت الدولة قويةً عادلة، أثَّر ذلك في المجتمع، فأصبح مجتمعًا قويًّا متماسكًا، يسوده الأمن والاستقرار والرخاء.

وبعكس ذلك تصير الأمور، إذا كانت الحالة السياسية مضطربة، والسلطة ضعيفة لا تملك من أمرها شيئًا، فالحالة الاجتماعية -عندئذ- تنهار، فلا أمن ولا أمان، ولا هدوء ولا استقرار، وهذا ما حصل للدولة الإسلامية في هذِه المدة التي نتحدث عنها.

فالحروب والصراعات التي دارت أنهكت الاقتصاد، وقضت على الموارد، وشجعت على إشاعة الفوضى في شتى ميادين الحياة.

فالفزع والرعب سيطر على القلوب، بسبب اختلال الأمن، مما أوجد الفرصة للسلب والنهب فكثر العيَّارون[1]، وانتشر اللصوص

---

(١) **العيَّارون**: هم طائفة من الرعاع، وأحدهم لا يهتم بأمور عيشه، ولا يتقيّد بالدين، ولا بالمتعارف عليه بين الناس.

انظر: «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (ص٣٢٨).

وقطاع الطرق.

يقول ابن الأثير، في أحداث سنة (٤١٧ هـ): في هٰذِه السنة كثر تسلط الأتراك ببغداد، فأكثروا مصادرات الناس، وأخذوا الأموال. وعظم الخطب، وزاد الشر، وأُحرقت المنازل والدروب والأسواق، ودخل في الطمع العامة والعيَّارون، فكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره كما يفعل السلطان بمن يصادره..[١].

بل إن السلب والنهب ما سلم منه الحكام أنفسهم، وهٰذا أكبر دليل علىٰ ضعفهم، ووهن سلطتهم كما سبق في الحالة السياسية.

نعم لقد كان ضعف السلطان سببًا مباشرًا لشيوع شريعة الغاب بين الناس في ذلك العهد، حتى ٱنتشرت الفوضىٰ ولم يسلم منها حتى الحكام.

يقول ابن الأثير في حوادث سنة (٤١٩هـ): في هٰذِه السنة ثار الأتراك ببغداد علىٰ جلال الدولة، وشَغبوا ونهبوا صياغات أخرجها جلال الدولة لتضرب دنانير ودراهم وتفرق فيهم، وحصروا جلال الدولة في داره ومنعوه الطعام والماء...،

إلىٰ أن قال: فباع جلال الدولة فرشه وثيابه وخيمه، وفرق ثمنها فيهم حتىٰ سكتوا[٢].

وعن العيَّارين وما أحدثوه من نهب وسلب يقول ابن كثير: ثم

---

(١) «الكامل» ٨/ ١٥٦.

(٢) المصدر السابق ٨/ ١٦٥.

دخلت سنة أربع وثمانين وثلاث مئة، فيها عظم الخطب بأمر العيَّارين، عاثوا ببغداد فسادًا، وأخذوا الأموال والعملات الثقال ليلًا ونهارًا، وحرقوا مواضع كثيرة، وأخذوا من الأسواق الجبايات، وتطلَّبتهم الشرط، فلم يفد ذلك شيئًا، ولا فكروا في الدولة، بل ٱستمروا علىٰ ما هم عليه..»[١].

ولم يقتصر سوء الحال في تلك المدة على ٱختلال الأمن وإنَّما تعداه إلىٰ نواحي المعيشة، فأثَّرت تلك الأوضاع السيئة في الناس من الناحية الاَقتصادية والمعيشية، وصاحب تلك الحوادث غلاء شديد في المعيشة.

فقد ٱشتد الغلاء بخراسان جميعها، وعدم القوت، فكان الإنسان يصيح: الخبز، الخبز، ويموت[٢].

ويقول ابن كثير عن سنة (**٣٧٣هـ**): فيها غلت الأسعار ببغداد ومات كثير من الناس جوعًا، وجافت الطرقات من الموتىٰ من الجوع[٣].

وذكر الجوع أيضًا في سنة (**٣٨٢هـ**)، وسنة (**٣٩٣هـ**)[٤].

وهكذا كانت الحالة الاَجتماعية في هٰذِه الحقبة، ٱختل الأمن، وذهب الاَستقرار والاطمئنان، وعمت الفوضىٰ، وانتشر اللصوص

(١) «البداية والنهاية» ١١/ ٣٧٨.

(٢) «الكامل» لابن الأثير ٧/ ٣٣٤.

(٣) «البداية والنهاية» ١١/ ٣٦٤.

(٤) المصدر السابق ١١/ ٣٧٦، ١١/ ٤٠٤.

والعيَّارون، وكثر السلب والنهب، واشتد الغلاء، وحدث الجوع. وكل ذلك ٱنعكاس للحالة السياسية السيئة التي عاشتها البلاد آنذاك.

ونيسابور موطن الإمام الثعلبي، وإن كانت أحسن حالًا من غيرها، حيث تعيش في ظلال الدولة الغزنوية القوية آنذاك، إلا أنها لا بد أن تتأثر بما حولها، ولا بد أن يتأثر ساكنها أبو إسحاق الثعلبي بذلك.

رابعًا: الحالة العلميَّة:

تبيَّن مما سبق أنَّ العصر الذي نشأ فيه الثعلبي رحمه الله كان مضطربًا غير مستقر من الناحية السياسية، إذ ضعفت الخلافة العباسية، وقامت دول ثم سقطت، وقامت علىٰ إثرها دول، وهكذا، كانت القلاقل والصراعات سمة هٰذا العصر، الأمر الذي ٱنعكس أثره سلبًا على الحالة الٱجتماعية كما سبق.

وأما الحالة العلميَّة فكانت على العكس من ذلك! فمع هٰذا الضعف والسوء في الحالتين السياسية والاجتماعية، نجد أن الحركة العلمية نشطت، حتىٰ كان هٰذا العصر من أزهىٰ عصور الإسلام الثقافية، فيه كثر طلاب العلم والعلماء.

ولعل مردَّ تلك الحركة العلميَّة النشطة إلىٰ تنافس الإمارات الإسلامية المختلفة، بضم أكبر عدد من العلماء والأدباء، والتفاخر بهم، وتسهيل السبل للعلم وأهله. إضافة إلىٰ حبّ الحاكم للعلم والعلماء، وتقريبه إياهم، ودعمهم، مما كان له أكبر الأثر في ٱزدهار

الحركة العلمية والثقافية[١].

الحركة العلميَّة في نيسابور:

بعد أن اتضحت لنا الصورة العامة للحركة العلمية في المدة التي عاشها الإمام الثعلبي من بعد منتصف القرن الرابع، إلىٰ سنة وفاته (٤٢٧ هـ).

نريد بعد ذلك أن نستجلي الصورة مفصَّلة عن الحركة العلمية في موطن الثعلبي، نيسابور.

كانت نيسابور معظم هٰذِه المدة، تنعم في ظل الدولة الغزنوية، بقيادة ملكها الصالح محمود الغزنوي الذي كان بلاطه حافلًا بالعلم والعلماء، لما اتصف به من حب للعلم وأهله.

جاء في «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» في ترجمة السلطان محمود: كان مجلسه مورد العلماء ومقصد الأئمة والقضاة، يعرف لكل واحد حقه، ويخاطبه بما يستحقه، ويستدعي الأكابر والصدور والعلماء من كل فن إلىٰ حضرة غزنة، ويبوئهم من ظله وإنعامه وإكرامه المحل الرفيع، ويصلهم بالصلاة السنيَّة[٢].

لقد كانت نيسابور من أهم وأبرز مراكز العلم والفكر، ولذا نجد الإمام السخاوي رحمه الله يصفها بأنها دار السنة والعوالي وكان

---

(١) انظر: «ظهر الإسلام» لأحمد أمين ١/ ٤، و«الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان» ١/ ١٨.

(٢) «المنتخب» (١٥٠٦).

يتوافد إليها العلماء باستمرار، حتى ٱكتسحها المغول[١].

وإذا علمنا أنَّ أبا عبد الله الحاكم لمَّا ألَّف كتابه الكبير «تاريخ نيسابور» ضمَّنه ترجمة (١٣٧٥) عالمًا من علماء نيسابور، والواردين عليها، ثم ذكر عبد الغافر الفارسي في «السياق لتاريخ نيسابور» وهو ذيل علىٰ «تاريخ نيسابور» ومختصر له، (١٦٩٩) عالمًا من علمائها والواردين عليها.

إذا علمنا ذلك ٱتضح لنا بجلاء مدى ٱزدهار نيسابور آنذاك بالعلم وأهله، وأنها بحق معقلٌ عظيمٌ من معاقل العلم والعلماء[٢].

المدارس العلمية في نيسابور:

ونتيجة لهٰذا الوضع العلمي المزدهر، شيِّدت بنيسابور المدارس، التي ضمَّت بين جنباتها العلماء وطلاب العلم. ومن هٰذِه المدارس:

١- مدرسة أبي بكر أحمد بن إسحاق الصِّبْغِي (ت ٣٤٢ هـ) المعروفة بدار السُّنَّة[٣].

٢- مدرسة الدَّاري، وهي دار الحديث التي أنشأها أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدَّاري، الرئيس البسطامي، في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري[٤].

---

(١) «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» (ص١٤١).

(٢) «الثعلبي ودراسة كتابه» ١/ ١٩.

(٣) «طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي ٤/ ١٥٩.

(٤) «الثعلبي ودراسة كتابه» ١/ ٢٠.

٣- مدرسة القطَّان: وهي مدرسة للمالكيَّة، كان يدرِّس فيها إبراهيم ابن محمود بن حمزة الفقيه المالكي[(١)].

٤- مدرسة أبي الوليد النيسابوري القرشي الأموي (ت٣٤٩ هـ)[(٢)].

٥- دار العلم بنيسابور: أسسها الحافظ محمد بن أحمد بن حبان أبو حاتم البستي (ت٣٥٤)[(٣)].

٦- المدرسة السعديَّة التي أنشأها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوي، عندما كان واليًا علىٰ نيسابور في حدود سنة (٣٨٩)[(٤)].

٧- مدرسة أبي بكر محمد بن فورك (ت٤٠٦هـ)[(٥)].

٨- المدرسة البيهقيَّة، التي أسسها الإمام أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) وكان إنشاؤها قبل سنة (٤٠٨هـ)[(٦)].

٩- مدرسة أبي إسحاق الإسفراييني (ت ٤١٨هـ)[(٧)].

١٠- المدرسة النظامية التي أنشأها مع غيرها من المدارس نظام

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «طبقات الشافعية» ٣/ ٢٢٧.

(٣) «العبر في خبر من غبر» للذهبي ٢/ ٩٤.

(٤) «طبقات السبكي» ٤/ ٣١٤، «تاريخ الإسلام السياسي» ٣/ ٨٨.

(٥) «طبقات السبكي» ٤/ ١٤٨.

(٦) «طبقات السبكي» ٥/ ١٦٩، ٣١٤، «الخطط» للمقريزي ٢/ ٣٦٣، و«البيهقي وموقفه من الإلهيات»، للدكتور أحمد عطية الغامدي (ص٢٧).

(٧) «طبقات السبكي» ٤/ ٢٥٦، ٣١٤.

الملك الحسن بن علي الطوسي (ت ٣١٢هـ)، وكان يدرس فيها إمام الحرمين الجويني[١].

هٰذِه بعض المدارس في نيسابور، وهناك غيرها، حتىٰ إنَّ المؤرِّخ محمد بن حسين البيهقي قال في تاريخه: إنَّه كان في نيسابور سنة (٤١٤هـ) - وذلك في زمن السلطان محمود الغزنوي- بضع وعشرون مدرسة[٢].

وظهور هٰذِه المدارس دليل علىٰ نمو الحركة العلمية وازدهارها في نيسابور، ودليل على الٱهتمام بالعلم وطلابه.

يقول المقريزي في «خُطَطه»: ويعد ظهور المدرسة في هٰذا العصر بشكل مستقل عن المسجد، خير دليل على الٱهتمام بالعلم، وكانت الأولىٰ هي المدرسة البيهقية بنيسابور التي تعددت فيها المدارس بعد ذلك[٣].

ويعد القرن الرابع بداية ظهور هٰذِه المدارس والمعاهد، التي بقيت طريقةً متبعة إلىٰ أيامنا هٰذِه.

ومما سلف يتضح لنا أن نيسابور موطن الإمام الثعلبي كانت مهد هٰذِه المعاهد، فكانت بذلك تضاهي بغداد، حاضرة العلم والعلماء في ذلك العصر، بل كانت سابقة لبغداد في إنشاء المدارس الأولىٰ

---

(١) نفس المصدر ٤/ ٣١٤.

(٢) «تاريخ بيهق» (ص٢٢٦).

(٣) «الخُطَط» ٢/ ٣٦٣.

في الإسلام[١].

وقد بلغت العناية بالعلم وطلابه إلىٰ حد أنَّ كثيرًا من أهل الفضل كانوا ينفقون علىٰ طلاب العلم من مالهم الخاص، ويقفون عليهم كتبهم، كما حدث مع ابن حبان البستي الذي بنىٰ مدرسةً لطلاب العلم، وأوقف عليها جملةً من ماله[٢].

أثر المساجد في النهضة العلميَّة بنيسابور:

لقد كان للمساجد - منطلق العلم الأول - دور رائد في الحركة العلمية بنيسابور، ففي مساجد نيسابور كانت تعقد دروس العلم بمختلف أنواعه، من تفسير، وحديث وفقه، ووعظ وقصص، وغيرها، حتىٰ أضحت هٰذِه المساجد مراكز إشعاع، ومنارات علم[٣].

والثعلبي رحمه الله كان من روَّاد تلك المساجد، ولذا نجده يصرِّح بتلقِّي بعض سماعاته عن شيوخه في المسجد، فيقول علىٰ سبيل المثال: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن علي بن إبراهيم السرَّاج بقراءتي عليه في الجامع، يوم الجمعة، سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة[٤].

---

(١) «الثعلبي ودراسة كتابه» ١/ ١٩.

(٢) «طبقات السبكي» ٤/ ٨٠.

(٣) «أحسن التقاسيم» للمقدسي (ص٢٩٤) وما بعدها.

(٤) «الكشف والبيان» الجزء الأخير رسالة ماجستير (١٢٧).

المكتبات:

وبالإضافة إلى المساجد، والمدارس، كان هناك رافدٌ علميٌّ آخر، ألا وهو تلك المكتبات العلمية، والخزائن الثريَّة بالكتب النفيسة، وخاصة في جهة نيسابور، وما حولها، وهٰذِه المكتبات ما هي إلا نتاج الأزدهار العلمي، والثقافي.

ومن هٰذِه المكتبات والخزائن:

١- **خزانة دار العلم**: أسسها بنيسابور ابن أردشير البويهي، سنة (٣٨٣هـ) وتشتمل علىٰ عشرة آلاف وأربع مئة مجلد في العلوم المتنوعة[١].

٢- **مكتبة نوح بن نصر الساماني**: وهي مكتبة عظيمة، قال عنها ابن خلِّكان: عديمة المثل، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها، مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلًا عن معرفته[٢].

٣- **مكتبة غزنة**: الملحقة بجامعة غزنة، التي أسَّسها ونقل إليها الكتب السلطان محمود الغزنوي[٣].

٤- **بيت الكتب**: الذي كان في بلاط الصاحب بن عباد بالري، كان به من الكتب ما يحتاج في نقله إلىٰ أربع مئة جمل، وكانت فهرست هٰذِه

(١) «البداية والنهاية» ١١/ ٣٧٧.

(٢) «وفيات الأعيان» ٢/ ١٣٤.

(٣) «تاريخ الإسلام السياسي» ٤/ ٤٣١.

الكتب تقع في عشر مجلدات[١].

٥- هٰذا فضلًا عن: خزائن كتب الخلفاء والحكام، وكانت تُعد من مكملات مظاهر الملك والسلطان.

إضافة أيضًا إلىٰ ما يمتلكه العلماء والأدباء في هٰذا العصر من مؤلفاتهم التي يتعذر ٱستقصاؤها.

وكل ذلك برهان واضح علىٰ بلوغ الأزدهار العلمي في عصر الثعلبي أوجه في شتىٰ ميادين الثقافة والعلوم[٢].

علماء نيسابور:

هٰذِه الحركة العلمية النشطة التي تحدثنا عنها سابقًا، وذلك الأزدهار العلمي، إنما قام علىٰ أيدي العلماء الذين كانوا في نيسابور، وما حولها، وهٰذا التفوق العلمي والثقافي، أثمر علماء في شتىٰ ميادين العلم.

وإذا عرفنا الكم الهائل من العلماء النيسابوريين، والواردين علىٰ نيسابور، الذين ذكرهم الحاكم في «تاريخ نيسابور» ؛ علمنا أن نيسابور كانت مجمعًا للعلماء وطلاب العلم.

ولا أدلَّ علىٰ ثرائها بالعلماء مما ذكره الذهبي من أن الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) أراد الرحلة إلى ابن النحَّاس في مصر فاستشار البرقاني في ذلك فقال له: إن خرجت إلىٰ مصر إنما تخرج إلىٰ رجل

---

(١) «معجم الأدباء» لياقوت الحموي ٢/ ٣١٥.

(٢) «الثعلبي ودراسة كتابه» ١/ ٢٢.

واحد، فإن فاتك ضاعت رحلتك، وإن خرجت إلىٰ نيسابور ففيها جماعة، فخرج إلىٰ نيسابور[١].

ومن مشاهير علماء نيسابور:

١- الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١)[٢]، صاحب «الجامع الصحيح».

٢- الإمام ابن المنذر النيسابوري (ت٣١٨)[٣]: من أشهر فقهاء نيسابور في بداية القرن الرابع، وهو صاحب «الإقناع»، «الإشراف علىٰ مذاهب العلماء»، «الإجماع»، «الأوسط»[٤] وغيرها.

٣- الإمام محمد بن علي القفال الشاشي (ت ٣٦٥)، الفقيه الشافعي. وهو من أبرز علماء الشافعية في بلاد ما وراء النهر.

٤- الإمام أبو عبد الله الحاكم (ت٤٠٥) صاحب «المستدرك على الصحيحين» وغيره، وهو شيخ الثعلبي

٥- الإمام الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت ٤١٨)[٥] صاحب كتاب «أصول ٱعتقاد أهل السنة والجماعة».

---

(١) «تذكرة الحفاظ» للذهبي ٣/ ١١٣٧.

(٢) له ترجمة في «تاريخ بغداد» ١٣/ ١٠٠، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٢/ ٥٥٧، «التقريب» (٦٦٦٧).

(٣) له ترجمة في: «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٧٨٢، «طبقات السبكي» ٣/ ١٠٢، «طبقات المفسرين» للداودي ٢/ ٥٠.

(٤) وقد طبع مؤخرًا بتحقيق دار الفلاح في ١٥ مجلد.

(٥) «المنتظم» لابن الجوزي ١٥/ ١٨٨، «طبقات الحفاظ» للسيوطي (٩٥٣)،

وغير هٰؤلاء[1].

وبعد:

فنخلُص مما سبق إلىٰ أن العصر الذي عاش فيه الثعلبي، كان عصر ٱزدهار علمي، وتفوّق ثقافي، والموطن الذي كان يقطن فيه الثعلبي، كان مجمعًا للعلماء وطلاب العلم، حيث كانت الدروس والحلقات العلمية تترىٰ في مساجد نيسابور، وكانت المدارس التي أنشئت في ذلك الوقت، تقوم بدور عظيم في تنشيط الحركة العلمية، من خلال الدروس التي كانت تعقد فيها، حتىٰ أضحت نيسابور من أكبر وأهم مراكز العلم في العالم الإسلامي، إلىٰ حد أنها أصبحت تضاهي بغداد حاضرة العلم والعلماء.

ولقد كان لهٰذا الٱزدهار الثقافي، والثراء العلمي، أثره الكبير على الإمام الثعلبي.

فالثعلبي وجد نفسه في نيسابور بين العلم وطلابه، فأخذ ينهل من هٰذا المعين المتدفق، فتنوعت معارفه، وتعدد مشايخه، وكثرت مسموعاته.

وهٰذا واضح من قوله في مقدمة تفسيره: فاستخرتُ الله تعالىٰ في تصنيف كتاب شامل مهذَّب، كامل ملخَّص مفهوم منظوم، مستخرج من زهاء مئة كتاب مجموعات مسموعات، سوىٰ ما التقطتُه من التعليقات،

«شذرات الذهب» ٣/ ٣٦٤.

(١) «الثعلبي ودراسة كتابه» ١/ ٢٥.

والأجزاء المتفرقات، وتلقفتُه من أفواه المشايخ الثقات، وهم قريب من ثلاث مئة شيخ.

وها نحن اليوم نعيش أثر تلك النهضة العلمية الجبارة، فنستقبل كل يوم من كتبهم أسفارًا ضخمة يقدمها لنا المحققون في عصرنا الحاضر، وما بين أيدينا اليوم من تراثهم الوفير إنما هو غيض من فيض، فليس كل ما ألَّفه أولئك العظماء وصل إلينا، فالحروب الدامية لم تقتصر علىٰ إراقة دماء البشر، بل ٱمتد أوارها حتىٰ أتىٰ علىٰ كثير من مكتبات العالم الإسلامي، وليس بخافٍ علينا ما فعله التتار بكتب العلم، إبَّان غزوهم بغداد.

ومن هٰذِه الأسفار الضخمة التي وصلتنا من تلك النهضة، هٰذا السفر العظيم «الكشف والبيان» الذي عكف علىٰ تحقيقه مجموعة من طلاب العلم في جامعة أم القرىٰ حرسها الله، ليخرجوه محققًا، فيستفيد منه طلاب العلم، ويعيشوا بين فرائده وفوائده.

المبحث الثالث

نشأته وطلبه للعلم

* المطلب الأول: نشأته:

ذكرنا في أول ترجمة المصنف، أن الإمام الثعلبي رحمة الله عليه لم يحظَ بترجمة وافية عند من ترجم له. فمصادر ترجمته ليس فيها شيء عن نشأته ولا عن طلبه للعلم.

ولكن من يطلع علىٰ تفسير الثعلبي، يجد بعض الدلالات التي تشير إلىٰ أنَّه رحمه الله نشأ وترعرع في بيئة علم. ولا غرو في ذلك، فهو نيسابوري، عاش في نيسابور، موطن العلم والعلماء، ومركز الأزدهار العلمي والثقافي، هٰذا من حيث العموم.

أما من حيث الخصوص، فإنَّ بيئة أبي إسحاق الخاصة، كانت هي الأخرىٰ بيئة علم وعلماء.

ولا أدل علىٰ ذلك من أنَّ بيته رحمه الله كان روضةً من رياض العلم، يأتي إليه العلماء وطلاب العلم، وتعقد فيه الحلقات والدروس العلميَّة، كما سيأتي بيانه في المطلب الثاني.

وبما أن الثعلبي نشأ في بيئة علم، وعاش في كنف بيت يأتي إليه أساتذة العلم، وتنعقد فيه دروس العلماء، فإنَّ ذلك الأمر كان له أكبر الأثر علىٰ نشأة الثعلبي، وطلبه للعلم، بل جده واجتهاده في هٰذا الطلب، إذ إنَّ البيت الذي يأتي إليه العلماء سيكون حقلًا علميًا

خصيبًا، ومن ثَمّ يكون صاحبه مقبلًا على العلم، حريصًا على المعرفة، وعلىٰ قضاء ربيع حياته وعنفوان شبابه في رحاب العلم والعلماء[١].

* **المطلب الثاني: طلبه للعلم**

بداية طلبه للعلم:

عند النظر في «تفسير الثعلبي» نجد أنَّه رحمه الله يشير أحيانًا إلىٰ تاريخ سماعه من بعض شيوخه. وهٰذِه السماعات كلها بعد سنة (٣٨٠هـ) وحدَّث عن شيخيه ابن المقرئ وابن مهران، وقد توفيا سنة (٣٨١ هـ) كما سبق ذكره عند الكلام عن ولادته.

ومن خلال الأمرين السابقين:

أ- تاريخ السماعات.

ب- أقدم شيوخه وفاةً.

يتبيَّن أن أبا إسحاق رحمه الله قد بدأ طلبه للعلم في الربع الأخير من القرن الرابع. ويمكن أن يكون قبل ذلك أيضًا والله أعلم.

جِدُّه ومثابرته في طلب العلم:

عرفنا فيما سبق أنَّ الثعلبي رحمه الله نشأ في بيئة علمية، حتىٰ إنَّ بيته الذي يسكن فيه، كان روضةً غنَّاء، بحلق العلم ودروس العلماء.

ولقد وافقت هٰذِه البيئة من الثعلبي إقبالًا كبيرًا على العلم، وجدًا

---

(١) انظر: «الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان» ١/ ٤١.

واجتهادًا في الطلب.

فقد ٱستطاع الثعلبي ٱستثمار الجو العلمي الذي عاش فيه ٱستثمارًا قويًّا ناجحًا، عاد عليه بالنفع التام في حياته العلمية، وأثمر إثمارًا عظيمًا في بناء شخصيته العلمية. وإنَّ المتأمل لخطبة الإمام الثعلبي التي صدَّر بها تفسيره، ليدرك تمام الإدراك مدىٰ قوة أبي إسحاق في تحصيله العلمي، ومدىٰ جدّه واجتهاده.

ومما يدل علىٰ ذلك الجد والاجتهاد، وتلك الهمة العالية ما يأتي:

أ- **قوله رحمه الله**: (وإنِّي منذ فارقت المهد إلىٰ أن بلغتُ الأشد، ٱختلفتُ إلىٰ طبقات الناس، واجتهدتُ في الٱقتباس من هٰذا العلم الذي هو للدين الأساس، وللعلوم الشرعية الراس، ووصلتُ الظلام بالضياء، والصباح بالمساء، بعزمٍ أكيد، وجهد جهيد، حتىٰ رزقني الله تعالىٰ وله الحمد من ذلك ما عرفتُ به الحق من الباطل، والمفضول من الفاضل، والصحيح من السقيم، والحديث من القديم، والبدعة من السُّنَّة، والحجة من الشُّبْهة).

هكذا كانت همة أبي إسحاق، وجدُّه واجتهاده في طلب العلم، فأيّ همَّةٍ بعد هٰذِه، وأي ٱجتهادٍ بعد هٰذا!

ب- كثرة شيوخه، وتعدُّد مصادره:

ولا شك أنَّ ذلك لا يتأتَّىٰ إلا لمن جدَّ واجتهد في الطلب، فأخذ يتردَّد علىٰ مجالس العلماء، ودروس العلم، ويسمع من هٰذا، ويقرأ علىٰ ذاك، في طلب مستمر، وعمل متواصل، لا يعرف الكلل، ولا

يستسلم للسآمة والملل.

وهكذا كان أبو إسحاق الثعلبي، حتىٰ تحقق له من ذلك، إنجاز عظيم، تمثَّل في ثلاث مئة شيخ، وعدد كبير من الكتب والمسموعات.

وهٰذا لعمر الله برهان ساطع على الجد والاجتهاد في طلب العلم، وثَنْي الرُّكَب أمام العلماء.

جـ- تنوع المادة العلمية في تفسيره:

إذ ذكر أنَّه ضمَّن كتابَهُ أربعة عشر نوعًا:

١- البسائط والمقدمات.

٢- العدد والتنزيلات.

٣- القصص والنزولات.

٤- الوجوه والقراءات.

٥- العلل والاحتجاجات.

٦- العربية واللغات.

٧- الإعراب والموازنات.

٨- التفسير والتأويلات.

٩- المعاني والجهات.

١٠- الغوامض والمشكلات.

١١- الأحكام والفقهيات.

١٢- الحكم والإشارات.

١٣- الفضائل والكرامات.

١٤- الأخبار والمتعلقات.

وهٰذا دليل آخر علىٰ سعة علم الثعلبي رحمه الله، وهٰذِه الموسوعية ما هي إلا ثمرة الجد والهمَّة العالية في طلب العلم.

ميادين علمه:

كما تنوَّعت معارف الثعلبي وعلومه، تنوَّعت كذلك الميادين التي تلقَّىٰ فيها أبو إسحاق هٰذِه العلوم.

وهٰذِه الميادين هي:

أ- **دار الثعلبي**: ذكر رحمه الله في مقدمة كتابه أنه روىٰ تفسير الدمياطي عن شيخه أبي حامد الصوفي في داره (أي دار الثعلبي).

قال رحمه الله: تفسير الدمياطي .. أخبرنا أبو حامد أحمد بن الوليد الصوفي بقراءتي عليه في داري سنة ثمان وأربع مئة.

وكذلك يروي رحمه الله عن شيخه ابن فنجويه في داره، فيقول في تفسير سورة الإخلاص: أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي الحافظ بقراءتي عليه في داري.

ب- **دُور شيوخه**: إذ كان الثعلبي رحمه الله يقصد شيوخه في منازلهم، يجلس بين أيديهم، يسمع منهم، ويقرأ عليهم.

فها هو رحمه الله يقصد دار شيخه المُكثِر عنه أبي محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني الوزان، ليجلس بين يديه، ويسمع منه تفسير أبي حذيفة النهدي، الذي يرويه ابن حامد بسنده إلىٰ أبي حذيفة.

يقول رحمه الله: تفسير النهدي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد

الوزَّان بقراءتي عليه في داره...إلخ.

جـ- المساجد: رغم كثرة المدارس بنيسابور، وإقبال العلماء وطلاب العلم عليها، إلا أنَّ ذلك لم يؤثر في المكانة العلمية للمساجد، التي تعد المنطلق العلمي الأول في العالم الإسلامي آنذاك.

والثعلبي أبو إسحاق كان من روَّاد تلك المساجد. إذ نجده يصرِّح في تفسيره بأنه تلقىٰ أحد مروياته في الجامع بنيسابور فيقول: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن علي بن إبراهيم السراج بقراءتي عليه في الجامع، يوم الجمعة، سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة.

د- المدارس: وقد سبق عند بيان الحالة العلميَّة لعصر الثعلبي، أنَّ نيسابور بلد الإمام الثعلبي، كانت منطلق المدارس العلمية في العالم الإسلامي. وكانت نيسابور تزدهر بهٰذِه المدارس، وتفخر بها.

وكان من هٰذِه المدارس العلميَّة، بعض المدارس التي أنشأها بعض مشايخ الثعلبي. كمدرسة شيخه أبي بكر محمد بن فورك. ومدرسة شيخه أبي إسحاق الإسفراييني.

هـ- رحلاته العِلميَّة: لم يذكر لنا المؤرخون شيئًا عن رحلات الإمام الثعلبي. وهو رحمه الله الجاد المجد المثابر في طلب العلم الذي تلقى العلم عمَّا يقارب ثلاث مئة شيخ، يبعد ألا يرحل إلى العلماء حيث يوجدون. لكننا لا نستطيع أن نقطع بأنه رحمه الله قد رحل لعدة أسباب:

الأول: أن غالب شيوخه نيسابوريون، أو ممن قدم نيسابور.

الثاني: أنَّ الرحلة لم تُذكر عنه رحمه الله عند من ترجم له.

الثالث: أنَّ غياب مؤلفاته الضخمة التي تبلغ أكثر من خمس مئة جزء، يجعل ذلك الأمر بالنسبة إلينا مجهولًا.

الرابع: أنَّ الواقع لا يحيل عدم الرحلة؛ ذلك لأن خراسان، وبخاصة «نيسابور» كانت مجمعًا للعلم والعلماء. حتىٰ إنَّ الرحلة في ذلك الوقت كانت إليها.

الخامس: لم يوجد من خلال البحث في تفسيره ما يدل علىٰ ذلك وإنَّما الذي وجدته هو أنَّ أبا إسحاق رحل خارج نيسابور، ولٰكن هٰذِه الرحلة لم تتجاوز منطقته خراسان.

إذ رحل رحمه الله إلىٰ «الطابران» وهي قرية من قرىٰ «طوس» في خراسان، بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ[(١)] سمع فيها من شيخه أبي الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الطبراني بها.

ورحل كذلك إلىٰ «درب الحاجب» إذ سمع فيها شيخه يعقوب العروضي.

---

(١) «معجم البلدان» ٤/ ٤٩.

المبحث الرابع

شيوخه وتلاميذه

* **المطلب الأول: شيوخه:**

عرفنا فيما سبق أنَّ الثعلبي رحمه الله قد عاش في عصر ٱزدهار علمي، ونهضه علمية، وأنَّ موطنه نيسابور كانت رياضًا غنَّاء، بدروس العلم والعلماء، إذ كانت تمتلئ بأساطين المعرفة، وأفذاذ العلماء، وكانت بحق معدن الفضلاء، ومنبع العلماء.

فالثعلبي رحمه الله نشأ وترعرع في بيئة العلم والعلماء، حتىٰ إنَّ بيته الذي يعيش في كنفه كانت تعقد فيه دروس العلم، ويقصده العلماء وطلاب العلم.

وعرفنا أيضًا أنَّ الثعلبي بجده واجتهاده، ومثابرته العجيبة ٱستثمر هٰذا الجو العلمي المزدهر، ٱستثمارًا ناجحًا، أثمر شخصيةً علمية قويةً متكاملة.

إلا أنَّ من أعظم وجوه هٰذا الٱستثمار: مواظبة الثعلبي علىٰ دروس العلم، وتردُّده علىٰ مجالس العلماء، وتنقّله بين تلك الرياض، وجلوسه بين أيدي أولئك الأفذاذ، وطوافه علىٰ شوامخ أعلام الأمة في عصره، يتبع معين العلم، ويُلقي الدِّلاء في بحار العلماء، ويتضلَّع من محصِّلات جهابذة العلماء، في مختلف فروع العلم: من تفسير وقراءات وحديث وفقه ولغة وأدب وغير ذلك. كلُّ ذلك في جلَد عجيب، وهمَّةٍ عالية،

وطلبٍ مستمر، دون كلل أو ملل، حتىٰ بلغ عدد شيوخه الذين روىٰ عنهم في كتبه ثلاث مئة شيخ. وطالب العلم إذا كثر شيوخه، وتنوَّعت فنونهم ومعارفهم، كان لذلك أثره الكبير، في بناء شخصيته العلمية، واتساع علمه، وشمول معرفته.

وهٰذِه السعة، وهٰذا التنوع في المعارف والفنون، ظاهر في شخصية الثعلبي، يدركه كل من قرأ في تفسيره، وتنقل في رياض هٰذا التفسير، بين آية، وحديث، وأثر، وشعر، تارة في توضيح معنىٰ آية، وتارة في بيان قراءة من القراءات، وتارة في مسألة فقهية، وأخرىٰ في نصيحة وعظية زُهديَّة، وهكذا مما سيأتي بسط الكلام فيه عند التعريف بالكتاب.

وسنذكر إن شاء الله أسماء شيوخ الثعلبي رحمه الله الذين روىٰ عنهم في هٰذه المقدمة مع ترجمة مختصرة لمن وجدنا له ترجمه- ومن لم نجد له ذكرًا في كتب التراجم ذكرنا ٱسمه فقط- وستأتي إن شاء الله ترجمة موسعة لكل منهم في الأعلام المترجم لهم، هٰذا إلىٰ جانب الترجمة لهم في أول موضع يردون فيه، وأما مواطن رواياتهم فيمكن الوقوف عليها في فهرس شيوخ المصنف.

١- إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن جعفر أبو إسحاق المستملي المقرئ الهمذاني الأعور. روىٰ عنه الحاكم أبو عبد الله، وذكره في «تاريخ نيسابور» وتوفي بها سنة (٣٥٥هـ)، وكان أعور صالحًا، ثبتًا في الحديث. ذكره في إسناد (ج٢/ ص١٨٨).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ١/ ١٩٢.

٢- إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو إسحاق الطبري النحوي كان من أهل الفضل والأدب، ولم نجد فيه جرحًا ولا تعديلًا.

انظر: «تاريخ بغداد» ٦/ ١٧.

٣- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران أبو إسحاق الإسفراييني، المهرجاني الإمام العلامة، أحد المجتهدين في عصره، وصاحب المصنفات الباهرة، وذكره أبو عبد الله الحاكم في «تاريخه» لجلالته، وكان ثقة ثبتًا في الحديث. توفي سنة (٤١٨هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ١/ ١٤٤، «السير» للذهبي ١٧/ ٣٥٣.

٤- أبو الحسن الشاماتي.

٥- أبو الحسن العبدري، العبدوسي.

٦- أبو الحسن بن مهران.

٧- أبو القاسم السمري.

٨- أبو ذر بن أبي الحسين بن أبي القاسم المذكر.

٩- أبو عبد الله بن محمد بن جعفر الأسودي.

١٠- أبو علي بن أبي عمرو الحيري الجرشي.

١١- أبو محمد بن أبي القاسم بن المؤمل.

١٢- أحمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس أبو الحسن العبدوي الهذلي، النيسابوري. روىٰ عن ابن خزيمة وأبي العباس الثقفي وجماعة، وعنه ابن الحافظ أبو حازم والحاكم أبو عبد الله وغيرهم، توفي سنة (٣٨٥هـ).

انظر: «تكملة الإكمال» لابن نقطة ٤/ ٢٩٤، «سير أعلام النبلاء» للذهبي

١٦/ ٥٠٤.

١٣- أحمد بن أبي أحمد محمد بن محمد بن إبراهيم بن حميد أبو بكر الأشناني، جليل، ثقة، من كبار الصالحين، سمع الكثير بنيسابور والعراق والحجاز مع أبي عبد الرحمن السلمي. روىٰ عن الأصم وأبي الحسن الطرائفي وابن نجيد. توفي سنة (٤١٦هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٧٧).

١٤- أحمد بن أُبي الفُرَاتي أبو عمرو الخوجاني قال السمعاني: ممن سكن خُوجان، وأعقب بها جماعة من الأولاد. وقال ابن ناصر الدين: له جزء معروف، توفي سنة (٣٩٩هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني ٢٩، ٢١٨، «الأنساب» للسمعاني ٤/ ١٢٧، «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/ ٣٦٣، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين ٧/ ٥٨.

١٥- أحمد بن أبي الفضل محمد بن هبة الله بن علي بن فارس أبو الحسين الأنصاري الأكفاني المعدل. سمع: أبا الحسن بن السمسار وأبا القاسم بن الطبيز وغيرهما، وروىٰ عنه: ابنه (أبو محمد ابن الأكفاني)، ولم أجد فيه جرحًا أو تعديلًا.

انظر: «تاريخ دمشق» ٥/ ٤٦٣.

١٦- أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن حفص بن مسلم بن يزيد، أبو بكر الحرشي الحيري النيسابوري الشافعي. كان من أصح أقرانه سماعًا، وأوفرهم إتقانًا، وأتمهم ديانةً واعتقادًا. وأثنىٰ عليه الحاكم وفخَّم أمره. وقال السمعاني: هو ثقة في الحديث. توفي سنة

(٤٢١هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٢/ ٢٠٢ - ٢٠٣، ٢٩٨، «طبقات الشافعيَّة الكبرىٰ» للسبكي ٤/ ٦، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٣٥٦.

١٧- أحمد بن الحسين بن مهران أبو بكر الأصبهاني الأصل، النيسابوري، المقرئ، مصنف كتاب «الغاية في القراءات» وكتاب «المبسوط في القراءات العشر». قال ابن الجزري: ضابط محقق، ثقة صالح، مجاب الدعوة. توفي سنة (٣٨١هـ).

انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٤٠٦، «غاية النهاية» لابن الجزري ١/ ٤٩، «شذرات الذهب» لابن العماد ٣/ ٢٢٠.

١٨- أحمد بن الوليد بن أحمد بن محمد بن الوليد أبو حامد الزوزني الواعظ الصوفي، المحدث ابن المحدث، شيخ ثقة، سمع الكثير، ورحل في السماع، وأدرك الإسناد العالي، وروىٰ بجرجان عن الطبراني، وأبي بكر الشافعي، والقاسم. توفي بنيسابور سنة (٤١٨هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٧٦)، «تاريخ جرجان» للسهمي (١٢١)، «الأنساب» للسمعاني ٣/ ١٧٦.

١٩- أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله أبو الفضل الشارغي الخوارزمي، قدم نيسابور سنة (٤٠٠هـ)، وعقد مجلس النظر ومجلس الإملاء وحضره المشايخ والكبار، وكان عنده الحديث عن مشايخ بغداد.

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص٩٠).

٢٠- أحمد بن محمد أبي الفضل بن يوسف أبو الحسن القهندزي النيسابوري الفقيه، وكان من أعيان المعدلين، ومن المناظرين المُبرزين، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، وقال: توفي في رجب سنة (٣٩٢هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٤/ ٥٦٨.

٢١- أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر الخفاف، أبو الحسين القنطري النيسابوري. قال الحاكم: مجاب الدعوة، وسماعاته صحيحة بخط أبيه من أبي العباس السراج، وأقرانه، وبقي واحد عصره في علو الإسناد. توفي سنة (٣٩٥هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٢/ ٣٨٧، ٤/ ٥٥٣، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٤٨١.

٢٢- أحمد بن محمد بن جعفر بن الطيب أبو الحسين الكلاباذي.

٢٣- أحمد بن محمد بن حاتم أبو حاتم الحاتمي الطوسي الفقيه. سمع: أبا سعيد ابن الأعرابي، والصفار، وطبقتهما. وعنه: الحاكم. ليس بحكيم؛ من جزء ابن عرفة. توفي سنة (٣٩٣هـ).

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/ ٢٧٩.

٢٤- أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمويه.

٢٥- أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف أبو الفضل النهشلي الصَّفّار العروضي. قال عبد الغافر: وهو شيخ أهل الأدب في عصره، حدث عن الأصم، وأبي الفضل المزكي، وأبي منصور الأزهري، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدي. توفي بعد

سنة (٤١٦هـ).

انظر: «تتمة يتيمة الدهر» (ص٢٠٥)، «معجم الأدباء» لياقوت ١/ ٤٩١ «بغية الوعاة» للسيوطي ١/ ٣٦٩.

٢٦- أحمد بن محمد بن محمد أبو العباس العدل.

٢٧- أحمد بن محمد بن يوسف بن يعقوب بن نصر أبو الحسن النصري المؤذن الجرجاني روىٰ عن أحمد بن محمد بن مالك، ولم يذكر بجرح أو تعديل.

انظر: «تاريخ جرجان» للسهمي (ص٩٨).

٢٨- أحمد بن يوسف، أبو حامد الخياط، شيخ قديم، ثقة، معروف. سمع الكثير، وحدث عن الأصم، وأبي الوليد القرشي، وأبي حامد العصفي، ثم عن أبي عمرو بن نجيد، وأبي جعفر محمد ابن أحمد بن سعيد الرازي، وغيرهم.

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٨٩).

٢٩- إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن علي أبو محمد المطوعي، كما صرح به المصنف في غير موضع، ولم أجد له ترجمة إلا أن يكون ابن أبي إسحاق الكيال الجرجاني، نزيل نيسابور، قدم بغداد، وحدث بها عن محمد بن أحمد بن سعيد الرازي، وأبي العباس الأصم، ومحمد بن عبد الله الصفار الأصبهاني. ولم يذكر بجرح أو تعديل.

انظر: «تاريخ بغداد» ٦/ ٤٠٢، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص١٥٩).

٣٠- الحسن بن أحمد بن محمد أبو محمد المخلدي الشيباني، النيسابوري. روىٰ عنه الحاكم ووثقه. قال الحاكم: وهو صحيح السماع والكتب، متقن الرواية، صاحب الإملاء في دار السنة، محدث العصر. وقال الذهبي: الإمام الصدوق المسند العدل، شيخ العدالة. توفي سنة (٣٨٩هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٥/ ٢٢٧، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٥٣٩، «شذرات الذهب» لابن العماد ٣/ ٢٦٠.

٣١- الحسن بن علي بن المؤمل بن الحسن بن عيسىٰ أبو محمد المؤملي الماسرجسي، الثقة العدل، من بيت العلم والعدالة حدث عن الأصم، وأبي عثمان عمرو بن عبد الله البصري، وأبي بكر أحمد بن إسحاق الصبغي وطبقتهم، توفي في شعبان سنة (٤٠٧هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص١٦٦)، «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٨/ ١٥٨.

٣٢- الحسن بن علي بن محمد بن حمدان أبو محمد السِّجْزي الخطيب.

٣٣- الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو الحسين المحمودي.

٣٤- الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر بن حبيب بن أيوب، أبو القاسم الحبيبي النيسابوري، العلامة المفسر الواعظ. قال عنه عبد الغافر الفارسي: إمام عصره في معاني القرآن وعلومه، مصنف التفسير المشهور، وكان أديبا نحويًّا، عارفًا بالمغازي والقصص والسير. حدث عن الأصم، وأبي زكريا العنبري، وأبي عبد الله الصفار، وأبي الحسن

الكارزي، وأبي محمد المزني، وأبي سعيد عمرو بن منصور الضرير، وأبي جعفر محمد بن صالح بن هانئ. قال الذهبي: تكلم فيه الحاكم في رقعة نقلها عنه مسعود بن علي السجزي، فالله أعلم اهـ. وقد صنف ابن حبيب في القراءات، والتفسير، والآداب، وعقلاء المجانين. توفي سنة (٤٠٦هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (٤٨٢)، «تاريخ جرجان» للسهمي (٢٦٩)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٢٣٧، ٣٣٥ «الوافي بالوفيات» للصفدي ١٢/ ٢٣٩، «طبقات المفسرين» للسيوطي (٣٢).

٣٥- الحسن بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله المرتب.

٣٦- الحسين بن محمد بن إبراهيم أبو علي البستاني الأصبهاني لعله السيوري الآتي ترجمته.

٣٧- الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن صالح بن شعيب ابن فنجويه أبو عبد الله الثقفي الدينوري. شيخ فاضل، كثير الحديث، كثير الشيوخ، كثير التصانيف الحسنة، والمعرفة بالحديث، روى الحديث نحوا من أربعين سنة... وكان من ثقات الرجال. قال شيرويه في «تاريخه»: كان ثقة صدوقا، كثير الرواية للمناكير، حسن الخط، كثير التصانيف. وقال ابن العماد الحنبلي: كان ثقة مصنفا. مات سنة (٤١٤هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٩٣)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٣٨٣، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين ٧/ ١١٨، «تبصير المنتبه» لابن حجر ٣/ ١٨٤، «شذرات الذهب» لابن

العماد ٣/ ٣٤٩.

٣٨- الحسين بن محمد بن حبش بن حمدان أبو علي الدينوري المقرئ. قرأ القراءات علىٰ أبي عمران موسىٰ بن جرير الرقي، والعباس بن الفضل الرازي، وأبي بكر ابن مجاهد. قرأ عليه محمد ابن المظفر بن حرب الدينوري، وأبو العلاء محمد بن علي الواسطي، ومحمد بن جعفر الخزاعي. قال أبو عمرو الداني: متقدم في علم القراءات مشهور بالإتقان، ثقة مأمون. وقال ابن الجزري: حاذق ضابط متقن. توفي سنة **(٣٧٣)**.

انظر: «معرفة القراء الكبار» للذهبي (ص ١٨٢)، «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري ١/ ٢٥٠.

٣٩- الحسين بن محمد بن علي بن إبراهيم أبو علي السيوري النيسابوري. وهو شيخ قديم ثقة، كثير الحديث، سمع أبا بكر القطان وأبا حامد بن بلال قبل أبي العباس الأموي الأصم، ثم سمع الأصم وأقرانه، وحدث. وتوفي سنة **(٣٩٧هـ)**.

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٣/ ٣٦٦، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص١٩٤) (٥٥٨).

٤٠- الحسين بن محمد بن محمد بن علي بن حاتم أبو علي الروذباري الطوسي، الإمام، المسند سمع «السنن» لأبي داود من أبي بكر محمد بن بكر بن داسة، وحدث بها عنه الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. توفي في ربيع الأول سنة **(٤٠٣هـ)**.

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٣/ ١٠٠، «التقييد» لابن نقطة (ص٢٣٢،

٢٤٩)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٢١٩.

٤١- الربيع بن محمد أبو الطيب الحاتمي.

٤٢- النعمان بن محمد بن محمود بن النعمان أبو نصر الجرجاني، التاجر الدهقان. سكن نيسابور، سديد صالح، فاضل، كتب الكثير وجمع وصنَّف أبوابًا، روىٰ عن أبي يعقوب البجري، وأبي حاجب الجهني، مات بنيسابور سنة (٣٩٦هـ)، وقيل: (٣٩٧هـ).

انظر: «تاريخ جرجان» للسهمي (٤٨٠)، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٥٩٨).

٤٣- حمد بن محمد بن حمد بن مرداس أبو منصور البوزجاني الحاكم الفقيه. تفقه ببلخ عند أبي القاسم الصفار، ثم سكن نيسابور، سمع منه الحاكم أبو عبد الله. مات سنة (٣٨٦هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ١/ ٤١٢.

٤٤- زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسىٰ، أبو علي السرخسي، الإمام العلامة، فقيه خراسان، شيخ القرَّاء والمحدثين. قال الحاكم: كان قد قرأ علىٰ أبي بكر ابن مجاهد... وكانت كتبه تَرِد عليَّ على الدوام. توفي سنة (٣٨٩هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٣/ ٢٤٤، «المنتظم» لابن الجوزي ٥/ ١٥، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٤٧٦، «طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ٢٩٣، «غاية النهاية» لابن الجزري ١/ ٢٨٨.

٤٥- سعيد بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن أبي عثمان أبو عمرو الحيري.

٤٦- سعيد بن محمد بن محمد بن إبراهيم أبو عثمان الزعفراني الحيري المقرئ. شيخ كبير ثقة صالح، كثير السماع، كثير الحديث والشيوخ، عالم بالقراءات، مقصود في علم القراءات. قال أبو الحسن: قرأت من خط أبي صالح الحافظ: إنه تغيَّر بعض التغير في آخر أمره. وحكي عن بعض الثقات أنه خلط في بعض مسموعاته. توفي في جمادى الأولىٰ سنة (٤٢٧هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (٧٢٨)، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين ٢/ ٤٩٦.

٤٧- سهل بن محمد بن سعيد أبو العباس المروزي.

٤٨- سهل بن محمد بن سليمان بن موسىٰ، أبو الطيب النيسابوري الصعلوكي شيخ الشافعية بخراسان، ومفتيها. قال الخليلي: الإمام في وقته، متفق عليه، عديم النظير في وقته علمًا، وديانة. توفي سنة (٤٠٤هـ).

انظر: «الإرشاد» للخليلي ٣/ ٨٦١، «الأنساب» للسمعاني ٣/ ٥٤٠، «طبقات الفقهاء الشافعية» لابن الصلاح ١/ ٤٨٠.

٤٩- شعيب بن محمد بن شعيب بن محمد بن إبراهيم أبو صالح العجلي البيهقي. سمع أبا نعيم عبد الملك بن عدي، ومحمد بن حمدون، وأبا حامد ابن الشرقي، ومكي بن عبدان. روىٰ عنه الحاكم أبو عبد الله، وأبو عثمان سعيد البحيري وغيرهما، وفي «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور»: مستور من أهل النواحي، توفي سنة (٣٩٦هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (٨٠١)، «طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي ٣/ ٣٠٣.

٥٠- شيبة بن محمد أبي أحمد بن أحمد بن شعيب بن هارون أبو محمد الشعيبي. ذكره الحاكم في «تاريخ نيسابور» فقال: سمع الحديث بإفادة أبيه من جماعة من الشيوخ، وكان من الصالحين، سمعه أبوه سنة إحدىٰ وعشرين وثلاث مئة وفي «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور»: مشهور من أهل بيت الحديث والورع والديانة. سمع من أبيه وعلي بن محمد الوراق، وأقاربه محدثون. وتوفي في المحرم سنة (٣٩٥هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (٨٠٢)، «الأنساب» للسمعاني ٣/ ٤٣٥، «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/ ٣١٥.

٥١- طاهر بن علي بن الحسين بن محمد بن عصمة أبو القاسم الصوفي، المقرئ. من وجوه أصحاب الإمام ابن مهران، قرأ للعشرة عليه.

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (٨٥٣)، «غاية النهاية» لابن الجزري ١/ ٣٤١.

٥٢- ظفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن زبارة أبو منصور الحسيني. قال عبد الغافر: خرَّج له الحاكم أبو عبد الله «الفوائد»، وسمع الخلق منه، وكانت أصوله وسماعاته صحيحة، ثم ٱحترق قصره بما فيه من الكتب، فضاعت أصوله، فبعد ذلك كانت تقرأ عليه مسموعاته من الفروع التي كتبت من أصوله وعورضت بها إلىٰ آخر عمره. توفي سنة (٤١٠هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص٢٧٠)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٢٦٣.

٥٣- عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق بن إسحاق، أبو القاسم المؤذن المحتسب، الشافعي، النيسابوري. مشهور، ثقة، كثير الحديث والرواية، مبارك الإسناد، سديد الطريق، آمر بالمعروف، شديد في النهي عن المنكر. توفي (٤٠٥هـ).

انظر: «التدوين في أخبار قزوين» للرافعي ٣/ ٤٧٩ - ٤٨٠، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١١٨٨)، «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٨/ ١١٥.

٥٤- عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر أبو القاسم الحيري.

٥٥- عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن نوح أبو سعيد.

٥٦- عبد الرحمن بن عبد الله بن علي بن سمقويه وفي «طبقات السبكي» سحنويه بن حمشاذ أبو بكر المُزكِّي الشافعي النيسابوري. ذكره الذهبي، وقال: روىٰ عن أبي العباس الأصم وغيره، ودَرَّس الفقه سنين. توفي سنة (٤٠٠هـ).

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/ ٣٨٤، «طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي ٥/ ١٠٥.

٥٧- عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيىٰ بن سختويه، أبو الحسن وأبو عبد الله الطبراني ابن أبي إسحاق المزكي، من فقهاء نيسابور، كان من عقلاء الرجال والعبّاد، ثقة. توفي سنة (٣٩٧هـ).

انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب ١٠/ ٣٠٢، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٤٩٧.

٥٨- عبد الرحمن بن محمد بن أحمد أبو محمد المزكي. سمع: أبا العباس محمد بن يعقوب، وأبا بكر محمد بن أحمد بن بالويه البالوي، وأبا جعفر محمد بن غالب بن حرب. سمع منه: أبو على الحسين بن على الحافظ والحاكم. قال عبد الغافر: أحد الثقات المتقنين والأمناء المعروفين. ومات في شعبان سنة (٤١٠هـ) قال الذهبي: الرئيس الأوحد، الثقة المسند، وكان من وجوه البلد، وكان صادقا أمينا.

انظر: «الأنساب» للسمعاني ١/ ١٢٧، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص٢٩٥)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٢٤٠.

٥٩- عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حبيب بن الليث بن شبيب أبو زيد القاضي النيسابوري الفقيه، وصفه عبد الغافر الفارسي بالإمام، أحد أئمة أصحاب الشافعي ومدرسيهم، وقال: وكان كثير الشيوخ، صحيح السماع. حدث عن الأصم، وأبي بكر الصبغي، والبيهقي، وعنه: القشيري، وابن أبي زكريا. توفي سنة (٤١٣هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص٣٠٢)، «طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي ٥/ ١٠٩، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٢٣٨.

٦٠- عبد الرحمن بن محمد بن يحيىٰ بن ياسر أبو الحسن التميمي، الدمشقي الجَوْبَري. ذكر الذهبي عن أحد الذين أخذوا عن عبد الرحمن،

ويدعى الكتاني، أنه قال عنه: كان يحسن المتون، وجدت سماعه في «صحيح البخاري»، ثم قال: مات في صفر سنة (٤٢٥هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٢/ ١٠٨، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٤١٥، «شذرات الذهب» لابن العماد ٣/ ٣٨٥.

٦١- عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو سهل الضرير.

٦٢- عبد السلام بن أحمد بن داود بن عبد الصمد أبو محمد الهاشمي البغدادي.

٦٣- عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن بالويه أبو محمد البالوي الحيري لم يذكر بجرح أو تعديل.

٦٤- عبد الله بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن رستم بن ماهان، أبو محمد الماهاني، الأصبهاني الوزان الفقيه، الواعظ، من أهل نيسابور، ولد بنيسابور، وتفقه علىٰ أبي الحسن البيهقي، ثم خرج إلىٰ أبي علي ابن أبي هريرة، وتعلم الكلام من أبي علي الثقفي، وأعيان الشيوخ، وسمع بنيسابور أبا حامد ابن الشرقي، ومكي بن عبدان، وأقرانهما، روىٰ عنه الحاكم وغيره. توفي سنة (٣٨٩هـ) وهو ابن (٨٣) سنة.

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٥/ ١٨٢ وتصحف فيه إلىٰ (عبد الله بن جابر)، «طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي ٣/ ٣٠٦، «كشف الظنون» لحاجي خليفة ١/ ٤٥٢.

٦٥- عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق.

٦٦- عبد الله بن محمد أبو محمد الهروي الهاروني.

٦٧- عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبو القاسم الحرضي.

٦٨- عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبو القاسم البابي.

٦٩- عبد الله بن محمد بن أحمد بن عقيل أبو محمد الأنصاري.

٧٠- عبد الله بن محمد بن الطيب أبو محمد.

٧١- عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو القاسم النهدي.

٧٢- عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو محمد الماسرجي.

٧٣- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن همردان، أبو أحمد الرازي.

٧٤- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي بن زياد أبو القاسم السِّمَّذي الدورقي. سمع أبا بكر محمد بن حمدون وأبا حامد ابن الشرقي. حدث عنه: أبو سعيد عبد الرحمن بن حمدان النصروي، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحاكم النيسابوري، توفي سنة (٣٩١هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٧/ ٢١٧، «التقييد» لابن نقطة (٣٨٤)، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين ٥/ ١٧٠-١٧١.

٧٥- عبد الله بن محمد بن عبد الله -وقيل: ابن عبد- أبو محمد الفامني، وقيل: القايني. وقيل: القاني. وقيل: القاري. ولعله الماسرجي السابق.

٧٦- عبد الله بن يحيى العدل.

٧٧- عبد الله بن يوسف بن أحمد بن باموية أبو محمد الأردستاني الأصبهاني. نزيل نيسابور. قال الخطيب: وكان ثقة. وقال السمعاني:

كان أحد الثقات المكثرين، وكان له قدم ثابت في التصوف، وعاش حتىٰ صارت إليه الرحلة. ولد سنة (٣١٥هـ)، وتوفي في رمضان سنة (٤٠٩هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ١/ ١٠٨، «معجم البلدان» لياقوت ١/ ١٤٦، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٢٣٩، «تاريخ بغداد» للخطيب ١٠/ ١٩٨.

٧٨- عبد الملك بن أبي عثمان واسمه محمد بن إبراهيم الزاهد أبو سعد النيسابوري الخركوشي. قال الخطيب: كان ثقة، صالحًا، ورعًا، زاهدًا. توفي سنة (٤٠٦هـ)، وقال الذهبي: توفي في جمادى الأولىٰ سنة (٤٠٧هـ).

انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب ١٠/ ٤٣٢، «الأنساب» للسمعاني ٢/ ٣٥٠، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٢٥٦.

٧٩- عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق بن الأزهر أبو نعيم الأزهري الإسفراييني الشيخ العالم، مُسند خراسان. قال الحافظ عبد الغافر: كان صالحًا ثقةً، حضر إلىٰ نيسابور في آخر عمره، ولم يُعهد بعد ذلك المجلس مثله لقراءة الحديث كما حدثنا الثقات، وعاد إلىٰ إسفرايين، وذلك في سنة تسع وثلاث مئة. وقال الحاكم: رأيت سماعاته التي نظرت فيها صحيحة وقد خرجت عنه في «الصحيح». توفي سنة (٤٠٠هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ١/ ١٤٤، «العبر» للذهبي ٢/ ١٩٧، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٧١، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٠٧٤).

٨٠- عبد الملك بن علي أبو حنيفة القزويني، شيخ روىٰ بنيسابور التفسير المعروف بـ «الواضح»، رواه عنه أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني، والثعلبي.

انظر: «التدوين في أخبار قزوين» للرافعي ٣/ ٢٧١.

٨١- عبد الملك بن محمد بن أحمد بن حبيب أبو سهل المقرئ.

٨٢- عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد، أبو الفضل الفامي. سمع أبا العباس السراج، وأكثر عنه لعلو سنده، قال الحاكم: سماعاته بخط أبيه صحيحة. روىٰ عنه سعيد العيار وآخرين.

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/ ١٦٨، «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي ٣/ ١٢٨.

٨٣- عبيد الله بن محمد بن محمد بن مهدي بن سعيد بن عاصم أبو محمد النيسابوري القشيري الصيدلاني الأصم العدل. قال الذهبي: ثقة رضىٰ. قال أبو صالح المؤذن: دخلت عليه فقرأ علي جزءًا من حديث الأصم بلفظه، وكان صحيح السماع وروىٰ عنه البيهقي في «سننه».

انظر: «تاريخ الإسلام» ٢٨/ ١٩١.

٨٤- عروة بن محمد بن عروة، أبو القاسم وأبو الهيثم.

٨٥- عقيل بن محمد بن أحمد الجرجاني الإسترابادي الفقيه.

٨٦- علي بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن السكري المؤذن الأعرج أبو الحسن، نبيل من أصحاب أبي عبد الرحمن السلمي، حدث عن الأصم، وابن نجيد، وابن مطر، توفي سنة (٤١٠هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٢٥٠)، «تاريخ

الإسلام» للذهبي ٢٨/ ٢٠٨.

٨٧- علي بن الحارث أبو الحسن البيَّاري الخراساني، صاحب كتاب «شرح الحماسة» و«صناعة الشعر»، قال الباخرزي: عنده مُفصل الفضل ومجموعُه، ومرأى الأدب ومسموعه، ومعدن العلم وينبوعه. والذي تشد إليه الرحال، وتزم نحوه الجمال، ويقصد محله القصاد، وينثال علىٰ مناهله الروَّاد.

انظر: «دمية القصر» للباخرزي (ص٣٠٢)، «إنباه الرواه» للقفطي ٢/ ٢٧٤.

٨٨- علي بن محمد بن الحسن بن محمد أبو الحسين أو الحسن الخبَّازي الكبير الجرجاني المقرئ. قال ابن الجزري: إمام ثقة، مؤلف محقق. توفي بنيسابور سنة (٣٩٨هـ).

انظر: «غاية النهاية» لابن الجزري ١/ ٥٧٧، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين ٢/ ٤٦٠.

٨٩- علي بن محمد بن القاسم بن حجر أبو الحسن الجرجاني الشاعر المعروف ببارع، سكن بخارىٰ. روىٰ عن: أبي أحمد ابن عدي، وأبي بكر الإسماعيلي، وجماعة.

انظر: «تاريخ جرجان» للسهمي (ص ٣٥٤، ٥٦٦).

٩٠- علي بن محمد بن سعيد أبو الحسن السرخسي الخطيب.

٩١- علي بن محمد بن علي بن حسين بن شاذان بن السقا أبو الحسن الإسفراييني، القاضي، الإمام، الحافظ الناقد، من أولاد أئمة الحديث. توفي سنة (٤١٤هـ).

انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٣٠٥.

٩٢- علي بن محمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن البغدادي الطرازي، الشيخ الكبير، مسند خراسان، من كبار النيسابوريين.

انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٤٠٩.

٩٣- عمر بن أحمد بن محمد بن عمر أبو حفص الجُوري لم يذكر بجرح أو تعديل.

٩٤- كامل بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر أبو جعفر العزائمي المستملي النيسابوري، النحوي، مشهور، حافظ، عارف بالنحو، بارع في الرواية، حسن القراءة. قال عبد الغافر: ثقة، صحيح الرواية. حدث في سنة (٤٠٥هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص٤٢٦)، «بغية الوعاة» للسيوطي ٢/ ٢٦٦.

٩٥- محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان أبو بكر الأصبهاني المشهور بابن المقرئ، صاحب «المعجم الكبير». قال ابن مردويه: هو ثقة مأمون صاحب أصول. وقال أبو نعيم: محدث كبير، ثقة صاحب مسانيد. مات سنة (٣٨١هـ).

انظر: «ذكر أخبار أصبهان» لأبي نعيم ٢/ ٢٦٧، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٣٩٨، «غاية النهاية» لابن الجزري ٢/ ٤٥.

٩٦- محمد بن إبراهيم بن يحيىٰ أبو بكر النيسابوري، الكسائي، الشيخ النحوي البارع. قال الذهبي: تخرَّج به جماعة في العربية، وروىٰ «صحيح مسلم» عن ابن سفيان، رواه عنه أبو مسعود أحمد

ابن محمد البجلي، وذلك إسناد ضعيف. وقال في «ميزان الاعتدال»: غمزه الحاكم، فقال: روى الحديث من غير أصل. توفي في سنة (٣٨٥هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٥/ ٦٧، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٤٦٥، «ميزان الاعتدال» للذهبي ٣/ ٤٥٠، «لسان الميزان» لابن حجر ٥/ ٢٦.

٩٧- محمد بن أبي إسماعيل علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم أبو الحسن الصوفي السني. سمع: أبا يعقوب الأذرعي، وأبا الميمون بن راشد، وجعفر بن محمد بن عديس وجماعة. روىٰ عنه: الحاكم أبو عبد الله، وأبو سعد الجنزرودي، وأبو عبد الرحمن السلمي. قال شيرويه: ثقة صدوق. توفي سنة **(٣٩٣هـ)**.

انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب ٣/ ٩٠-٩١، «الأنساب» للسمعاني ٥/ ٦٠٧، «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٥٤/ ٣٠٢.

٩٨- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حمدون أبو بكر الأشناني، أكثر الخطيب من الرواية عنه.

٩٩- محمد بن أحمد بن عبد الأعلىٰ بن القاسم أبو عبد الله المقرئ الوَرْشي، المغربي، الأندلسي. ذكره الحاكم في «تاريخ نيسابور» وقال: من الصالحين المذكورين بالتقدم في علم القرآن، سمع بمصر والشام والحجاز والعراقين والجبال وأصبهان الكثير بعد الخمسين، وورد نيسابور بعد السبعين وثلاث مئة، بعد أن سكنها سبع سنين. قال السمعاني: قلت: سمع بأصبهان علي بن المرزبان الأصبهاني،

وبكور الأهواز عبد الواحد بن خلف الجُنْديسابوري، وبفارس أحمد ابن عبد الرحمن بن الجارود الرقي.

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٥/ ٥٩١.

١٠٠- محمد بن أحمد بن عبد الله أبو بكر المزكي المنصوري لم يذكر بجرح أو تعديل.

١٠١- محمد بن أحمد بن عبدوس بن أحمد أبو بكر المزكي الحيري النيسابوري، النحوي، الفقيه. روىٰ عنه أبو عبد الله الحاكم، وقال: عقدتُ له مجلس الإملاء سنة ثمان وثمانين، توفي سنة (٣٩٦هـ).

انظر: «إنباه الرواه» للقفطي ٣/ ٥٦، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٥٧. وتفسيره ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» ١/ ٤٤٠.

١٠٢- محمد بن أحمد بن علي بن نصير بن عبد الله؛ أبو عبد الله النصيري النيسابوري. قال الحاكم: وليس الحديث من شأن الشيخ. وقال السمعاني: المعدل، من أكابر الشهود، ومتوسط التجار. خرج له أبو بكر البغدادي فوائده لخروجه إلى الحج. توفي في محرم سنة (٣٨٩هـ).

انظر: «سؤالات مسعود السجزي للحاكم» (ص٧١)، «تاريخ بغداد» للخطيب ١/ ٣٢١، «الأنساب» للسمعاني ٥/ ٤٩٩-٥٠٠، «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير ٣/ ٣١٣، «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/ ١٨٧.

١٠٣- محمد بن أحمد بن محمد التمار أبو بكر.

١٠٤- محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبدة بن قطبة بن سليط أبو العباس السليطي التميمي، من أهل نيسابور. قال السمعاني:

كان شيخًا صالحًا سديدًا، حسن السيرة. ثم قال: روىٰ عنه الحاكم أبو عبد الله، وذكره في «تاريخ نيسابور».

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٣/ ٢٨٤.

١٠٥- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شاذان، أبو أحمد الرازي الصيدلاني الشافعي الأديب. دين ثقة مشهور. توفي سنة (٤١٥هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٨).

١٠٦- محمد بن أحمد بن محمد بن عقيل أبو بكر القطان، النيسابوري. يروي عن محمد بن أحمد بن دلويه وعلي بن عبدان، وعنه الحاكم وأبو علي الصابوني، توفي سنة (٣٨٨هـ).

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي. ٢٧/ ١٧٣.

١٠٧- محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المزكي أبو عبد الله.

١٠٨- محمد بن الحسن ابن فورك أبو بكر الأصبهاني. بلغت مصنفاته قريبا من مئة مصنف في أصول الدين والفقه ومعاني القرآن، وكان مؤلفا في التفسير. قال الذهبي: كان أشعريا، رأسا في فن الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري. توفي سنة (٤٠٦هـ).

انظر: «إنباه الرواه» للقفطي ٣/ ١١٠، «طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي ٤/ ١٢٧، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٢١٤، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١).

١٠٩- محمد بن الحسين بن داود بن علي بن عيسىٰ بن محمد بن

القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو الحسن. روىٰ عنه الحاكم والبيهقي، وأثنىٰ عليه الحاكم. توفي سنة (٤٠١هـ). قلت: قد صحح له البيهقي إسناد حديث رواه من طريقه فقال ٥/ ١٤٢: هٰذا إسناد صحيح.

انظر: «طبقات الشافعية» لابن الصلاح ١/ ١٤٨، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٩٨.

١١٠- محمد بن الحسين بن محمد بن موسىٰ أبو عبد الرحمن الأزدي السلمي النيسابوري، كبير الصوفية، صاحب التصانيف. قال الخليلي: ثقة متفق عليه من الزهاد. وقال محمد بن يوسف القطان: كان يضع الحديث للصوفية. وقال الخطيب البغدادي: محله كبير، وكان مع ذلك صاحب حديث، مجوِّدا وقال السراج: مثله -إن شاء الله- لا يتعمد الكذب. ونسبه إلى الوهم. وقال الذهبي: وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة. وقال كذلك: تكلموا فيه، وليس بعمدة، روىٰ عن الأصم، وطبقته، وعني بالحديث ورجاله، وفي القلب مما يتفرد به، وقال في «ميزان الاعتدال»: متكلم فيه. توفي سنة (٤١٢هـ).

انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب ٢/ ٢٤٨، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٢٤٧، «ميزان الاعتدال» للذهبي ٣/ ٥٢٣.

١١١- محمد بن الحسين بن نجيد بن عبد الكريم أبو الحسن.

١١٢- محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو الطاهر السلمي النيسابوري. قال الحاكم: عقدت له مجلس التحديث في سنة ثمان وستين وثلاث مئة، ودخلت بيت كتب جده، وأخرجت له منها

مئتين وخمسين جزءًا من سماعاته الصحيحة، ومد يده إلىٰ كتب غيره فقرأ منها، ثم إنه مرض وتغير بزوال عقله في ذي الحجة سنة أربع وثمانين، ثم أتيته فوجدته لا يعقل. قال العراقي: فعلىٰ هٰذا يكون مدة ٱختلاطه سنتين وخمسة أشهر. وقال الذهبي: وما أراهم سمعوا منه إلا في حال وعيه، فإن من زال عقله كيف يمكن السماع منه، بخلاف من تغير، ونسي، وانهرم. توفي سنة (٣٨٧هـ).

انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٤٩٠، «لسان الميزان» لابن حجر ٥/ ٣٤١، «التقييد والإيضاح» للعراقي (ص٤٤٢).

١١٣- محمد بن القاسم بن أحمد المرتب أبو الحسن الماوردي القلوسي الفارسي النيسابوري الفقيه الأصولي المفسر، صاحب كتاب «المصباح» والتصانيف المشهورة، سمع الكثير، وجمع الأبواب. توفي سنة (٤٢٢هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (٤٣).

١١٤- محمد بن جعفر بن الحسن أبو زرعة.

١١٥- محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن بديل أبو الفضل الجرجاني المقرئ الخزاعي. صنف كتبا في القراءات، روىٰ عن أبي بكر القطيعي والحسن بن سعيد المطوعي وأبي علي بن حبش مات بآمل سنة (٤٠٨).

انظر: «تاريخ جرجان» لأبي القاسم الجرجاني (ص ٤٥٨)، «معرفة القراء الكبار» للذهبي (ص ٢١٢).

١١٦- محمد بن حسان أبي الوليد بن محمد أبو عبد الله القرشي

النيسابوري. الفقيه الشافعي، أفتىٰ، ودرس زمن أبيه، وروىٰ عن ابن الشرقي، وابن عبدان، وعنه الحاكم وجماعة. توفي في شوال سنة (٣٨٦هـ)، وله أربع وثمانون سنة.

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/ ١٢٥، «طبقات الشافعية» للأسنوي ٢/ ٤٧٣.

١١٧- محمد بن حمويه.

١١٨- محمد بن عبد الله بن حمدون أبو سعيد النيسابوري العالم، الزاهد، الصالح، لم يذكر بجرح أو تعديل، ووصفه المصنف بأنه ثقة أمين.

١١٩- محمد بن عبد الله بن حمشاذ أبو منصور النيسابوري الحمشاذي. قال الذهبي: تفقَّه وبرع، وأتقن علم الجدل والكلام والنظر، وأخذ النحو عن أبي عمر الزاهد، وكان عابدًا، متألهًا، واعظًا، مجاب الدعوة، منقبضًا عن أبناء الدنيا. بالغ في تقريظه الحاكم، وقال: ظهر له من مصنفاته أكثر من ثلاث مئة كتاب مصنف. توفي سنة (٣٨٨هـ).

انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٤٩٨، «الوافي بالوفيات» للصفدي ٣/ ٣١٧، «طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي ٣/ ١٧٩.

١٢٠- محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم أبو عبد الله الحاكم الضبي المعروف بابن البيِّع، الطهماني النيسابوري الشافعي المعروف بابن البيِّع، صاحب «المستدرك على الصحيحين»، «تاريخ نيسابور» وغيرهما من المصنفات. قال الخطيب البغدادي: كان

من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ، وكان ثقة. قال عبد الغافر: الحاكم أبو عبد الله هو إمام أهل الحديث في عصره، العارف به حق معرفته...، ثم قال: ومن تأمل كلامه في تصانيفه، وتصرفه في أماليه، ونظره في طرق الحديث، أذعن بفضله، واعترف له بالمزية علىٰ من تقدمه، وإتعابه من بعده، وتعجيزه اللاحقين عن بلوغ شأوه، عاش حميدًا، ولم يخلف في وقته مثله. وقال الذهبي: سمع من نحو ألفي شيخ... وصنَّف وخرَّج، وجرَّح وعدَّل، وصحَّح وعلَّل، وكان من بحور العلم علىٰ تشيع قليل فيه. وقال في «ميزان الاعتدال»: إمام صدوق. توفي سنة (٤٠٥هـ).

انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب ٥/ ٤٧٣، «الأنساب» للسمعاني ١/ ٤٣٢، «المنتظم» لابن الجوزي ١٥/ ١٠٩، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ١٦٢، «ميزان الاعتدال» للذهبي ٣/ ٦٠٨، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١)، «طبقات الحفاظ» للسيوطي (٩٢٩).

١٢١- محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا أبو بكر الشيباني، الجوزقي النيسابوري الخراساني. الإمام الحافظ، صاحب «الصحيح» المخرَّج علىٰ كتاب مسلم، وله «المتفق والمفترق» و«الأربعون». قال أبو يعلى الخليلي: ثقة، متفق عليه، سألت عنه الحاكم، فأثنىٰ عليه، ووثقه. توفي سنة (٣٨٨هـ).

انظر: «الإرشاد» للخليلي ٣/ ٨٥٩، «الأنساب» للسمعاني ٢/ ١١٩، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٤٩٣.

١٢٢- محمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم أبو جعفر البونابادي

الخَلْقَاني.

١٢٣- محمد بن علي بن الحسين بن الحسن أبو الحسن العلوي الحسني الزيدي الهمداني، المُلقب بالوصي، ولد: سنة عشر وثلاث مئة. وسمع من: إسماعيل الصفار، وخيثمة الأطرابلسي، والأصم وابن الأعرابي، وأبي الميمون بن راشد، وغيرهم. وعنه: محمد بن عيسىٰ، وعبد الرحمن بن أبي الليث الصفار، ومحمد بن عمر بن عزيز، وغيرهم. ثقة صدوق. مات سنة (٣٩٣ هـ).

انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٧٧.

١٢٤- محمد بن علي بن سهل بن مصلح أبو الحسن النيسابوري الشافعي الماسَرْجِسي شيخ الشافعية في عصره، وأحد أصحاب الوجوه. قال الحاكم: وكان من أعرف أصحابنا بالمذهب وترتيبه وفروع المسائل، تفقه بخراسان والعراق والحجاز، وعقد له مجلس الدرس والنظر. توفي سنة (٣٨٤هـ).

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٥/ ١٧٠، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٤٤٦، «طبقات الشافعية» للأسنوي ٢/ ٣٨٠.

١٢٥- محمد بن علي بن محمد أبو نصر الشيرازي الفقيه التاجر نَزِيلُ نَيْسَابُورَ، وَالِدُ أَبِي عُبَيْدِ اللهِ الشِّيرَازِيِّ، الفاضل الثقة الأمين. سمع عن الأصم، وأبي عبد الله الشيباني الحافظ، وأبي بكر الشافعي، وابن الصواف، وغيرهم، توفي سنة تسع وأربع مئة ودفن بباب معمر.

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٥)، «تاريخ

الإسلام» للذهبي ٩/ ١٤٥.

١٢٦- محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان أبو بكر الطِّرازي البغدادي المقرئ. قال الخطيب: ذاهب الحديث، روىٰ مناكير وأباطيل. وقال ابن الجزري: مقرئ محقق كامل، أخذ القراءة عرضًا على ابن مجاهد. توفي سنة (٣٨٥هـ).

انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب ٣/ ٢٢٥، «الأنساب» للسمعاني ٤/ ٥٦، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٤٦٦، «غاية النهاية» لابن الجزري ٢/ ٢٣٧.

١٢٧- محمد بن محمد بن الحسن بن هانئ أبو بكر البزاز النيسابوري.

١٢٨- محمد بن محمد بن يعقوب بن إسماعيل بن الحجَّاج أبو الحسين الحجَّاجِي النيسابوري. الإمام الحافظ الثقة، لقبه أبو نعيم بعفان لثقته. وقال الحاكم: الصدوق الثبت. وقال الخطيب: كان ثبتًا حافظًا. توفي سنة (٣٦٨هـ).

انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب ٣/ ٢٢٣، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٢٤٠، «طبقات الحفاظ» للسيوطي (٨٦٥).

١٢٩- محمد بن موسىٰ بن أبان أبو بكر الأصبهاني.

١٣٠- محمد بن موسىٰ بن الفضل بن شاذان أبو سعيد الصيرفي النيسابوري قال الصريفيني: الثقة الرضا، المشهور بالصدق والإسناد العالي. وقال الذهبي: الشيخ الثقة المأمون. توفي سنة (٤٢١هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٧)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٣٥٠.

انظر: «الأنساب» للسمعاني ٥/ ٣٤٤، «المنتظم» لابن الجوزي ١٤/ ١١٢، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٥/ ٤٥٢، «غاية النهاية» لابن الجزري ١/ ٢٨٣، «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي ٣/ ٣١٧، «طبقات الحفاظ» للسيوطي (٨٠٤).

١٣١- منصور بن أحمد أبو صالح المشطبي.

١٣٢- مهدي بن عبد الله بن القاسم بن الحسن أبو محمد العلوي.

١٣٣- ناصر بن محمد أبو المكارم الأنصاري.

١٣٤- نافل [باقل] بن راقم بن أحمد بن عبد الجبار البابي القارئ.

١٣٥- هارون بن محمد بن هارون العطار. وقد ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٣٨٣ في شيوخ ابن فنجويه.

١٣٦- يحيىٰ بن إبراهيم بن محمد بن يحيىٰ أبو زكريا المزكي النيسابوري. قال الخليلي: ثقة. وقال عبد الغافر: وكان عديم النظير دينًا، وزهدًا، وورعًا، وصلاحًا، وإتقانًا، وصدقًا، واحتياطًا في الرواية ما كان يحدث إلا من كتابه يقرأ عليه؛ فينظر في أصله. توفي سنة (٤١٤هـ).

انظر: «الإرشاد» للخليلي ٣/ ٨٦٣، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص٤٨١)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٢٩٥، «طبقات الشافعية» للأسنوي ٢/ ٣٩٦.

١٣٧- يحيىٰ بن إسماعيل بن يحيىٰ بن زكريا بن حرب أبو زكريا النيسابوري المزكِّي الحَرْبي، نسبةً إلى الجد. قال السمعاني: من ثقات أهل نيسابور. وقال الذهبي: كان أديبًا، أخباريًا، عالمًا،

متفنِّنًا، رئيسًا، محتشمًا، من أهل الصدق والأمانة علىٰ بدعةٍ فيه، عُمِّر دهرًا واحتيج إليه. توفي سنة (٣٩٤هـ).

انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب ١٤/ ٢٣٨، «الأنساب» للسمعاني ٢/ ١٩٨، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٦/ ٥٤٣.

١٣٨- يحيىٰ بن محمد بن الحسن بن هارون أبو القاسم المقرئ الفامي المعلم الزاهد الملقاباذي، شيخ سديد ورع عفيف، سمع من أبي علي الرفا الهروي، وروىٰ كتاب «الأموال» لأبي عبيد وغير ذلك من المسانيد، وقرأ عليه الحفاظ، وحدث سنة (٣٩٠هـ) وبعدها توفي.

انظر «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» (ص٥٣٠).

١٣٩- يحيىٰ بن محمد بن يحيىٰ أبو بشر الكاتب، النيسابوري. ذكره الذهبي، وقال: روىٰ عن الأصم، وعلي بن حمشاذ. وتوفي في شعبان سنة (٣٩٣هـ).

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/ ٢٩٦.

١٤٠- يعقوب بن أحمد بن السري أبو القاسم الأرغياني العروضي النحوي.

ولم يكن هؤلاء المشايخ في فن واحد كما ذكر في تراجمهم فمنهم الأصولي، والفقيه، والمقرئ، واللغوي، والمتكلم..، مما كان له أثر كبير في غزارة شخصية المصنف العلمية كما سبق أن أشرنا.

* المطلب الثاني: تلاميذه:

إنَّ هٰذا العلم ميراث النبوة، يأخذه كل جيل عمن سبقه، ويسلمه لمن بعده.

ولا تظهر مكانة الشيخ ومعرفة قدره وفضله بشكل جلي، إلا بالوقوف علىٰ آثاره في تلامذته، فإنَّ التلميذ أثر من آثار شيخه، وثمرة من ثماره، يشيع به ذكره، وينتشر علمه.

وكبار الأئمة السالفين، ما كنا نعرف عنهم شيئًا لولا تلامذتهم الذين نشروا علمهم في كل مكان، وحملوا للناس في شتى البقاع آثارهم، وكم من الأئمة الذين اندثر ذكرهم، واضمحل أثرهم، وتلاشىٰ صيتهم، بعد أن امتلأت الدنيا بسمعتهم في أثناء حياتهم. وما ذاك إلا لأنهم لم يُمنحوا تلامذة يحيون ذكرهم، ويحملون عنهم علمهم.

وأبو إسحاق الثعلبي كان مقصد طلاب العلم في وقته، إذ كان يفد إليه الطلاب من كل حدب وصوب.

حتىٰ إنَّ أبا الفضل العروضي شيخ أبي الحسن الواحدي تلميذ الثعلبي، عاتب تلميذه الواحدي لما تأخر في طلب العلم عن الثعلبي[1]. وقال له: أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز،

---

(١) كان سبب تأخر الواحدي أنه أراد أن يُلم بالأدب أولًا، ليتدرج به إلى التفسير. كما نصَّ هو علىٰ ذلك عندما قال في جوابه لشيخه: إنما أتدرج بهٰذا إلىٰ ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب، بجدٍّ وتعب، لم أرْمِ في غرَض التفسير من كثَب. «مقدمة البسيط» للواحدي ١/ ٤١٩.

تقرأه علىٰ هٰذا الرجل الذي يأتيه البُعَداء من أقاصي البلاد[١]. يعني أبا إسحاق الثعلبي. وكيف لا يكون الثعلبي كذلك، وهو إمام التفسير في عصره، ولو لم يكن للثعلبي إلا تفسيره «الكشف والبيان» لكان حقيقًا أن تُشد إليه الرحال، وتُضرب إليه أكباد الإبل. فكيف إذا عرفنا أن الثعلبي كان إمامًا في علوم أخرىٰ، كالقراءات، والوعظ، وغيرهما[٢].

وله أكثر من خمس مئة جزء كما نصَّ علىٰ ذلك تلميذه الواحدي[٣].

إلا أنَّ الترجمة المقتضبة للإمام الثعلبي، حالت دون الوقوف علىٰ عدد كبير من تلامذته.

ويكفي الثعلبي شرفًا أن الإمام أبا الحسن الواحدي من تلامذته، وسأذكر الآن من وقفنا عليه من تلامذته:

١- الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي.

الإمام العلامة، المفسِّر النحوي[٤]. صاحب التفاسير الثلاثة «البسيط» و«الوسيط» و «الوجيز» و «أسباب النزول» وغيرها من المصنَّفات.

---

(١) «مقدمة البسيط» ١/ ٤١٩.

(٢) كما سيظهر عند الكلام عن مكانته العلمية.

(٣) «البسيط» ١/ ٤٢٥.

(٤) «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٧، «إنباه الرواه» ٢/ ٢٢٣، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٨/ ٣٣٩، «طبقات السبكي» ٥/ ٢٤٠، «غاية النهاية» ١/ ٥٢٣، «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٣٨٧.

ويعد أبو الحسن الواحدي أشهر تلاميذ الإمام الثعلبي، وأخصّهم به، إذ لازمه أشد ملازمة، وأخذ عنه التفسير، وروىٰ عنه تفسيره «الكشف والبيان»[١].

قال عبد الغافر الفارسي في «السياق لتاريخ نيسابور»: فأما أبو الحسن: فهو الإمام المصنّف المفسِّر النحوي، أستاذ عصره، وواحد دهره، أنفق صباه وأيام شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف علىٰ أعلام الأمة وسافر في طلب الفوائد، ولازم مجالس الثعالبي في تحصيل التفسير[٢].

وسبق آنفًا أنَّ الواحدي ذكر في مقدمة تفسيره «البسيط» في أثناء كلامه عن شيخه أبي الفضل العروضي الذي أخذ عنه اللغة أن شيخه عاتبه يومًا من الأيام وقال له: إنَّك لم تبق ديوانًا من الشعر إلا قضيت حقه، أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز، تقرأه علىٰ هٰذا الرجل الذي يأتيه البُعَداء من أقاصي البلاد، وتتركه أنت علىٰ قرب ما بيننا من الجوار. قال الواحدي: يعني الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله[٣].

قال الواحدي: ثم فرغتُ للأستاذ الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله إلىٰ أن قال: وقرأت عليه من

(١) سيأتي بيان ذلك عند توثيق نسبة الكتاب إلىٰ مؤلفه.

(٢) «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٨، ٢٥٩.

(٣) «البسيط» للواحدي ١/ ٤١٩.

مصنفاته أكثر من خمس مئة جزء، وتفسيره الكبير، وكتابه المعنون بـ«الكامل» في علم القرآن، وغيرهما[١].

ويُلاحظ أنَّ الواحدي ينقل كثيرًا عن الثعلبي، إلا أنه لا يذكر ٱسمه، ولا يعزو إليه، إلا عندما يروي عنه بالسند.

مات رحمه الله بنيسابور سنة (٤٦٨هـ).

٢- عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن محمد القطَّان المعروف بأبي معشر الطَّبري.

الإمام في القراءات مصنِّف «التلخيص» و«سَوْق العروس» في القراءات المشهورة والغريبة. وكتاب «الدر» في التفسير و«عيون المسائل» و «طبقات القراء» وغير ذلك.

وكان مقرئ أهل مكة في عصره، وقد روىٰ «تفسير الثعلبي» عن مؤلفه، و«مسند الإمام أحمد» و «تفسير النقاش».

قال السبكي: وكان من فضلاء الشافعية.

وقال ابن الجزري: إمام عارف محقق، أستاذ كامل، ثقة صالح. توفي أبو معشر سنة (٤٧٨هـ) بمكة[٢].

٣- أبو سعيد أحمد بن محمد بن علي بن نمير الخوارزمي، العلامة، الشافعي، الضرير، أحد أئمة المذهب ببغداد[٣].

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢٣٣.

(٢) «معرفة القراء الكبار» للذهبي ١/ ٤٣٥، «طبقات السبكي» ٥/ ١٥٢، «غاية النهاية» ١/ ٤٠١، «طبقات الداودي» ١/ ٣٣٢.

(٣) «تاريخ بغداد» ٥/ ٧١، «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٨/ ٨، «طبقات الشافعية»

قال الخطيب البغدادي: درس علىٰ أبي حامد الإسفراييني، وسكن بغداد، ودرَّس وأفتىٰ، وكان له حلقة في جامع المنصور للفتوىٰ والنظر، وكان حافظًا متقنًا للفقه، يقال لم يكن في وقته من الشيوخ بعد أبي الطيب الطبري أفقه منه، وكان يقدَّم علىٰ أبي القاسم الكرخي، وأبي نصر الثابتي، وحدَّث عن أبي القاسم بن الصيدلاني. كتبتُ عنه، وكان صدوقًا[1].

والخوارزمي هٰذا روىٰ تفسير الثعلبي عن شيخه.

والإمام البغوي رحمه الله روىٰ تفسير الثعلبي عن الخوارزمي كما نصَّ علىٰ ذلك في مقدمة تفسيره «معالم التنزيل»[2].

توفي أبو سعيد سنة (٤٤٨هـ).

٤- أحمد بن خلف الشِّيرازي:

روىٰ تفسير الثعلبي عن شيخه.

ومن طريق الشيرازي: روى ابن الأثير تفسير الثعلبي، في كتابه «أسد الغابة في معرفة الصحابة»[3].

٥- أبو سعيد محمد بن سعيد بن محمد الفُرْخرادي، أو الفرخواري الطوسي:

للسبكي ٤/ ٨٣، «طبقات الشافعية» للأسنوي ٢/ ٥٣.

(١) «تاريخ بغداد» ٥/ ٧١.

(٢) ١/ ٢٨.

(٣) «أسد الغابة» ١/ ١١٥.

راوي تفسير «الكشف والبيان» عن شيخه. ومن طريقه روىٰ عدد من العلماء تفسير الثعلبي. ومن هٰؤلاء: أبو سعد السمعاني في «أنسابه»[1]. وأبو محمد العباس بن محمد بن أبي منصور الطابراني الطوسي[2].

(١) «الأنساب» للسمعاني ٤/ ٤٣.

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٢٠/ ٢٨٩.

المبحث الخامس

عقيدته ومذهبه الفقهي

* المطلب الأول: عقيدته:

لم يتعرض الإمام الثعلبي رحمه الله لبيان ٱعتقاده في مؤلف خاص كما جرت به عادة بعض المتقدمين، إلا أنه من خلال تفسيره لكلام الله ﷻ كان لزامًا عليه أن يتعرض للكثير من المباحث العقدية ويبين عن رأيه فيها.

وليس بوسعنا في هٰذا المقام أن نعرض لجميع المواطن التي ناقش الثعلبي فيها مباحث عقدية وإن كان هٰذا الأمر مهمًا لمن أراد أن يصدر عن رأي دقيق وتفصيلي حول منهج هٰذا الإمام في إثبات مسائل العقيدة.

ولٰكن حسبنا في مثل هٰذِه العجالة أن نعرض لبعض المواضع التي عبر فيها المصنف عن آرائه حول بعض مسائل الٱعتقاد التي تلقي الضوء على المنهج العام الذي سار عليه المصنف رحمه الله في تناول مسائل العقيدة، فنقول وبالله التوفيق:

إن المتأمل لتفسير أبي إسحاق يجد أنه تعرض من خلاله لكثير من مباحث العقيدة المتنوعة، فقد تعرض لمسائل الإيمان، والقدر، واليوم الآخر، والنبوات، والتوحيد وغيرها من المباحث.

وكان في أكثر هٰذِه المباحث مُبينًا عن الحق بدليله، ذابًّا عن منهج أهل السنة والجماعة، رادًّا على الفرق الضالة والمنحرفة.

فنجده يعرض عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ للإيمان وحقيقته، ويعقد لذلك فصلًا يقرر فيه أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة مؤلف من القول والاعتقاد والعمل، واستدل لذلك بأحاديث أخرجها بسنده.

ثم هو عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤]، نجده يبين عن مذهب أهل السنة والجماعة القائلين بزيادة الإيمان ونقصانه ، فنجده يسوق في ذلك الآثار فيقول: قال مجاهد في هٰذِه الآية: الإيمان يزيد وينقص، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو وزن إيمان أبي بكر رضي الله عنه بإيمان أهل الأرض لرجحهم، بلىٰ إن الإيمان ليزيد وينقص. قالها ثلاث مرات.

ورویٰ زبيد اليامي عن ذر قال: كان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتىٰ نزداد إيمانا.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب كلما ٱزداد الإيمان عظما ٱزداد البياض حتىٰ يبيض القلب كله، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد حتىٰ يسود القلب كله. وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود.

وكتب الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز: إن للإيمان سننًا وشرائع وحدودًا وفرائض من ٱستكملها ٱستكمل الإيمان ومن لم يستكملها

لم يستكمل الإيمان.

وقال ابن المبارك: لم أجد بُدًّا من الإقرار بزيادة الإيمان أو أردَّ كتاب الله تعالىٰ.

ونجد المصنف رحمه الله عند قوله تعالىٰ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] يذكر أقوال الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، ثم يرد عليهم. ثم يبين العقيدة الصحيحة في هٰذِه المسالة بقوله: وعندنا أن المؤمن إذا قتل مؤمنًا متعمدًا فإنه لا يكفر بقتله، ولا يخرج به عن الإيمان إلا إذا فعل ذلك علىٰ جهة الٱستحلال والديانة[١]. وذكر الأدلة علىٰ هٰذا.

وهٰذا القول الذي قرره هو قول أهل السنة والجماعة[٢].

وكذلك نجد الثعلبي يقرِّر العقيدة الصحيحة في مسألة رؤية الله ﷻ في الآخرة عند قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] فيثبت الرؤية كما أثبتها أهل السنة والجماعة، مستدلًا علىٰ ذلك بنصوص الكتاب والسنة. خلافًا لما ذهب إليه المعتزلة إذ نفوا هٰذِه الرؤية.

وها هو يستفتح تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ بإسناده لحديث أنس رضي الله عنه في تفسير النبي ﷺ للزيادة بأنها النظر إلىٰ وجه الله الكريم، ويبين أن ذلك هو قول أبي بكر وحذيفة وأبي موسىٰ

---

(١) «الثعلبي ودراسة كتابه» ١/ ٥٧.

(٢) ٱنظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٢١١).

وصهيب وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن سابط والحسن وعكرمة وأبي الجوزاء والضحاك والسدي وعطاء ومقاتل، ثم يردف ذلك ببعض الآثار المسندة الدالة علىٰ ذلك.

وفي مقابل هٰذا التقرير الموفق لمنهج أهل السنة والجماعة في هٰذِه المباحث نجده قد خالف هٰذا المنهج في مسألة إثبات الصفات، فقد سلك في تقرير الصفات مسلك الأشاعرة[١] الذين يقوم مذهبهم علىٰ إثبات صفات المعاني، وتأويل الصفات الخبرية كاليد والوجه والمحبة والكره وغيرها.

ولا عجب في ذلك إذا علمنا أن المصنف قد تتلمذ علىٰ أعلام

---

(١) الأشاعرة هم الذين ينتسبون إلىٰ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) وهم يخالفون أهل السنة والجماعة في عدة مسائل، منها أنهم يثبتون لله سبع صفات، وهي التي دلَّ عليها العقل، ويؤولون ما عداها.

أما أهل السنة والجماعة: فيثبتون لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

علمًا بأنَّ أبا الحسن الأشعري الذي ينتسب إليه الأشاعرة، قد عاد عن ذلك التأويل، وأناب إلىٰ عقيدة أهل السنة والجماعة، وأعلن ذلك في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة» (ص٢٠).

وانظر: «جامع الفرق والمذاهب الإسلامية» (ص٢٠)، و«موقف ابن تيمية من الأشاعرة» ٢/٥٠٦، وكتاب «بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة» (ص٥٠).

المذهب الأشعري أمثال ابن فورك وأبي إسحاق الإسفراييني وغيرهما، مما كان له بالغ الأثر في آراء أبي إسحاق الاعتقادية خاصة ما يتعلق بالصفات، وقد أظهر مذهبه هٰذا، ونافح عنه، وهاجم خصومه.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك[١]:

١- تأويل صفة الرحمة: في قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

إذ ذكر الثعلبي قولين في صفة الرحمة، قال: والرحمة: إرادة الله الخير لأهله، وهي علىٰ هٰذا القول صفة ذات.

وقيل: هي ترك عقوبة من اَستحق العقوبة، وابتداء الخير علىٰ من لا يستحق، وعلىٰ هٰذا القول صفة فعل.

وهكذا سلك الثعلبي مسلك التأويل، فقام بصرف الآية عن معناها الظاهر.

والحق في هٰذا الباب أن الآية دلت علىٰ أن الرحمة من صفات الله جل شأنه، فنثبت صفة الرحمة له سبحانه علىٰ ما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢].

٢- تأويل صفة الغضب:

لما فسَّر الثعلبي قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: واختلفوا في معنى الغضب من الله ﷻ:

---

(١) اَنظر: «المفسرون بين التأويل والإثبات» للمغراوي (٢/ ٦) وما بعدها.

(٢) وسيأتي الكلام علىٰ هٰذِه التأويلات في مواضعها إن شاء الله من التفسير.

فقال قوم: هو إرادة الله الأنتقام من العصاة.

وقيل: هو جنس من العقاب يضاد الرضا.

وقيل: هو ذم العصاة علىٰ قبيح أفعالهم.

والحق في هٰذا المقام أن يقال: إن الآية دلت علىٰ أن الله جل شأنه من صفاته الغضب؛ فنثبت صفة الغضب لله سبحانه علىٰ ما يليق بجلاله، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

٣- تفسير الإله بالقادر على الأختراع:

فقد قال عند تفسير لفظ الجلالة : وقال قوم: إلهيته من صفات ذاته، وهي قدرته على الأختراع.

وتفسير الإله، بالقادر على الأختراع، هو منهج المتكلمين، كما حكاه عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية.

ولذا ذكر الواحدي في «البسيط» هٰذا القول وقال: وعند متكلمي أصحابنا: أن الإله من له الإلهية، والإلهية القدرة على أختراع الأعيان[1].

٤- نفي صفة الإتيان والمجيء لله ﷻ:

عند قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] نراه يحاول تأويل الآية بتقدير أن (في) بمعنى الباء، ثم قال: وعلىٰ هٰذا التأويل زال الإشكال، وسهل الأمر. ثم ذكر قول أبي الحسن الأشعري دون التصريح باسمه، ومال إليه، فقال: وقالت

---

(١) «البسيط» ١/ ٤٥٩.

طائفة من أهل الحقائق: إن الله ﷻ يحدث فعلًا يسميه إتيانًا؛ كما أحدث فعلًا سماه نزولًا بلا آلة ولا علة. ثم يذكر قولًا من ٱختياره إذ قال: ويحتمل أن يكون معنى الإتيان هاهنا راجعًا إلى الجزاء، فسمى الجزاء إتيانا كما سمى التخريب، والتعذيب في قصة نمرود إتيانًا. ثم يخلص إلىٰ قول جمع فيه بين رأيه الأخير وقول أبي الحسن، قال: فمعنى الآية: هل ينظرون إلا أن يظهر الله ﷻ فعلًا من أفعاله مع خلق من خلقه، فيقصد إلىٰ مجازاتهم[١].

ولا شك أن هٰذا تأويل فاسد بعيد، فيه نفي لصفة الإتيان والمجيء لله ﷻ بما يليق بجلاله وعظمته.

ومن الأمثلة الأخرىٰ أيضًا:

عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] قال: قال أهل المعاني: فيه إضمار، كأنه قال: فقل لهم؛ أو فأعلمهم (أني قريب) منهم بالعلم.

وهو يطلق بعض الألفاظ العقلية التي يكثر من إطلاقها الأشاعرة مثل: متمكن، متناهي، محدود، التي لم ترد في القرآن الكريم، ولا السنة المطهرة، ولا عن أحد من السلف الصالح.

وهناك جوانب أخرىٰ تتعلق بعقيدة المصنف ستأتي إن شاء الله عند الكلام عن منهجه في تقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق، والكلام

(١) ٱنظر «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للدكتور محمد المغراوي ٢/٦.

عن التفسير الصوفي الإشاري، وموقف الثعلبي منه ومنهم عند الحديث عن منهج المصنف في كتابه.

ونخلص من ذلك إلىٰ أن المصنف رحمه الله، وإن كان في غالب أبواب الاعتقاد علىٰ مذهب أهل السنة عمومًا إلا أنه في مسائل الصفات كان مؤولًا علىٰ طريقة الأشاعرة، لذا يصدق عليه وصف أبي العباس ابن تيمية حين قال: (الثعلبي فيه سلامة من البدع، وإن ذكرها تقليدًا لغيره)[١].

* المطلب الثاني: مذهبه الفقهي:

أبو إسحاق الثعلبي كان شافعي المذهب. ومن أجل ذلك ذكره الذين ألفوا في طبقات الشافعية. فقد ذكره السبكي[٢]، والأسنوي[٣]، وابن قاضي شهبة[٤]، وغيرهم.

يقول الأسنوي: ذكره ابن الصلاح، والنووي من الفقهاء الشافعية.

وقال السبكي لمَّا ترجم له: ومن المسائل عنه: ذهب الثعلبي إلىٰ أنَّ الدم الباقي على اللحم وعظامه غير نجس. قال: لمشقة الاحتراز عنه. قال: ولأن النهي إنما ورد عن الدم المسفوح، وهو السائل.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٨٥).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرىٰ» ٤/ ٥٨.

(٣) «طبقات الأسنوي» ١/ ١٥٩.

(٤) «طبقات الشافعية» ١/ ٢٠٢- ٢٠٣.

بل إنَّ الثعلبي صرَّح بذلك عند ذكر بعض المسائل في تفسيره، فتراه يقول مثلًا: قال أصحابنا، أو وفي المذهب كذا، أو مذهبنا كذا، أو الأظهر في المذهب كذا. يعني بذلك كله المذهب الشافعي[١].

وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام حول منهج الثعلبي من الناحية الفقهية.

---

(١) «الثعلبي ودراسة كتابه» ١/ ٦٢.

المبحث السادس

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

* المطلب الأول: مكانته العلمية:

تسنَّم الثعلبي رحمه الله مكانة علمية مرموقة، واحتل مقامًا رفيعًا بين علماء عصره، حتىٰ كان الناس يأتون إليه من أقاصي البلاد ودانيها.

ومن ينظر في ثناء العلماء عليه، وتبجيلهم له، يدرك تلك المنزلة، وذلك العلو.

ومن يطالع تفسيره، وما حواه من العلوم والمعارف، علىٰ مختلف أنواعها، وتعدد فنونها، يعلم يقينًا أنَّ أبا إسحاق الثعلبي كان موسوعة علمية، وكان بحرًا لا تكدِّره الدلاء.

العلوم التي برز فيها(١):

علم التفسير:

وكفىٰ للدلالة علىٰ بروزه في هٰذا العلم، كتابه الموسوعي: «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» الذي برهن من خلاله علىٰ علوِّ كعبه في هٰذا العلم. حتىٰ قال فيه ابن خلِّكان: كان أوحد زمانه في علم التفسير(٢).

---

(١) تفصيل البروز العلمي للثعلبي في هٰذِه العلوم يتجلىٰ عند الكلام عن منهجه في إيراد هٰذِه العلوم في تفسيره.

(٢) «وفيات الأعيان» ١/ ٩٩.

وذكر تلميذه الواحدي أن الناس كانوا يأتون إليه من أقاصي البلاد ودانيها، كي يسمعوا منه التفسير، ويتلقونه عنه[١].

وبروز الثعلبي في التفسير يدل علىٰ بروزه في علوم أخرىٰ، وذلك لأنَّ العلوم الشرعية مترابطة، والمفسِّر لا يكون مفسِّرًا، حتىٰ يلمَّ بالعلوم الأخرى التي تمكِّنه من التفسير، إذ يلزمه مثلًا أن يكون عالمًا بالسنة حتىٰ يفسِّر بها القرآن، وأن يكون مُلمًّا باللغة، من نحوٍ، وأدب، وغيرهما. ولا بد أن يكون علىٰ علم بالقراءات، وعلوم القرآن، وعلىٰ علم بالفقه، والأحكام، وأصول الفقه، وغير ذلك من العلوم والمعارف، خاصةً وأن علماءنا الأوائل لم يكونوا يتحيَّزون في جانب تخصصي واحد، بل كان طلبهم للعلم -آنذاك- شاملًا لجميع العلوم الشرعية.

ولذا فالثعلبي رحمه الله كانت له مكانة أيضًا في علوم أخرىٰ منها:

علم القراءات:

ذكره ابن الجزري في طبقات القراء فقال: إمام بارع مشهور، روى القراءة عن علي بن محمد الطرازي، روىٰ عنه القراءة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي[٢].

والذين ترجموا له وصفوه بالمقرئ. كما سيأتي في ثناء العلماء عليه.

---

(١) «البسيط» ١/ ٤١٩.

(٢) «غاية النهاية» ١/ ١٠٠.

والذي ينظر في تفسير الثعلبي وما حواه من القراءات، ويرىٰ توجيه الثعلبي لتلك القراءات، يعلم مكانة الرجل في هٰذا العلم.

علم الحديث:

إنَّ من يقف علىٰ مرويات الثعلبي وأسانيده في تفسيره، يعلم أن هٰذا الرجل كان راويةً بحق، وكيف لا يكون كذلك، وهو قد جمع من ثلاث مئة شيخ كما ذكر في مقدمة تفسيره، وروايته لم تقتصر على الحديث، وإنما كان يروي أقوال المفسرين بأسانيده، بل ويروي أبيات الشعر والأقوال الأخرىٰ بإسناده.

وهو وإن كان غير مفتِّشٍ لما يرويه من الأحاديث ففيها الصحيح، والضعيف، والموضوع إلا أن هٰذا الكم الهائل من المرويات تدل علىٰ كثرة حديثه، وكثرة شيوخه، وسعة روايته[1]. ولذا فقد وصفه بالحافظ كثير ممن ترجم له كما سيأتي.

علم الفقه:

تبين لنا في المبحث السابق، أن الثعلبي رحمه الله كان فقيهًا شافعيًّا. وتفسيره مليء بالمسائل الفقهية، والأصولية، وعرْضُ الثعلبي للمسائل الفقهية، ونسبة الأقوال إلىٰ أصحابها، وترجيحه بين الأقوال، وردوده على المخالفين دليل علىٰ قدمه الراسخة في هٰذا العلم. وسيأتي بيان ذلك عند الكلام عن منهجه.

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك عند الكلام عن منهج المؤلف في الرواية، وسوق الأسانيد.

الوعظ:

وُصف بالواعظ[١]، بل قال الذهبي: طويل الباع في الوعظ[٢]، وهو واعظ بحق، رحمه الله. وخير دليل علىٰ ذلك هو تأليفه لكتاب في الوعظ ٱسمه «رَبيع المذكِّرين» كما سيأتي في مؤلفاته، بل إن تفسيره مشحون بعبارات الوعظ والتذكير، وحكايات الزهاد، وقصص العباد.

علم اللغة والأدب:

ولذا فقد وصفه بالأديب جماعة ممن ترجموا له، وذكره المؤلفون ضمن تراجم اللغويين والأدباء، فقد ذكره القفطي في «إنباه الرواه في أخبار النُّحاة»[٣]، وياقوت الحموي في «معجم الأدباء»[٤]، والسيوطي في «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»[٥].

ووصفه العلماء بأنه كان عالمًا بوجوه الإعراب والقراءات، ورأسًا في العربية بصيرًا بها كما سيأتي في ثناء العلماء عليه.

ويدرك إمامته في اللغة والأدب من ينظر في تفسيره، ويقف علىٰ تلك المباحث اللغوية الرائعة، والكم الهائل من الأبيات الشعرية. بل

---

(١) ٱنظر علىٰ سبيل المثال «المنتخب من السياق» (١٩٧)، «إنباه الرواه» ١/ ١٥٤، «معجم الأدباء» ٥/ ٣٦.

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٤٣٥.

(٣) ١/ ١٥٤.

(٤) ٥/ ٣٦.

(٥) ١/ ٣٥٦.

إنه رحمه الله كان يقرض الشعر، وهو من جنس شعر العلماء يغلب عليه طابع الحكمة، ومن شعره:

وإنِّــــي لأدعــو الله والأمــرُ ضــيِّــقٌ
عــلــيَّ فَــمــا يــنــفــكُّ أنْ يــتــفــرَّجــا

ورُبَّ فــتــىٰ سُــدَّتْ عــلــيــه وجــوهــه
أصــابَ لــهُ فــي دعــوةِ الله مــخــرجــا[1]

علم التاريخ:

الناظر لتفسير الثعلبي رحمه الله يدرك تمامًا أنه أمام شخصية تاريخية تُعنىٰ بذكر الأحداث، وتستطرد في تفصيلاتها لأدنىٰ مناسبة، وقد لمس هٰذا الجانب بعض من ترجم له، فقال الزركلي في «الأعلام»: له ٱشتغال بالتاريخ[2].

ونعته بالأخباري رضا كحالة في كتابه «علوم الدين الإسلامي»[3].

* **المطلب الثاني: ثناء العلماء عليه:**

إنَّ من أعظم الدلائل علىٰ مكانة الإمام الثعلبي، وعلو شأنه، ورفعة

(١) «طبقات المفسِّرين» للداودي ١/ ٦٦.

(٢) «الأعلام» ١/ ٢١٢.

(٣) (ص ٦٦). وقد أشاد بالثعلبي في هٰذا الجانب أ.د. علي عبد الله الدَّفَّاع في مقال له بجريدة (اليوم) السعودية في زاويته (روائع الحضارة العربية والإسلامية) بتاريخ: ١٧/ ١١/ ١٤١٧هـ.

قدره، ثناء العلماء عليه، ومدحهم له، وتوثيقهم إياه، وإليك بعض عباراتهم في ذلك:

١- **قال عبد الغافر الفارسي في كتابه «السياق لتاريخ نيسابور»:** الأستاذ المقرئ، المفسِّر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، وهو صحيح النقل، موثوق به .. ، كثير الحديث، كثير الشيوخ[1].

٢- **وقال تلميذه أبو الحسن الواحدي:** كان حبر العلماء بل بحرهم، ونجم الفضلاء بل بدرهم، وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأمة بل صدرهم .. فمن أدركه وصحبه علم أنَّه كان منقطع القرين، ومن لم يدركه فلينظر في مصنفاته ليستدل بها علىٰ أنه كان بحرًا لا يُنزَف، وغَمْرًا لا يُسْبَر[2].

٣- **وقال أبو الحسن القِفْطِي:** المقرئ المفسِّر الواعظ الأديب الثقة الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، العالم بوجوه الإعراب والقراءات[3].

٤- **وقال ابن خِلِّكان:** المفسِّر المشهور، كان أوحد زمانه في علم التفسير[4].

---

(١) «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» (١٩٧).

(٢) «البسيط» ١/ ٤٢٤.

(٣) «إنباه الرواه» ١/ ١٥٤.

(٤) «وفيات الأعيان» ١/ ٩٩.

٥- **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية**: الثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين[1].

٦- **وقال الذهبي في «السِّير»**: الإمام الحافظ العلامة، شيخ التفسير، كان أحد أوعية العلم، وكان صادقًا موثَّقًا، بصيرًا بالعربية، طويل الباع في الوعظ[2].

٧- **وقال في «العبر»**: كان حافظًا واعظًا، رأسًا في التفسير، والعربية، متين الديانة[3].

٨- **وقال السبكي**: كان أوحد زمانه في علم القرآن[4].

٩- **وقال ابن الجزري**: إمام بارعٌ مشهور[5].

١٠- **وقال الحافظ ابن كثير**: كان كثير الحديث، واسع السماع، ولهٰذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير[6].

---

(١) «مقدمة في أصول التفسير» (ص٦٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٤٣٥.

(٣) «العبر» ٢/ ٢٥٦.

(٤) «طبقات الشافعية الكبرىٰ» ٤/ ٥٨.

(٥) «غاية النهاية» ١/ ١٠٠.

(٦) «البداية والنهاية» ١٢/ ٤٠.

المبحث السابع

مؤلفاته

لقد خلَّف لنا الإمام الثعلبي تراثًا علميًا عظيمًا، تمثَّل في أكثر من خمس مئة جزء كما ذكر ذلك تلميذه الملازم له الواحدي[١].

وهٰذِه المصنَّفات ما هي إلا نتاج العلم الغزير الذي يحمله أبو إسحاق الثعلبي، وهي دليل علىٰ أنَّ الإمام الثعلبي قرن العلم بالعمل، والقول بالفعل، فألَّف تلك المؤلفات العظيمة، التي نهل منها طلاب العلم، وأفاد الثعلبي بها الأمة.

وليس ذلك بغريب، علىٰ رجلٍ اْجتهد في الطلب والتحصيل، فوصل الظلام بالضياء، والصباح بالمساء، بعزم أكيد، وجهد جهيد، حتىٰ رحل الناس إليه من أقاصي البلاد فضلًا عن دانيها.

ولكنَّ هٰذا التراث العظيم، وهٰذِه المؤلفات الضخمة، حُرمتْ منها الأمة الإسلامية، فلم يصل لنا منها إلا النَّزْر اليسير.

وغاية ما وصلنا إلىٰ معرفته من مؤلفات الثعلبي ما يأتي:

١- قصص الأنبياء. المُسمَّىٰ «عرائس المجالس».

وهو مطبوع كاملا، وقد طبع منه أجزاء مفردة لثلاث قصص مطولة ذكرت فيه، هي (قصة شمشون النبي ﷺ، قصة يوسف ﷺ، قصة موسىٰ ﷺ) وقد طبعت هٰذِه الأجزاء الثلاثة بالقاهرة سنة (١٢٧٩هـ)

---

(١) «البسيط» للواحدي ١/ ٢٣٣.

وسنة (١٢٩٩هـ) كلّ علىٰ حِدة.

وللكتاب كاملًا عدة نسخ خطية مذكورة في «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط» ١/ ٨٢، وذُكر فيه للكتاب ٱسم آخر وهو «نفائس العرائس ونزهة العيون والمجالس».

وقد ذكر فيه المصنف قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويذكر قصص من له تعلق بهم، كهلاك النمرود بن كنعان، وقصة مؤمن آل فرعون، ونحو ذلك.

وهو مليء بالقصص الغريبة والإسرائيليات كما هي عادة الكتب المؤلفة في هٰذا الشأن إلا ما ندر وهٰذِه القصص يرويها الثعلبي أحيانًا بإسناده، ويذكر أحيانًا أخرى الأقوال معزوَّةً إلىٰ قائليها.

وينقل كثيرًا عن أهل السِّير والأخبار، أمثال محمد بن إسحاق، وغيره. وأحيانًا يعزو علىٰ سبيل الإجمال، فيقول: قالت العلماء بأخبار الماضين، وأمور الأمم السابقين.

ويصدِّر المصنف كلَّ قصة يوردها بما جاء فيها من القرآن الكريم، فيذكر الآيات التي نزلت في ذلك النبي، أو غيره، أو في القصة التي يسوقها.

وقَسَّم الثعلبي كتابه هٰذا إلىٰ أبواب، وفصول، ومجالس.

والذين ترجموا للثعلبي أطبقوا جميعًا علىٰ نسبة هٰذا الكتاب له(١).

ومن له ٱطلاع ونظر في تفسير الثعلبي، ومعرفة بشيوخه، لا يشك

(١) ٱنظر: «مصادر ترجمة الثعلبي» في المبحث الأول.

في نسبة هٰذا الكتاب إليه.

٢- نفائس العرائس ويواقيت التيجان في قصص القرآن.

ذكره بروكلمان ونسبه للثعلبي، وذكر له عدة نسخ خطيَّة، وذكر أيضًا أن هٰذا الكتاب طُبع بالعربية بمصر، وبومباي، وكشمير تحت عنوان «عرائس التيجان» سنة ١٢٩٥ هـ، ١٣٠٦هـ، وتُرجم إلى اللغة التركيَّة[١].

٣- قتلى القرآن العظيم الذين سمعوا القرآن وماتوا بسماعه.

وهو مخطوط، وله نسختان في ليدن، وأيا صوفيا[٢].

وله ذكر في آخر «تاريخ جرجان» علىٰ أنَّه من مسموعات عبد القادر الرهاوي عن عبد الغني المقدسي، سنة ٥٩٦هـ[٣].

٤- الدرَّة الفاخرة في الأمثال السائرة.

ذكره بروكلمان، وذكر له نسخة خطية في راغب باشا بتركيا (١٠٧٩) وقال: لعله لأبي منصور الثعالبي وجاء في هامش كتاب بروكلمان ما نصُّه: لعله لحمزة بن الحسن الأصفهاني[٤].

٥- الكامل في علوم القرآن.

ذكره الواحدي في مقدمة تفسيره «البسيط» وذكر أنه قرأه علىٰ شيخه

---

(١) «تاريخ الأدب العربي» ٦/ ١٥٣.

(٢) «تاريخ الأدب العربي» ٦/ ١٥٤، «الفهرس الشامل» ١/ ٨٨.

(٣) «تاريخ جرجان» للسهمي (ص٥٦١).

(٤) «تاريخ الأدب العربي» ٦/ ١٥٤.

الثعلبي[١].

وهو ضمن كتبه المفقودة.

٦- ربيع المذكِّرين.

نسبه إليه عبد الغافر الفارسي، والسيوطي، والداودي، وغيرهم[٢]، وهو مفقود.

٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن.

وهو أجلُّ كتب الثعلبي. وهو هٰذا السِّفر العظيم، الذي بين أيدينا، وستأتي دراسة وافية شاملة عن هٰذا الكتاب، تعريفًا، وإثباتًا، ومنهجًا في الفصل الثاني من هٰذِه المقدمة إن شاء الله.

---

(١) «البسيط» ١/ ٤٢٥.

(٢) «معجم الأدباء» ٥/ ٣٦، «طبقات المفسرين» للسيوطي (ص١٧)، «طبقات الداودي» ١/ ٦٦، «هدية العارفين» ٥/ ٧٥، «معجم المؤلفين» ١/ ٢٣٨.

المبحث الثامن

وفاته

توفي أبو إسحاق الثعلبي في المحرَّم، من سنة سبع وعشرين وأربع مئة للهجرة (٤٢٧هـ) بنيسابور.

هٰذا قول عامَّة الذين ترجموا للإمام الثعلبي رحمه الله تعالىٰ[١] وأولهم عبد الغافر الفارسي في كتابه «السياق لتاريخ نيسابور». إلا أنَّ ابن خلِّكان في «وفيات الأعيان» حكىٰ عن غيره قولًا آخر، هو أنَّ الثعلبي توفي يوم الأربعاء، لسبع بقين من المحرم، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة (٤٣٧هـ)[٢].

وقد حاول الأسنوي في «طبقات الشافعية» توجيه هٰذا القول الذي نقله ابن خلكان فقال: قلت: الثعالبي أديب، صاحب نظم ونثر وتاريخ، واسمه عبد الملك وكنيته أبو منصور، وسُمي بذلك لأنه كان فراءً يخيط جلود الثعالب، وتوفي سنة سبع وعشرين وأربع مئة، ولمَّا توهَّم ابن خلِّكان أنهما واحد، وتبعًا لمن وقع فيه قبله، جعل هٰذا قولًا آخر في موته، فافطن لذلك[٣].

وهٰذا التوجيه من الأسنوي فيه نظر، إذ لم نقف علىٰ من قال بأنَّ

---

(١) اُنظر مصادر ترجمة الثعلبي المذكورة في بداية المبحث الأول من ترجمة المؤلف.

(٢) «وفيات الأعيان» ١/ ١٠٠.

(٣) «طبقات الشافعية» ١/ ١٥٩.

الثعالبي أبا منصور توفي سنة (٤٣٧هـ) حتىٰ يحصل هٰذا الوهم.

وغاية ما وجدناه من الأقوال في وفاة أبي منصور أنه توفي سنة (٤٢٧هـ) كما ذكر الأسنوي، وقيل: سنة (٤٢٩هـ) كما ذكر ابن كثير[١]، وقيل: سنة (٤٣٠هـ) كما ذكر الذهبي، وابن العماد[٢].

والقول الصحيح في وفاة أبي إسحاق الثعلبي هو سنة (٤٢٧هـ) لا سيما وهو قول عبد الغافر الفارسي، وهو أدرىٰ برجال نيسابور.

ثم إنَّ ابن خلكان لم يبيِّن قائل ذلك القول. وإنما عزاه علىٰ وجه الإجمال. والأقرب أن يكون الرقم قد تصحف من سبع وعشرين إلىٰ سبع وثلاثين. لا سيَّما والعددان قريبان من بعضهما. والله أعلم.

---

(١) «البداية والنهاية» ١٢/ ٤٩١.

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٤٣٧، «شذرات الذهب» ٣/ ٤٠٧.

الفصل الثاني

التعريف بكتاب «الكشف والبيان»

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان ٱسم الكتاب.

المطلب الثاني: إثبات نسبته للثعلبي رحمه الله.

المبحث الثاني: مصادر المصنف في كتابه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مميزات هٰذِه المصادر.

المطلب الثاني: ذكر هٰذِه المصادر، وفيه تسعة أقسام:

أولاً: تفسير ابن عباس.

ثانيًا: تفاسير التابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير.

ثالثًا: مصادره من تفاسير شيوخه، وعنون لها بـ «مصنفات أهل العصر».

رابعًا: مصادره من كتب الوجوه والنظائر.

خامسًا: مصادره من كتب معاني القرآن.

سادسًا: مصادره من المؤلفات في غريب القرآن.

سابعًا: مصادره من كتب تأويل مُشكل القرآن.

ثامنًا: مصادره من كتب القراءات .

تاسعًا: مصادره من كتب المغازي والسِّير والتاريخ.

المبحث الثالث: منهج المصنف في كتابه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج المصنف إجمالًا من خلال مقدمته. وفيه:

أولاً: أقسام المصنفين في التفسير.

ثانيًا: سبب تأليف الكتاب.

ثالثًا: وصف الكتاب.

رابعًا: منهجه وعمله في التفسير.

خامسًا: مصادره في كتابه من خلال مقدمته:

سادسًا: أنواع المادة العلمية في «الكشف والبيان»:

المطلب الثاني: منهج المصنف في كتابه مفصلاً

ويشتمل علىٰ بيان منهجه في الأمور التالية:

أولاً: طرق التفسير التي ٱنتهجها المصنف:

أ- تفسير القرآن بالقرآن.

ب- تفسير القرآن بالسنة.

جـ- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

د- تفاسير التابعين.

هـ- تفاسير أتباع التابعين ومن بعدهم.

و- الإسرائيليات وموقف الثعلبي منها.

ز- التفسير الصوفي والإشاري وموقف الثعلبي منه.

ثانيًا: علوم القرآن.

أ- أسماء السور.

ب- عدد آيات السورة، وكلماتها وحروفها.

جـ - المكي والمدني.

د- أسباب النزول.

هـ- الوقف والابتداء.

و- القراءات.

ز- الناسخ والمنسوخ.

ح- الربط والمناسبة بين الآيات.

ط-آخر ما نزل من القرآن.

ثالثًا: منهجه الحديثي والرواية بالإسناد.

رابعًا: تقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق.

خامسًا: الجانب الفقهي.

سادسًا: اللغة العربية، واعتماد الثعلبي عليها.

سابعًا: الجانب التاريخي.

المبحث الرابع: أهمية الكتاب، وقيمته العلمية.

ويشتمل علىٰ أربعة مطالب:

المطلب الأول: ثناء العلماء على الكتاب.

المطلب الثاني: مميزات هٰذا التفسير.

المطلب الثالث: عناية العلماء به واستفادتهم منه.

المطلب الرابع: المآخذ علىٰ تفسير «الكشف والبيان» ومناقشتها.

المبحث الأول

بيان ٱسم الكتاب وإثبات نسبته إلىٰ مؤلفه

* المطلب الأول: بيان ٱسم الكتاب.

تفسير الثعلبي ٱسمه «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» وهٰذا الٱسم للتفسير ثابت ثبوتًا قطعيًا، لا يتطرَّق إليه أدنىٰ شك أو ٱحتمال. وذلك لأدلة كثيرة، قوية ومتعاضدة منها:

١- أنَّ الثعلبي بنفسه رحمه الله صرَّح في مقدمة تفسيره أنَّه سمىٰ تفسيره بهٰذا الٱسم، إذ قال: وسمَّيته كتاب «الكشف والبيان عن تفسير القرآن».

ولو لم يكن إلا هٰذا لكفىٰ دليلًا علىٰ هٰذا الٱسم. فكيف إذا ضُمَّت إليه الأدلة التالية:

٢- أنَّ تلميذه الملازم له، وراوي تفسيره أبا الحسن الواحدي قد سمَّاه بهٰذا الٱسم أيضًا، إذ قال في مقدمة تفسيره «البسيط» في معرض ثنائه علىٰ شيخه الثعلبي: وله التفسير المُلقَّب «بالكشف والبيان عن تفسير القرآن»[1].

٣- أنَّ الذين رووا هٰذا التفسير بالإسناد عن الثعلبي سمَّوه في روايتهم بـ«الكشف والبيان عن تفسير القرآن» ومن هٰؤلاء:

أ- ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ) في فهرست ما رواه عن

(١) «البسيط» ١/ ٤٢٤.

شيوخه[١].

ب- عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) في كتابه «أُسد الغابة»[٢].

٤- أنَّ هٰذا الاسم هو الموجود على النسخ الخطية للكتاب.

وكذلك في الكتب التي ذكرت مخطوطات التفسير مثل «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان، و«الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط»[٣].

٥- ذِكْرُه بهٰذا الاسم في المؤلفات التي اعتنت بجمع أسماء الكتب والعلوم، مثل: «كشف الظنون»[٤]، و«هدية العارفين»[٥]، و«معجم المؤلفين»[٦].

وهكذا أثبتت لنا الدلائل السابقة بما لا يدع مجالًا للشك أنَّ اسم هٰذا التفسير هو «الكشف والبيان عن تفسير القرآن».

---

(١) «فهرسة ابن خير» (ص٥٣).

(٢) «أسد الغابة» ١/ ١١٥.

(٣) «الفهرس الشامل» ١/ ٨٣.

(٤) ٢/ ١٤٩.

(٥) ٥/ ٧٥.

(٦) ١/ ٢٣٨.

* **المطلب الثاني:**

إثبات نسبة الكتاب إلى الثعلبي رحمه الله

بعد أن ثبت لدينا أنَّ ٱسم تفسير الثعلبي هو «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» نأتي بعد ذلك إلىٰ إثبات نسبة هٰذا الكتاب إلى الإمام الثعلبي.

فنقول: إنَّ نسبة هٰذا الكتاب إلى الثعلبي ثابتة ثبوتًا قويًا، وذلك من خلال الأدلة القويَّة، والبراهين الساطعة، التي أثبتت أيَّما إثبات أنَّ هٰذا التفسير هو للثعلبي، حتىٰ غدا ذلك أمرًا واضحًا مشهورًا، لا يقبل المِراء ولا الٱختلاف.

ومن الأدلة المثبتة لنسبة «الكشف والبيان» إلى الإمام الثعلبي ما يأتي:

١- رواية الكتاب بالإسناد المتصل إلىٰ مؤلفه. ومن الذين رووا هٰذا التفسير:

أ- أبو الحسن الواحدي التلميذ المشهور للإمام الثعلبي وراوية تفسيره.

ففي بداية النسخة المحمودية للكشف والبيان، ذُكر إسناد متصل، يرويه المقرئ أبو عمران موسىٰ بن علي بن الحسن الجزري، عن شيخه الإمام الأوحد الحافظ أبي محمد عبد الله بن علي التكريتي في شوال سنة إحدىٰ وثمانين وخمس مئة، قال: أخبرنا الشيخ الإمام بقية الشرق أبو الفضل بن أبي الخير الميهني، قال: أخبرنا الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، قال: أخبرنا المصنِّف

أبو إسحاق الثعلبي[1].

ب- ورُوي التفسير من طريق آخر عن الواحدي أيضًا إذ رواه ابن خير الإشبيلي في «فهرسة ما رواه عن شيوخه» عن شيخه القاضي عياض بسنده إلى الواحدي عن الثعلبي.

فقد قال الإشبيلي: كتاب «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، تصنيف الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي رحمه الله.

حدثني به الفقيه القاضي أبو الفضل عياض بن موسىٰ بن عياض اليحصبي رحمه الله إجازة فيما كتب به إليَّ، قال: حدثني الشيخ أبو سعيد حيدر بن يحيىٰ بن حيدر بن يحيى الحنبلي الصوفي المجاور بمكة إجازةً فيما كتب به إلي بخط يده من مكة حرسها الله، قال: حدثنا القاضي أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، عن أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي مؤلفه[2].

ج- ورویٰ هٰذا التفسير أيضًا الإمام أبو محمد البغوي في كتابه «معالم التنزيل» من طريق تلميذ الثعلبي أبي سعيد الشُّريحي الخوارزمي.

إذ قال في مقدمة تفسيره: وما نقلتُه فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر هٰذِه الأمة ومن بعده من التابعين وأئمة السلف فأكثرها مما أخبرني الشيخ أبو سعيد أحمد بن محمد الشّريحي الخوارزمي فيما

---

(١) «النسخة المحمودية» الأصل ق١/أ.

(٢) «فهرست ابن خير» (ص٥٣).

قرأته عليه، عن الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه[١]. ثم ذكر الأسانيد في ذلك.

د- ومِمَّن روىٰ هٰذا التفسير بالإسناد المتصل إلىٰ مؤلفه: الإمام عز الدين ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة»، إذ ذكر في مقدمة كتابه الكتب الكبار التي خرَّج منها الأحاديث وغيرها، وذكر في أول هٰذِه الكتب «تفسير الثعلبي»، ثم ساق روايته لهٰذا الكتاب من طريق تلميذ الثعلبي أحمد بن خلف الشيرازي فقال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي علي بن مهدي الزَّرَزَارِيُّ الشيخ الصالح رحمه الله تعالىٰ قال: أخبرنا الرئيس مسعود بن الحسن بن القاسم الأصبهاني، وأبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمي، قالا: أخبرنا أحمد بن خلف الشيرازي، قال: أنبأنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي بجميع كتاب «الكشف والبيان في تفسير القرآن». سمعت عليه من أول الكتاب إلىٰ آخر سورة النساء، وأما من أول سورة المائدة إلىٰ آخر الكتاب، فإنه حصل لي بعضُه سماعًا وبعضه إجازةً، واختلط السماع بالإجازة فأنا أقول فيه: أخبرنا به إجازةً إن لم يكن سماعًا. فإذا قلت: أخبرنا أحمد بإسناده إلى الثعلبي، فهو بهٰذا الإسناد[٢].

هـ- وروى الكتاب أيضًا الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)

---

(١) «تفسير البغوي» ١/ ٢٨.

(٢) «أسد الغابة» ١/ ١١٥.

الإمام المشهور، في كتابه «المعجم المفهرس» الذي ذكر فيه مروياته إلى الكتب المشهورة، والأجزاء المنثورة.

وقد روىٰ تفسير الثعلبي عن طريق تلميذه: أبي سعيد الفَرُّخْراذي.

قال ابن حجر رحمه الله «كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن» لأبي إسحاق الثعلبي. أخبرنا الكمال أحمد بن علي بن عبد الحق مشافهةً، عن الحافظ أبي الحجاج المزي، وأبي محمد القاسم بن محمد البرزالي في آخرين، قالوا: أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد ابن عبد الواحد بن البخاري، إجازةً إن لم يكن سماعًا، عن منصور ابن عبد المنعم، وعبد الله بن عمر الصفَّار، والمؤيَّد بن محمد الطوسي، قالوا: أنبأنا أبو محمد العباس بن محمد بن أبي منصور العَصَّاري الطُّوسي، المعروف بعبَّاسة، أنبأنا أبو سعيد محمد بن سعيد بن محمد بن فَرُّخْراذ الفَرُّخْراذي، أنبأنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي به[١].

و- ومن الذين رووا هٰذا التفسير أيضًا تلميذ المصنف أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد القطَّان (ت ٤٧٨هـ). كما نقل ذلك السبكي في «طبقات الشافعية» إذ قال عند ترجمته: وقد روىٰ تفسير الثعلبي عن المصنِّف[٢].

٢- ومن الأدلة علىٰ ثبوت نسبة هٰذا التفسير للثعلبي تعاقب العلماء

(١) «المعجم المفهرس» (ص١١٢، ٣٩٢).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرىٰ» ٥/ ١٥٢.

على الإفادة منه، إما بالنقل منه، أو ٱختصاره، أو نحو ذلك مما سيأتي تفصيله عند الكلام علىٰ أهمية الكتاب في المبحث الرابع.

٣- ومن الأدلة أيضًا الشهرة الواسعة لنسبة هٰذا التفسير للثعلبي. فلا تكاد تجد للثعلبي ذكرًا في كتب التراجم إلا مقرونًا بتفسيره.

فها هو علىٰ سبيل المثال عبد الغافر الفارسي يقول عن الثعلبي: صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، وكلمات أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات، ثم كتاب العرائس والقصص، مما لا يحتاج إلىٰ ذكره لشهرته(١).

ويقول ياقوت الحموي عنه أيضًا: المفسِّر، صاحب الكتاب المشهور بأيدي الناس، المعروف بـ«تفسير الثعلبي»(٢).

ويقول السيوطي: صاحب التفسير المشهور(٣).

ويقول تلميذه الواحدي: وله التفسير المُلقَّب بـ«الكشف والبيان عن تفسير القرآن»(٤).

ويقول القفطي: وله التفسير المشهور(٥).

---

(١) «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» (١٩٧)، «معجم الأدباء» ٥/ ٣٦.

(٢) «معجم الأدباء» ٥/ ٣٦.

(٣) «طبقات المفسرين» (ص١٧).

(٤) «البسيط» للواحدي ١/ ٤٢٤.

(٥) «إنباه الرواه» ١/ ١٥٤.

ويقول ابن خلِّكان: وصنَّف التفسير الكبير، الذي فاق غيره من التفاسير[(١)].

ويقول الذهبي: له كتاب التفسير الكبير[(٢)].

ويقول الأسنوي: صاحب التفسير المعروف[(٣)].

ويقول السبكي: صاحب التفسير[(٤)].

وهكذا اُقترن ذكر الثعلبي بذكر تفسيره، فدل ذلك علىٰ أنَّ نسبته إليه مشهورة شهرة كبيرة.

٤- ويضاف إلىٰ ما سبق من الأدلة علىٰ إثبات نسبة هٰذا التفسير للثعلبي **النسخ الخطيَّة الكثيرة لهٰذا الكتاب**، المصدَّرة باسم الكتاب «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، واسم مؤلفه: أبي إسحاق أحمد ابن محمد الثعلبي[(٥)].

وهكذا فإن ما سبق من الدلائل والبراهين تدل دلالةً قاطعة علىٰ ثبوت نسبة «الكشف والبيان» إلىٰ أبي إسحاق الثعلبي رحمه الله.

---

(١) «وفيات الأعيان» ١/ ١٠٠.

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٤٣٥.

(٣) «طبقات الشافعية» ١/ ١٥٩.

(٤) المرجع السابق ٤/ ٥٨.

(٥) «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط» ١/ ٨٣ وما بعدها.

المبحث الثاني

مصادر المصنف في كتابه «الكشف والبيان»

معرفة مصادر المصنف في كتابه لها أهمية كبيرة وفائدة عظيمة، وتعتبر أساسًا لكشف منهج المفسِّر، ومعرفة ما بذله من جهد في أخذه من تلك المصادر، وطريقته في ذلك ومعرفة ما أضافه علىٰ ما أخذه.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله: إنَّ المناهج في التفسير تختلف باختلاف ما يستعين به المفسِّر من مصادر التفسير[1].

كما أنَّ معرفة المصادر تُبين القيمة العلمية للكتاب، والمكانة العلمية للمؤلف، فكلما تنوعت المصادر وكثرت، دلَّ ذلك علىٰ سعة علم المؤلف، وعلىٰ أهمية الكتاب، وكثرة فنونه ومعارفه.

والثعلبي قد أبَان عن مصادره في «الكشف والبيان»، إذ ذكر هٰذِه المصادر، وذكر أسانيده إلىٰ كل مصدر منها، في مقدمة كتابه.

وتميزت مصادره بميزات نذكرها في المطلب الآتي، ثم نذكر هٰذِه المصادر في المطلب الثاني إن شاء الله.

---

(١) «المعجزة الكبرىٰ» (ص٥٨٦) لأبي زهرة.

* **المطلب الأول: مميِّزات هٰذِه المصادر:**

تمتاز مصادر الثعلبي في «الكشف والبيان» بالمميزات الآتية:

١- **الإسناد**: إذ روى الثعلبي هٰذِه المصادر بإسناده إلىٰ أصحابها مما أكسب هٰذِه المصادر أهميةً وتوثيقًا.

وهٰذا يدلِّل علىٰ أن الثعلبي كان راويةً للأسانيد، وأنَّ كتابه من أهم كتب الرواية والإسناد.

وقد بلغ عدد الأسانيد التي روىٰ بها هٰذِه المصادر: مئة وخمسة أسانيد (١٠٥).

٢- **الأصَالة**: فمصادر الثعلبي أصيلة، فهو يروي التفسير عن أئمة التفسير أنفسهم، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، بإسناده ولم ينقل عن الكتب التي نقلت عن هٰؤلاء. ولذلك كان مصدرًا لكثير من كتب التفاسير بعده.

٣- **الكثْرة**: وتظهر كثرة مصادر «الكشف والبيان» لمن يقرأ كلام الثعلبي في مقدمته، إذ يقول: فاستخرتُ الله تعالىٰ في تصنيف كتاب شامل مهذَّب، كامل مخلَّص مفهوم منظوم، مستخرج من زهاء مئة كتاب مجموعات مسموعات، سوىٰ ما التقطته من التعليقات، والأجزاء المتفرقات، وتلقفته من أفواه المشايخ الثقات، وهم قريب من ثلاث مئة شيخ.

٤- **التنوع**: إذ تنوعت مصادر الثعلبي، فشملت جملةً من العلوم والمعارف، ولم تقتصر علىٰ نوع واحد، مما أكسب الكتاب أهميةً

عظمىٰ، وجعله موسوعةً في علوم شتىٰ.

وقد كان هٰذا التنوع في مصادر الثعلبي حسب ما ذكره في مقدمته على النحو الآتي:

أ- تفسير ابن عباس.

ب- تفاسير التابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير.

جـ- تفاسير شيوخه والمعاصرين له.

د- كتب في الوجوه والنظائر.

هـ- كتب في معاني القرآن.

و- كتب في غريب القرآن.

ز- كتب في مشكل القرآن.

ح- كتب في القراءات.

ط- كتب في السيرة والتاريخ والمغازي.

٥- **الشموليَّة**: تبيَّن لنا من خلال تنوع مصادر الكتاب، ٱشتمالها علىٰ كل ما يتعلق بالتفسير، وعلوم القرآن، وغيره. فقد شملت هٰذِه المصادر جانبي التفسير بالمأثور، وبالرأي، من خلال مرويات التفسير عن ابن عباس، والتابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير. ومن خلال كتب معاني القرآن، وغريبه، ووجوهه ونظائره، ومشكله وقراءاته.

وسنقوم إن شاء الله في الصفحات الآتية بدارسة هٰذِه المراجع على النحو الآتي:

أ- توثيق الكتاب ونسبته إلىٰ مؤلفه.

ب- دراسة إسناد الثعلبي بالترجمة لرجاله رجلًا رجلًا، مع ذكر مصادر الترجمة.

جـ- الحكم على الإسناد. مع ذكر أقوال العلماء في ذلك.

* المطلب الثاني: ذكر هٰذِه المصادر

ونذكرها هٰهنا باختصار، وستأتي إن شاء الله مدروسة محققة في مقدمة المؤلف.

أولاً: تفسير ابن عباس:

وقد أخرجه من خمس طرق عن ابن عباس:

١- طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

٢- طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

٣- طريق عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس.

وله عن عطاء طريقان:

أ- طريق ابن جريج.

ب- طريق الضحاك.

٤- طريق عكرمة، عن ابن عباس.

٥- طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

وله عن الكلبي ثلاث طرق:

أ- طريق محمد بن فضيل.

ب- طريق السدي الصغير.

وله عن السدّي الصغير طريقان:

طريق يوسف بن بلال السعدي.

طريق صالح بن محمد الترمذي.

جـ- طريق حبَّان بن علي العنزي.

ثانيًا: تفاسير التابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير:

١- تفسير مجاهد.

ورواه المصنف من ثلاث طرق عن مجاهد:

أ- طريق بن أبي نجيح.

وله عن ابن أبي نجيح طريقان:

١- طريق مسلم بن خالد الزنجي.

٢- طريق ورقاء.

ب- طريق ابن جريج.

جـ- طريق ليث بن أبي سُليم.

٢- تفسير الضحَّاك.

ورواه المصنف عنه من أربع طرق:

أ- طريق جويبر.

ب- طريق علي بن الحكم.

جـ- طريق عبيد بن سليمان الباهلي.

د- طريق أبي روق.

٣- تفسير عطاء بن أبي رباح.

٤- تفسير عطاء بن أبي مسلم الخراساني.

٥- تفسير عطاء بن دينار.

٦- تفسير الحسن البصري.

٧- تفسير قتادة.

ورواه الثعلبي عنه من ثلاث طرق:

أ- طريق سعيد بن أبي عروبة.

ويرويه عنه من طريق خارجة بن مصعب.

ب- طريق شيبان النحوي.

جـ- طريق معمر بن راشد.

٨- تفسير أبي العالية، والربيع بن أنس.

٩- تفسير أبي جعفر الرازي.

١٠- تفسير محمد بن كعب القرظي.

١١- تفسير مقاتل بن حيَّان.

١٢- تفسير مقاتل بن سليمان.

وقد رواه الثعلبي من ثلاث طرق عن مقاتل.

أ- طريق الهُذيل بن حبيب.

ب- طريق إسحاق بن إبراهيم التّغلبي.

جـ- طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم.

١٣- تفسير السدّي (الكبير).

١٤- تفسير الحسين بن واقد.

١٥- تفسير ابن جريج.

١٦- تفسير سفيان الثوري.

١٧- تفسير سفيان بن عيينة.

١٨- تفسير وكيع بن الجرَّاح.

١٩- تفسير شبل بن عبَّاد المكي.

٢٠- تفسير ورقاء بن عمرو.

٢١- تفسير زيد بن أسلم.

يرويه عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد.

٢٢- تفسير روح بن عُبادة.

٢٣- تفسير محمد بن يوسف الفريابي.

٢٤- تفسير قبيصة بن عقبة.

٢٥- تفسير أبي حذيفة النَّهدي.

٢٦- تفسير سعيد بن منصور.

٢٧- تفسير عبد الله بن وهب القرشي.

٢٨- تفسير عبد بن حُميد.

٢٩- تفسير محمد بن أيوب الرازي.

٣٠- تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم.

٣١- تفسير عبد الله بن سعيد الأشج.

٣٢- تفسير أبي حمزة الثمالي.

٣٣- تفسير المسيّب بن شريك.

ثالثًا: مصادره من تفاسير شيوخه، وعنون لها بـ«مصنفات أهل العصر» وهي:

١- تفسير شيخه: عبد الله بن حامد الأصبهاني.

٢- تفسير شيخه: أبي بكر بن عبدوس.

٣- تفسير شيخه: أبي عمرو الفُرَاتي.

٤- تفسير شيخه: أبي بكر بن فورك.

٥- تفسر جبريل عليه السلام.

٦- تفسير النبي ﷺ.

٧- تفسير الصحابة رضي الله عنهم.

والتفاسير الثلاثة من تصنيف شيخه محمد بن القاسم الفارسي الفقيه.

٨- كتاب الواضح: لأبي محمد عبد الله بن المبارك الدِّينوري.

٩- حقائق التفسير: لشيخه أبي عبد الرحمن السُّلَمي.

رابعًا: مصادره من كتب الوجوه والنظائر:

١- كتاب الوجوه: لابن عباس.

٢- كتاب الوجوه والنظائر: لمقاتل بن سليمان.

٣- كتاب النظائر: لعلي بن الحسين بن واقد.

خامسًا: مصادره من كتب معاني القرآن:

١- معاني القرآن: للفرَّاء.

٢- معاني القرآن: للكسائي.

٣- معاني القرآن: لأبي عبيد.

٤- معاني القرآن وإعرابه: للزَّجَّاج.

ويرويه المصنف من طريقين.

٥- كتاب النظم: لأبي علي الجرجاني.

سادسًا: مصادره من المؤلفات في غريب القرآن:

١- مجاز القرآن: لأبي عبيدة.

٢- غريب القرآن: للأخفش.

٣- غريب القرآن: للنَّضر بن شُميل.

٤- غريب القرآن: للمؤرج السدوسي.

٥- تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة.

ويرويه المصنف عنه من طريقين.

سابعًا: مصادره من كتب تأويل مُشكل القرآن:

١- مُشكل القرآن: لقُطْرب.

٢- تأويل مشكل القرآن: لابن قتيبة.

ويرويه المصنف عنه من طريقين.

ثامنًا: مصادره من كتب القراءات:

١- قراءة الفضل بن عباس الأنصاري.

٢- قراءة خلف بن هشام البزَّار.

٣- قراءة أبي عبيد القاسم بن سلاَّم.

ويرويه المصنف من أربع طرق عن علي بن عبد العزيز المكي راوية

أبي عبيد عن أبي عبيد.

٤- قراءة أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني.

٥- قراءة أبي معاذ النَّحوي.

٦- قراءة هارون بن حاتم المقرئ.

٧- قراءة محمد بن يحيى القطيعي.

٨- كتاب السَّبْعة: لأبي بكر بن مجاهد.

ويرويه عنه المصنف من ثلاث طرق.

٩- كتاب السَّبعة: لأبي بكر النَّقاش.

١٠- كتاب الأنوار: لابن مقسم العطَّار.

١١- كتابة الغاية: لابن مهران.

تاسعًا: مصادره من كتب المغازي والسِّير والتاريخ:

١- كتاب المبتدأ: لوهب بن منبِّه.

٢- كتاب المغازي: لابن إسحاق.

ويرويه عنه الثعلبي من ثلاث طرق.

المبحث الثالث

منهج المصنف في كتابه

* المطلب الأول: منهج المصنف إجمالاً من خلال مقدمته:

من العوامل المهمة التي تساعد الباحث علىٰ معرفة الخطوط العريضة لمنهج المصنف في كتابه هي «مقدمة الكتاب» خاصةً إذا أبان المصنف فيها عن طريقته في كتابه، وخطته في ذلك، وسبب تأليفه لكتابه، ومصادره فيه. ثم يبدأ الباحث بعد ذلك بتفصيل هٰذا المنهج، من خلال البحث والتتبع والاستقراء، والموازنة بين ما ذكره في المقدمة، وما قام به فعلًا في كتابه.

والثعلبي رحمه الله قدَّم لكتابه بمقدمة مهمة، ذكر فيها المعالم الرئيسة لكتابه على النحو الآتي:

صدَّر المصنف مقدمته بحمد الله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ثم ذكر أهمية تدبر القرآن الكريم، وتفهم معانيه.

ثم ذكر نشأته وجدَّه واجتهاده في طلب العلم عمومًا، وعلم التفسير علىٰ وجه الخصوص.

أولاً: أقسام المصنفين في التفسير:

ثم قسم الثعلبي المفسرين علىٰ ست فرق، هم:

أ- أهل البدع والأهواء.

مثل مفسِّري المعتزلة، كالبلخي، والجبائي، والأصفهاني،

والرمَّاني.

وذكر أنَّنا مأمورون بمجانبة هٰؤلاء وترك مخاطبتهم.

والثعلبي قد ردَّ في كتابه على المعتزلة ودحض أقوالهم في مواطن كثيرة، كما سيأتي عند الكلام عن معتقده، ومنهجه في تقرير العقيدة، والرد على المخالفين.

ب- فرقة ألفوا فأحسنوا غير أنهم خلطوا أباطيل المبتدعين، بأقوال السلف الصالحين.

كأبي بكر القفَّال، وأبي حامد المقرئ.

وقد ٱعتذر المصنف لهٰؤلاء بعذرين:

١- أنَّ صنيعهم هٰذا ليس تعمدًا مقصودًا، بل هو غفلة وغِرَّة.

٢- أنهم كانوا فقهاء، ولم يكونوا من العلماء المتخصصين في التفسير.

جـ- فرقة ٱقتصروا على الرواية والنقل، دون الدراية والنقد. مثل إسحاق بن راهويه، وأبي إسحاق الأنماطي.

وقد قال المصنف في هٰؤلاء: بياع الدواء محتاج إلى الأطباء.

أي أن هٰؤلاء حملوا هٰذِه المرويات وأدوها كما سمعوها، وهٰذا صنيع عظيم منهم، وإن كانوا قد لا يحيطون بما يتعلق بها من دراية ونقد.

ولكنَّ المصنف رحمه الله قد ٱعتمد علىٰ هٰذِه المرويات التي نقلها هٰؤلاء وغيرهم ٱعتمادًا كبيرًا، ولا عجب إذا قلت إن أبرز صفة في هٰذا

التفسير هي مروياته المسندة. إلا أنه لم يقتصر عليها، بل ضم إليها جانب الدراية والرأي.

ثم ذكر المصنف فرقةً من المفسرين بعكس هٰؤلاء. وهي:

د- فرقة حذفوا الإسناد:

وينتقد الثعلبي هٰؤلاء بشدة، فيذكر أنهم بسبب تركهم الإسناد، ونقلهم من الصحف والدفاتر، وقع في تفاسيرهم الغث والسمين، والواهي والمتين. ولما كانوا كذلك ذكر أنه صان كتابه عن ذكرهم. مبيِّنًا قيمة الإسناد، وأنه لولاه لقال من شاء ما شاء.

ولا غرو أن ينتقد الثعلبي صنيع هٰؤلاء، وهو الذي جعل عمدة تفسيره على الإسناد[١].

هـ- فرقة حازوا قصب السبق في جودة التصنيف والحِذْق.

وهٰذا ثناء من الثعلبي علىٰ هٰؤلاء إلا أنه يرىٰ أنهم قد أطالوا كتبهم بكثرة الأسانيد والروايات. فاتسعت كتبهم كثيرًا حتىٰ حال هٰذا الاتساع والطول دون الاستفادة منها.

ومثل لها المصنف بتفسير ابن جرير الطبري، وتفسير شيخه عبد الله ابن حامد.

و- فرقة جوَّدوا التفسير، دون الأحكام، وبيان الحلال والحرام، وذكر المشكلات وحلها، والرد علىٰ أهل الزيغ والشبهات.

مثل تفاسير كثير من التابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير، مثل

---

(١) كما سيأتي بيانه عند الكلام عن منهج المؤلف في الرواية وسوق الأسانيد.

مجاهد، ومقاتل، والسدي، والكلبي.

وهٰؤلاء أثنى الثعلبي عليهم من حيث تفسير الآية، ومعانيها، واعتمد علىٰ أقوال هٰؤلاء ٱعتمادًا كبيرًا، وكتابه «الكشف والبيان» يعد من أوسع التفاسير إن لم يكن أوسعها في نقل أقوال المفسرين من المتقدمين.

لكنَّ أبا إسحاق يرىٰ أن هٰذا المنهج لا يكفي في تفسير الآية. بل لا بد من جانب الدراية.

ثم ختم الثعلبي هٰذِه الأقسام بعبارة تدل علىٰ أدبه رحمه الله مع العلماء، وإن ٱنتقد مصنفاتهم، فقال: ولكل من أهل الحق منهم فيه غرض محمود، وسعي مشكور.

أي أنَّ هٰؤلاء العلماء وإن كان أبو إسحاق يخالفهم في جوانب من مناهجهم في مؤلفاتهم، إلا أنَّ هٰذا لا يعني إهدار جهدهم وما بذلوا وقاموا به في مؤلفاتهم. فسعيهم مشكور. لا سيما قصدهم ومرادهم من مؤلفاتهم محمود، وهو خدمه كتاب الله، وبيان معانيه.

* **فائدة:**

ذكر المصنف في تقسيمه السابق للمفسرين، عدة تفاسير، وأشار إلىٰ مناهج مؤلفيها في التفسير. فاستفدنا من كلام المصنف في ذلك فائدتين نفيستين:

أولاهما: توثيق هٰذِه التفاسير. لا سيِّما أكثرها مفقود.

وثانيهما: ذكر مناهج مؤلفيها فيها.

ومن هٰذِه التفاسير:

١- تفسير إسحاق بن راهويه.

٢- تفسير أبي إسحاق الأنماطي.

٣- تفسير عبد الله بن حامد الأصبهاني شيخ المؤلف.

٤- تفسير أبي بكر القفَّال.

٥- تفسير أبي حامد المقرئ.

٦- تفاسير المعتزلة: البلخي، والجبائي، والأصفهاني، والرماني.

ويتَّضح لنا من التقسيم السابق أنَّ الثعلبي رحمه الله.

انتقد تفاسير المبتدعة، والفرق الضالة، كالمعتزلة، كما ٱنتقد التفاسير التي ٱقتصرت على الرواية والنقل، دون الٱعتماد علىٰ جانب الدراية، والتفسير بالرأي.

وهو ينتقد من هم بعكس هٰؤلاء، ممن حذف في تفسيره الإسناد، واعتمد علىٰ جانب الدراية والرأي، أو النقل بلا إسناد.

وينتقد الثعلبي كذلك الذين أطالوا تفاسيرهم إطالة شديدة بالروايات والأسانيد، وذكر الأقوال.

كما أنه ينتقد المفسرين الذين أَخْلَوْ تفاسيرهم من المسائل الفقهية والأحكام في الحلال والحرام، ولم يذكروا المسائل التي تتعلق بعلوم القرآن، كمشكل القرآن، وغيره.

ونخلُص مما سبق إلىٰ أن مواصفات التفسير المثالي في رأي الثعلبي هو ما تميز بالصفات الآتية:

١- خلوُّه من أقاويل المبتدعين والضالين.

٢- الجمع بين الرواية والدراية، أو المأثور والمعقول في التفسير.

٣- الاعتماد على الإسناد في التفسير، وعدم حذفه.

٤- عدم التطويل الشديد في نقل المرويات والأقوال.

٥- ذكر الأحكام الشرعية، والمسائل الفقهية المتعلقة بالآية.

٦- الاهتمام بعلوم القرآن في أثناء التفسير، مثل الآيات التي ادُّعي أنها مشكلة، وتأويل هٰذا المشكل.

٧- الرد علىٰ أهل الزيغ والشبهات.

ولكنَّ الثعلبي لم يجد كتابًا في التفسير تجتمع فيه هٰذِه الصفات والمميزات. **وهٰذا ما دعاه إلىٰ تأليف كتاب في التفسير ينتظم تلك المزايا والسمات.**

ثانيًا: سبب تأليف الكتاب:

بعد أن ذكر الثعلبي أقسام المصنفين في التفسير، تكلَّم عن تأليفه لهٰذا التفسير، ويمكن إيجاز الأسباب التي دفعته إلىٰ تأليف هٰذا الكتاب من خلال كلامه في مقدمة تفسيره، في أربعة أمور:

١- أنه لم يعثر علىٰ كتاب جامع مهذَّب في التفسير. ولعله يريد كتابًا يجمع المزايا التي استخلصناها من تقسيمه السابق للمفسرين.

٢- رغبة الناس عن علم التفسير، وقصور هممهم في البحث عنه، مع نفرتهم عن الاستفادة من الكتب المطولة في هٰذا الشأن.

٣- سؤال عدد من العلماء وطلاب العلم الثعلبي أن يصنف كتابًا في

هٰذا العلم.

٤- التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بهٰذا المصنف ، أداءً لبعض واجب شكره، فإن شكر العلم نشره، وزكاته إنفاقه.

ثالثًا: وصف الكتاب:

ثمَّ وصف الثعلبي كتابه بقوله: كتاب شامل مُهذَّب، كامل مخلَّص، مفهوم منظوم نسقته بأبلغ ما قدرتُ عليه من الإيجاز والترتيب، ولفَّقته بغاية التنقيب والتقريب. فهو كتاب يشمل كل ما يتعلق بتفسير الآية، مع محاولة التهذيب وترك الإطالة المُملة، ويتميز باستيفاء المعلومة بأسلوب جامع مانع.

وهو مفهوم العبارة سَلِسُها، في نظم بديع، وترتيب رائع، مع الإيجاز غير المخل، وترتيب المعلومات المتعلقة بتفسير الآية، والتنقيب عن المعلومة وذكرها بأسلوب قريب من الفهم.

رابعًا: منهجه وعمله في التفسير:

ثمَّ ذكر أن عمله في هٰذا التفسير يقوم علىٰ عدة أمور، ينبغي لكل مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه ألا يخلو كتابه منها.

وهٰذِه الخصال توضح لنا منهج المصنف في تفسيره علىٰ سبيل الإجمال، وهي:

- ٱستنباط شيء كان مغفلًا.
- أو جمعه إن كان مفرَّقًا.
- أو شرحه إن كان غامضًا.

- أو حسن نظم وتأليف.

- أو إسقاط حشو وتطويل.

هكذا نصَّ في مقدمته.

وهٰذا يعني أن منهجه يقوم علىٰ:

١- ٱستنباط الفوائد والأحكام من الآية.

٢- جمع ما كان متفرِّقًا من أقوال المفسرين، وغيرها.

٣- شرح ما كان غامضًا من ألفاظ الآيات.

٤- حسن النظم في الأسلوب والتأليف.

٥- خلوه من الحشو والتطويل الذي لا داعي له.

وهٰذا يتوافق مع وصفه لكتابه، بأنه كان يجمع بين الشمول والتكامل في المعلومة، والتهذيب والاختصار، وبين التطويل غير الممل والاختصار غير المخل.

خامسًا: مصادره في كتابه من خلال مقدمته:

ثمَّ ذكر المصنف مصادره إجمالًا: إذ ذكر أنه ٱستخرج كتابه هٰذا من:

- مئة كتاب مجموعات مسموعات.

- إضافةً إلىٰ ما التقطه من التعليقات، والأجزاء المتفرقات.

- وتلقَّفه من أفواه المشايخ الثقات، وهم قريب من ثلاث مئة شيخ.

ثم ذكر فيما بعد مصادره بالتفصيل، مروية بإسناده. وذكرها في المقدمة لئلا يحتاج إلىٰ تكرار الأسانيد في ثنايا كتابه.

سادسًا: أنواع المادة العلمية في «الكشف والبيان»:

ثم ذكر الثعلبي رحمه الله أنه خرَّج تفسيره علىٰ أربعة عشر نحوًا:

١- البسائط والمقدمات.

٢- العدد والتنزيلات.

٣- القصص والنزولات.

٤- الوجوه والقراءات.

٥- العلل والاحتجاجات.

٦- العربية واللغات.

٧- الإعراب والموازنات.

٨- التفسير والتأويلات.

٩- المعاني والجهات.

١٠- الغوامض والمشكلات.

١١- الأحكام والفقهيات.

١٢- الحِكم والإشارات.

١٣- الفضائل والكرامات.

١٤- الأخبار والمتعلقات.

ثم ذكر أنَّ هٰذِه الموضوعات المعنونة، أدرجها في أثناء تفسيره، وضمَّنها كتابه، دون أن يُعنون لكل موضوع بعنوانه، بل يوردها في المكان المناسب لها.

وسيأتي منهجه في هٰذِه العلوم عند تفصيل منهج المصنف في كتابه

في المبحث الثالث إن شاء الله.

- وبعد أن ذكر المصنف مصادره بالتفصيل؛ عقد ثلاثة أبواب ختم بها مقدمته، وهي:

أ- باب في فضل القرآن وأهله وتلاوته.

ب- باب في فضل علم القرآن والترغيب فيه.

وروىٰ بسنده عددًا من الأحاديث والآثار في ذلك.

جـ- باب في معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما.

وذكر أقوال العلماء في ذلك. وروىٰ هٰذِه الأقوال بسنده أيضًا.



* المطلب الثاني: منهج المصنف في كتابه مفصلاً

ويشتمل علىٰ بيان منهجه في الأمور الآتية:

أولاً: طرق التفسير التي أنتهجها المصنف:

أ- تفسير القرآن بالقرآن.

ب- تفسير القرآن بالسنة.

جـ- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

د- تفاسير التابعين.

هـ- تفاسير أتباع التابعين ومن بعدهم.

و- الإسرائيليات وموقف الثعلبي منها.

ز- التفسير الصوفي والإشاري وموقف الثعلبي منه.

ثانيًا: علوم القرآن.

أ- أسماء السور.

ب- عدد آيات السورة، وكلماتها وحروفها.

جـ- المكي والمدني.

د- أسباب النزول.

هـ- الوقف والابتداء.

و- القراءات.

ز- الناسخ والمنسوخ.

حـ- الربط والمناسبة بين الآيات.

ط-آخر ما نزل من القرآن.

ثالثًا: الرواية بالإسناد.

رابعًا: تقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق.

خامسًا: الجانب الفقهي.

سادسًا: اللغة العربية، واعتماد الثعلبي عليها.

سابعًا: الجانب التاريخي.

* * *

أ- تفسير القرآن بالقرآن

أهمية تفسير القرآن بالقرآن:

إنَّ أحسن طرق التفسير وأصحَّها أن يُفسَّر القرآن بالقرآن، إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله ﷻ الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصىٰ كل شيءٍ عددًا، وهو سبحانه لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

فما أُجمل من القرآن في موضع فُصِّل في موضع آخر، وما ٱختُصر في موضع بُسط في موضع آخر.

وهٰذِه الطريقة في التفسير كان ينتهجها رسول الله ﷺ، حيث كان يفسِّر بعض آيات القرآن ببعضها.

ومن ذلك تفسيره مفاتح الغيب في قوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[3] وغيرها كثير.

---

(١) سورة النحل: (٨٩).

(٢) يوسف: (١١١).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٦٢٧) كتاب التفسير، باب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا

ولذلك ذكر العلماء رحمهم الله أنَّ أفضل طرق التفسير وأصحها: تفسير القرآن بالقرآن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإنْ قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أنَّ أصح الطرق في ذلك: أن يُفسَّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنَّه قد فُسِّر في موضع آخر، وما ٱختصر في مكان بسط في موضع آخر(١).

عناية الثعلبي بتفسير القرآن بالقرآن ومنهجه في ذلك:

إنَّ الناظر في تفسير «الكشف والبيان» للثعلبي يدرك لأول وهلة الاهتمام الشديد، والعناية الفائقة من الثعلبي بتفسير القرآن بالقرآن، في مواضع كثيرة من تفسيره. ولا غرابة في ذلك، فالثعلبي رحمه الله قد ركَّز في تفسيره علىٰ جانب المأثور، حتىٰ حوىٰ هٰذا التفسير رصيدًا هائلًا من مأثور التفسير، ويأتي تفسير القرآن بالقرآن في مقدمة التفسير بالمأثور.

ومن أوجه تفسير القرآن بالقرآن في «الكشف والبيان»:

١- تفسير ما أُجمل في موضع بما بُيِّن في موضع آخر:

مثال ذلك: عند قوله تعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]. قال: يعني طريق الذين مننتَ عليهم بالتوفيق والرعاية والتوحيد والهداية، وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالىٰ

يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ وفي (٤٧٧٨) كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

(١) «مقدمة في أصول التفسير» (ص٨٢)، وانظر: «الإتقان» للسيوطي ٤/ ٤٦٧.

في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٢- تفسير الآية وتوضيح معناها بذكر نظائرها في القرآن:

وهٰذا كثير إذ يسوق الثعلبي عند تفسيره للآية الآيات الأخرى المشابهة لها، والمتحدة معها في المعنىٰ. فيقول مثلًا كقوله ﷻ كذا، أو يقول: دليلها ونظيرها، ونحو ذلك.

ومن الأمثلة عليه:

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]. ذكر الآيات التي تماثلها من حيث ذكر الجزاء والشرط، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ﴾ يا معشر الكفار، لفظ جزاء وشرط، ومعناه إذا، لأن الله تعالىٰ علم أنَّهم شاكون، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠]. ذكر المصنف قولين في تفسير الآية، ثم بيَّن معنى الحجة وذكر الآيات التي ذُكرتْ فيها الحجة أيضًا فقال: ومعنى الحجة في هذين القولين الخصومة والجدل والدعوى الباطلة. كقوله تعالىٰ: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: لا خصومة. وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾ و﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾ و ﴿تُحَآجُّونَ﴾ و ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ كلها بمعنى المخاصمة والمجادلة.

- عند قوله ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: فأفطر؛ فعدة؛ كقوله ﷻ ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] قال: واللغو، واللغا من الكلام ما لا خير فيه، ولا معنىٰ له، قال الله ﷻ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾، وقال ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾.

- عند قول تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال: (ويبسط) أي يوسع الرزق علىٰ من يشاء، نظيرها قوله ﷻ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾.

- قوله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١]: وقيل: تفسيره في سورة النحل ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾.

- وقوله عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]: وقال عبد العزيز بن يحيىٰ: قدم صدق؛ بيانه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾. وقال أبو حاتم: منزل صدق؛ نظيره ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾.

- عند قول الحق تعالىٰ: ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ [يونس: ٢١]: وقال مقاتل بن حيان: لا يقولون هٰذا رزق الله بل يقولون سقينا بنوء كذا، وهو قوله ﷻ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾.

- ما أورده عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٨] إذ قال: وأصله: (تثاقلتم)، فأدغمت التاء في الثاء وأحدثت لها ألف

ليتوصل إلى الكلام بها، وليمكن الابتداء بها، كقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾ [الأعراف: ٣٨] و﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا﴾ [النمل: ٤٧]، ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ [يونس: ٢٤].

٣- الاستدلال بالقرآن في بيان معنى الآية وألفاظها:

مثاله: عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]. بيَّن المصنف معنىٰ (عَدْل) هنا، واستدل علىٰ هٰذا البيان بالقرآن، فقال: فداء، كما كانوا يأخذون في الدنيا، وسُمِّي الفداء عدلًا لأنه يعادل المفدىٰ ويماثله، قال الله تعالىٰ: ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] نقل قولًا في تعريف السحر، واستدل له بالقرآن، فقال: قال بعضهم: السحر: العلم والحذق بالشيء، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي: العالم.

- عند قوله ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قال: وأصل البعل: السيد، والحاكم، قال الله تعالىٰ: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلًا وَتَذَرُونَ﴾.

- عند قوله تعالىٰ ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢] قال: وأصل الضلال: هلاك الشيء، وذهابه؛ تقول العرب: ضل الماء في اللبن، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

- عند قوله تعالىٰ في سورة المدثر: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ [المدثر: ٣٧] قال رحمه الله: في الخير والطاعة ﴿أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧] عنها بالشر والمعصية. نظيره ودليله قوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ﴾ [الحجر: ٢٤] يعني في الخير ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤] عنه.

- وفي سورة القيامة عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٥]، قال رحمه الله: يعني أنه يشهد عليه الشاهد، ولو ٱعتذر وجادل عن نفسه، نظيره قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢].

- في سورة النبأ عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ٢] قال رحمه الله: قال مجاهد هو القرآن، دليله قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧].

- وفي سورة الإنسان عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] قال رحمه الله: أي بينا له سبيل الحق والباطل، والهدىٰ والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر وهو كقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠].

٤- الٱستدلال بالقرآن علىٰ معنى الحديث:

يذكر المصنف أحيانًا عقب إيراده للحديث: الآيات الموافقة لمعنى الحديث، والمؤيدة له علىٰ غرار ذكر الآية مع نظائرها. وهٰذا من توسُّعِهِ رحمه الله في الٱستدلال بالقرآن في تفسيره.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

عند قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. أورد حديث النبي ﷺ الذي فيه أنَّ رجلًا سأله عن الذين يقاتلونه؟ فقال النبي ﷺ: «المغضوب عليهم» وأشار إلى اليهود. فقال السائل: ومن هٰؤلاء الطائفة الأخرىٰ؟ قال: «الضالون» وأشار إلى

النصارىٰ.

قال المصنف بعد ذلك: وتصديق هٰذا الحديث حكم الله ﷻ بالغضب على اليهود في قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ الآية. وحكمه على النصارىٰ بالضلال في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

٥- الاستدلال بالقرآن في بيان معنىٰ ألفاظ الآية:

مثال ذلك:

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]. بيَّن أصل الفسق، واستدل علىٰ ذلك بالقرآن. فقال: وأصل الفسق: الخروج، قال الله تعالىٰ: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خرج.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ [الطارق: ١٢]: أي تتصدع عن النبات، والأشجار، والثمار، والأنهار. نظيره قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس: ٢٦: ٣١].

- عند قوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤] أورد رحمه الله عدة أقوال للسلف ثم قال: قال الأخفش: هي كقولك: فلان عبرة، وحجة، دليل هٰذا التأويل قوله ﷻ: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

- وعند قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٥] أورد

رحمه الله عدة أقوال للمفسرين، ثم قال: ومعنى الإلقاء: القول، نظيره قوله: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ [النحل: ٨٧]، ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦].

- في سورة النبأ عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ [النبأ: ١٤]. رجح هنا أن (من) بمعنىٰ (الباء) كقوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ﴾ [القدر: ٤-٥].

٦- الاستدلال لأقوال المفسرين بالقرآن الكريم:

لا يكتفي المصنف بإيراد أقوال المفسرين في معنى الآية، بل إنه كثيرًا ما يذكر بجانب كل قول ما يدل علىٰ قوله من آيات القرآن الكريم.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

- عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥] ذكر عدة أقوال للمفسرين في قوله: ﴿وَاسِعٌ﴾ واستدل لكل قول بالقرآن، فقال: قال الكلبي: يعني واسع المغفرة لا يتعاظم مغفرته ذنب. دليله: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾. وقال أبو عبيدة: الواسع الغني: يقال: يعطي من سعة، أي: من غنىٰ. قال الله ﷻ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾. وقال الفراء: الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كلَّ شيء. دليله: قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

- عند قوله تعالىٰ ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] استعرض اختلاف المفسرين في (الفسوق)، فقال: وقال الضحاك: هو التنابز بالألقاب، دليله قوله ﷻ ﴿وَلَا

تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ﴾، وقال ابن زيد: هو الذبح للأصنام ....، دليله قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾.

- عند قوله تعالىٰ ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. قال: قال الواقدي: معناه في حيث أمركم الله، وهو الفرج. نظيره في سورة الملائكة والأحقاف ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر: ٢٩] نقل في معنىٰ (لواحة): مغيرة للجلود، ومحرقة للجلد، ثم قال: وقال الحسن، وابن كيسان: يعني تلوح لهم جهنم حتىٰ يروها عيانا. نظيره قوله ﷻ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء: ٩١].

- عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ [القيامة: ٨]: قال رحمه الله: قال ابن كيسان: ويحتمل أن يكون بمعنىٰ غاب، كقوله تعالىٰ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

- وعند تفسير قوله تعالىٰ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١٢] قال رحمه الله: وقال يمان: المصير، والمرجع، وهو قول ابن مسعود ؓ. نظيره: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العلق: ٨]، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورىٰ: ٥٣].

٧- الاستدل علىٰ بعض أوجه التأويل بقراءات بعض الصحابة والتابعين:

- قوله عند تفسير قوله جل وعلا: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةًۚ﴾

[التوبة: ١٠]: وقال أبو مجلز ومجاهد في سائر الروايات: الإل هو الله ﷻ...، ثم قال: والدليل علىٰ هٰذا التأويل قراءة عكرمة: لا يرقبوا في مؤمن أيلًا. بالياء يعني الله ﷻ.

- عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة: ١٩]: والوجه الآخر: أن تجعل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر، تقديره: أجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام. كقوله ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]؛ أي للمتقين. يدل علىٰ هٰذا التأويل قراءة عبد الله بن الزبير وأبي وجزة السعدي: (أجعلتم سُقاة الحاج وعَمَرة المسجد الحرام) علىٰ جمع الساقي والعامر.

٨- الاستدلال بالقرآن لبعض القراءات:

- عند قوله ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال: قرأ الحسن، وقتادة، وابن أبي إسحاق، وأبو عمرو (قل العفوُ) رفعًا، واختاره محمد بن عيسىٰ علىٰ معنى الذين ينفقون هو العفو. دليله قوله ﷻ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

- عند قوله ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ذكر أن القراء اختلفوا في قوله (قدره) فقرأ بعضهم بفتح الدال، وآخرون بجزمها، ثم قال: وهما لغتان قد نطق بهما القرآن، فتصديق الفتح قوله ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾، وتصديق الجزم ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

٩ - الاستدلال بالقرآن على المسائل النحوية والبلاغية:

أ- عند قوله تعالىٰ ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤]، قال: يعني ولم

يأتكم، و(ما) صلة، كقوله تعالىٰ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾.

ب- عند قوله تعالىٰ ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، قال: ودخول (أن) وحذفها لغتان صحيحتان، فصيحتان، فأما إثبات (أن)؛ فقوله تعالىٰ ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾. وأما حذفها؛ فقوله تعالىٰ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

١٠- الاستدلال بالقرآن لإثبات صحة آرائه:

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، قال: والصحيح أن المعدودات أيام التشريق، وعليه أكثر العلماء، ويدل عليه قوله ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾.

- عند قوله تعالىٰ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] قال: وقال بعضهم: هو فرض على الكفاية ...، وهو القول الصحيح، الذي عليه الجمهور ...، يدل علىٰ صحة هٰذا القول قول الله ﷻ ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

ب- تفسير القرآن بالسنَّة

تعد السنة النبوية بيانًا وإيضاحًا للقرآن الكريم، إضافةً إلى استقلالها ببيان بعض الأحكام والتشريع.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

---

(١) سورة النحل: (٤٤).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ۝١٠٥﴾[1].

وقال تعالىٰ ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٦٤﴾[2].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أن السنة مبيِّنة للقرآن وموضحةٌ له.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإنْ أعياكَ ذلك- أي: تفسير القرآن بالقرآن- فعليك بالسنة، فإنَّها شارحة للقرآن، وموضِّحة له، بل قد قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن[3].

عناية الثعلبي بتفسير القرآن بالسنَّة:

يصنَّف تفسير «الكشف والبيان» علىٰ أنه من كتب التفسير بالمأثور، وما ذلك إلا لأمور من أهمها: ٱحتواؤه علىٰ عدد هائل من أحاديث التفسير، فقد ٱعتمد الثعلبي في تفسيره ٱعتمادًا كبيرًا على الحديث الشريف. فأخذ يفسِّر به الآية، بل يتعدىٰ ذلك إلىٰ رواية الأحاديث وإيرادها عند أدنىٰ مناسبة تتعلق بالآية كما سيأتي في منهجه، حتىٰ أصبح هٰذا الكتاب بحق موسوعة في أحاديث التفسير، وأصبحت

---

(١) النساء: (١٠٥).

(٢) النحل: (٦٤).

(٣) «مقدمة في أصول التفسير» (ص٨٢).

هٰذِه الأحاديث من أعظم المزايا التي يمتاز بها عن غيره من التفاسير. وما ذلك إلا لإدراك الثعلبي عِظم مكانة السنة النبوية بالنسبة للقرآن، وأنها المصدر الثاني من مصادر التفسير.

وقد نهج الثعلبي في ذلك المنهج الآتي:

١- تفسير القرآن بالسنة:

مثاله: عند قوله تعالىٰ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. روى المصنف حديثين في بيان المراد بالمغضوب عليهم، والضالين.

حيث روىٰ بإسناده إلى النبي أنه قال: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال: اليهود. ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: النصارىٰ.

ثم روىٰ حديثًا بنحوه أيضًا عن عبد الله بن شقيق.

- عند قوله تعالىٰ ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾ [البقرة: ٥٢] قال: أي تركناكم فلم نستأصلكم، من قوله عليه الصلاة والسلام: «**أحفوا الشوارب واعفوا اللحىٰ**».

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ [البقرة: ١٥٥].

فسَّر نقص الثمرات بموت الأولاد، لأنَّ ولد الرجل ثمرة قلبه.

واستدل علىٰ ذلك بحديثٍ رواه بسنده إلى النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات ولد العبد، قال الله تعالىٰ للملائكة: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم**» الحديث.

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. قال: أي مطيعين؛ قاله الشعبي ودليل هٰذا التأويل ما روىٰ أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «كل قنوت في القرآن فهو الطاعة».

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، قال: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ تسروها ﴿وَتُؤْتُوهَا﴾ تعطوها الفقراء في السر؛ فهو خير لكم، وأفضل؛ كل مقبول؛ إذا كانت النية صادقة، ولكن صدقة السر أفضل، وفي الحديث: «صدقة السر تطفئ غضب الرب كما يطفئ الماء النار، وتدفع سبعين بابًا من البلاء».

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩]: ٱستدل بحديث ذبح الموت يوم القيامة علىٰ هيئة كبش أملح.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]: ٱستدل علىٰ أن معنى الورود هو الدخول، بقوله ﷺ: « ما من مسلم يموت له ثلاثة إلا لم يلج النار إلا تحلة القسم »، ثم قرأ: « ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ » [مريم: ٧١].

ومثل هٰذا كثير في «الكشف والبيان».

٢- رواية الحديث من عدة طرق، واستعمال صيغة تحويل الأسانيد (ح) في ذلك:

ومن الأمثلة علىٰ ذلك قوله: أخبرنا ابن حمدويه، قال: أخبرنا ابن أيوب. ح. قال: نا أبو حامد وابن حبيب قالا: أخبرنا الكارزي. ح.

وأخبرنا أبو حفص عمر قال: أنا الرَّفاء، قالوا: أنا علي بن عبد العزيز قال: نا أبو عبيد قال: نا يحيىٰ بن سعيد الأموي قال: نا عبد الملك بن جُريج عن عبد الله بن أبي مليكة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُقطِّع قراءته: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

ورواية الثعلبي للحديث من ثلاث طرق يدل علىٰ سعة روايته.

٣- يروي الحديث غالبًا بسنده الخاص عن شيخه إلى النبي ﷺ:

وهٰذِه ميزة ٱمتاز بها هٰذا التفسير، إذ للإسناد قيمة ومكانة لدىٰ هٰذِه الأمة. ولذلك لام الثعلبي في مقدمته الذين صنَّفوا في التفسير ولم يذكروا الأسانيد، فقال في معرض حديثه عن أقسام المفسرين وفرقهم: وفرقةٌ حذفوا الإسناد الذي هو الركن والعماد، فنقلوا من الصحف والدفاتر، وجرَوا علىٰ هوَس الخواطر، وذكروا الغثَّ والسمين، والواهي والمتين، وليسوا في عدد العلماء، فصنتُ الكتاب عن ذكرهم، والقراءة والعلم سنة يأخذها الأصاغر عن الأكابر، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وهٰذا أمر ظاهر في هٰذا التفسير ظهورًا واضحًا أيَّما وضوح.

ولا شك أن الرواية بالإسناد لا يُؤتاها إلا من لازم الشيوخ، وحفظ الأسانيد والمرويات.

٤- وأحيانًا يذكر الأحاديث غير مُسندة، ويقتصر علىٰ ذكر الصحابي فقط، وأحيانًا يذكر المتن فحسب:

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

- قوله في تفصيل مسألة القراءة خلف الإمام وأدلتها قال: وكذلك الجواب عن ٱحتجاجهم بخبر عمران بن حصين قال: صلىٰ رسول الله ﷺ الظهر أو العصر.. الحديث.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤] قال في أثناء تفسيره للشيطان: وفي الحديث: إذا مرَّ الرجل بين يدي أحدكم وهو يصلي فليدفعه، فإن أبي فليقاتلْه فإنَّه شيطان. ورُوي عن النبي ﷺ: أنَّه نظر إلىٰ رجلٍ يتبع حمامًا طائرًا فقال: «شيطان يتبع شيطانًا».

- عند قوله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قال: روىٰ هشيم عن أبان عن أنس ... ثم ذكر حديثًا مرفوعًا.

- عند قوله ﷻ ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال: ونظير هٰذِه الآية من الأخبار ما روىٰ أبو هريرة أن رجلًا قال: يا رسول الله، عندي دينار.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] قال: وقال آخرون المراد بهٰذِه الآية الدلالة علىٰ أن الرضاع ما كان في الحولين ... وفي الحديث: «لا رضاع بعد الحولين، وإنما يحرم من الرضاع ما أنبت اللحم ...».

- عند قوله تعالىٰ: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ١٩]: قال: والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، والدليل عليه: (أن عرفجة بن أسعد رضي الله عنه، أصيبت أنفه يوم الكُلاب

فاتخذ أنفًا من وَرِقٍ فأنتن عليه، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفًا من ذهب). أورده بلا سند.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩]: ٱستدل بحديث: «**سرادق النار أربعة جدر كثف كل واحدة مسيرة أربعين سنة**»، أورده أيضًا بلا سند.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]: ٱستدل بقوله ﷺ لما قال لعلي وفاطمة رضي الله عنهما وقد طرقهما ليلًا: «**ألا تصلون**»، فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله تعالىٰ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ. فسمعته وهو يضرب فخذه يقول: «﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾» [الكهف: ٥٤]، وقد رواه بإسناده.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]: ٱستدل بقوله ﷺ للمغيرة بن شعبة عندما سأله أهل نجران مستشكلين كونها أخت هارون لتباعد السنين بينهما، فقال له النبي ﷺ: «**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين من قبلهم**». أورده بلا إسناد.

وهٰذا الصنيع من الثعلبي إما لأنه لم يتسنَّ له رواية هٰذِه الأحاديث بإسنادها، وإما لأنه أراد الآختصار، لا سيما أن بعضها يذكره في معرض الآستشهاد أحيانًا علىٰ بعض ألفاظ الآية.

٥- قد يورد أحاديث بلا إسناد، ويسنده في مواضع أخرىٰ من كتابه:

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

- عند قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] أورد قوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما ٱستكرهوا عليه». ثم أورد الحديث نفسه مسندًا عند قوله تعالىٰ: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١] أورد حديث أبي موسى الأشعري قال: غضب رسول الله ﷺ على الأشعريين، فأتيته، فقلت: يا رسول الله، غضبت على الأشعريين؟! قال: «يقول أحدهم: قد طلقتك، قد راجعتك ..» وقد رواه مسندًا في تفسير سورة الطلاق.

- عند قوله تعالىٰ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦] أورد حديثا عن الرسول ﷺ أنه قال: «لا تطلقوا نساءكم إلا عن ريبة؛ فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات». وروىٰ هٰذا الحديث مسندًا في تفسير سورة الطلاق.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]: ٱستدل بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿بماءٍ كالمهل﴾، قال: «كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه»، وقد أورده بإسناده.

٦- يكرِّر أحيانًا بعض الأحاديث في عدة مواضع بحسب المناسبة من عدة طرق:

فيذكره في موضع من طريق، ويذكره في موضع آخر من طريق آخر،

وهكذا. وقد يترتب علىٰ هٰذا ٱختلاف في بعض ألفاظ الحديث من طريق إلىٰ آخر.

مثال ذلك: حديث عبادة بن الصامت في قراءة الفاتحة خلف الإمام في الصلاة. حيث روى الثعلبي هٰذا الحديث من ثلاث طرق، ذكرها في ثلاثة مواضع متفرقة.

الأول: من طريق عبد الرحمن بن بشر، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت مرفوعًا: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن».

والثاني: من طريق الشافعي، عن سفيان، به.

والثالث: من طريق محمد بن إسحاق، عن مكحول، عن محمود ابن الربيع عن عبادة بن الصامت قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فثقلت عليه القراءة، فلما ٱنصرف رسول الله ﷺ من صلاته أقبل علينا بوجهه فقال: «إني لأراكم تقرأون خلفي». قلنا: أجل يا رسول الله هٰذا. قال: «فلا تفعلوا إلا بأم القرآن، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها».

٧- يذكر أحيانًا بعض الأحاديث معلَّقة[١]، فيحذف أول السند، ثم يذكر بقيته:

مثال ذلك: قوله: وقد روىٰ يحيىٰ بن سعيد، عن محمد بن

---

(١) الحديث المعلَّق هو: ما حذف من أول إسناده واحد فأكثر، وكأنه مأخوذ من تعليق الجدار لقطع الأتصال فيهما. «تدريب الراوي» للسيوطي ١/ ٢١٩.

إبراهيم، عن أبي حازم، عن البياضي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلي ...» الحديث. بينما الحديث موصول في «موطأ مالك» عن مالك، عن يحيىٰ بن سعيد.

٨- قد يذكر متن الحديث أولاً، ثم يعقبه بالسند خلافًا للأصل في ذلك، وهٰذا قليلٌ جدًا[١].

٩- نقده وتوجيهه لبعض الأحاديث :

الغالب في صنيع الثعلبي هو روايته للأحاديث بسنده، دون بيان صحتها أو ضعفها. كما هو صنيع العلماء المتقدمين، ومنهم المفسرون كابن جرير وابن أبي حاتم، بناء على القاعدة (من أسندك فقد أحالك)[٢].

إلا أننا نرى الثعلبي أحيانًا ينقُد بعض الأحاديث، ويوجهها.

وخير مثال علىٰ ذلك: ما فعله في مسألة: (قراءة الفاتحة في الصلاة بالنسبة للمأموم) حيث ٱنتصر للقول بوجوب قراءتها على المأموم في الصلاة، وذكر الأدلة علىٰ ذلك، ثم ذكر قول المخالفين القائلين بأنه ليس على المأموم قراءة الفاتحة، سواء كانت الصلاة سريةً، أم جهريَّة. فذكر أدلتهم دليلًا، دليلًا، ونقد بعضها، وأجاب ووجَّه البعض الآخر.

---

(١) ٱنظر الحديث (٣٠١).

(٢) ستأتي مناقشة هٰذِه المسألة في المبحث الرابع عند الكلام عن المآخذ التي أخذت علىٰ هٰذا التفسير.

حيث ذكر من أدلتهم حديث عبد الله بن شداد، عن جابر مرفوعًا: «من صلىٰ خلف إمام كانت قراءة الإمام له قراءة».

وأعل الثعلبي هٰذا الحديث بعلتين:

الأولى: الإرسال. **والثانية**: ضعف إسناده، لأنَّ فيه راويين لا يُدرىٰ مَن هما.

ثم ذكر -من أدلتهم- حديث جابر الجعفي عن أبي الزبير عن جابر ابن عبد الله ﵄ مرفوعًا: «من كان له إمام فقراءته له قراءة».

وأعلَّه بأمرين:

الأول: بجابر الجعفي. حيث ذكر أقوال العلماء في تضعيفه، ثم قال: ولا خلاف بين أهل النقل في سقوط الاْحتجاج بحديثه.

الثاني: أنَّه قد رُوي عن جابر ما يخالف هٰذِه الأخبار، ثم روىٰ ذلك، قال: ومحالٌ أن يروي جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أن قراءة الإمام قراءة للمأموم ثم يقرأ خلف الإمام ويأمر به مخالفةً للنبي ﷺ.

ثم ذكر بقية أدلتهم واحدًا تلو الآخر، ناقدًا وموجهًا.

ومن الأمثلة الأخرىٰ علىٰ تعليله لكثير من الأحاديث التي ذكرها: .

- عند قوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧] أورد قول ابن مسعود في فضل النفقة: أن تؤتيه وأنت ..، ثم قال: ورفعه بعضهم.

- عند قوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] أسند عن ابن عباس أثرًا في معنى الآية. ثم قال: ورفعه بعضهم،

وساق الحديث المرفوع بسنده أيضًا.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] أورد حديثًا مسندًا من طريق هُشيم بن بشير عن ابن شبرمة. ثم نقل عن النسائي أنه قال: هٰذا حديث مشهور إلا أن هشيم بن بشير كان يدلس، وليس في حديثه ذكر السماع عن ابن شبرمة.

- أورد حديثًا مرفوعًا من رواية أبي الأحوص سلام بن سليم عن سماك بن حرب. ثم نقل عن أبي عبد الرحمن النسائي أنه قال: هٰذا حديث منكر؛ غلط فيه أبو الأحوص؛ لا يعلم أن أحدًا تابعه عليه من أصحاب سماك. ونقل عن الإمام أحمد -وهو تتمة كلام النسائي- أنه قال: كان أبو الأحوص يخطئ في هٰذا الحديث؛ خالفه شريك في إسناده ولفظه.

وقد أبان لنا هٰذا النقد وذلك التوجيه عن حقيقتين في الإمام الثعلبي:

الأول: فقه الإمام الثعلبي.

الثانية: ملكته في نقد الأحاديث.

١٠- تعديل وتجريح الرواة:

وقد نقل عن الإمام النسائي أحكامًا في الرواة، ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

- قال: وسماك -ابن حرب- ليس بقوي، وكان يقبل التلقين.

- قال: عبد الملك بن نافع ليس بالمشهور، ولا يحتج بحديثه.

- قال: ويحيىٰ بن يمان لا يحتج بحديثه؛ لكثرة خطئه، وسوء حفظه.

وهٰذا الجانب يدل علىٰ فهم من الثعلبي لعلوم الحديث ومصطلحه، ودراية بأحوال الرجال، وإلمام بطبقات الرواة وتواريخهم.

وقد كانت «سنن النسائي» من مصادره التي اعتمد عليها، وهو كتاب حافل، يحوي أقوالًا كثيرة في أحوال الرجال، وفي بيان بعض العلل الخفية في الإسناد والمتن.

١١- عدم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة، بل قد أكثر من ذكر الأحاديث الواردة في الترغيب والترهيب:

فالثعلبي كان يروي بإسناده الحديث الصحيح والحسن والضعيف والواهي والموضوع. شأنه في ذلك شأن معظم المفسِّرين، إلا أنَّه يتميَّز عن أكثرهم بأنه يروي بالسند، ومن أسندك فقد أحالك، وهٰذا الأمر يخفِّف عنه التَّبِعة في روايته للأحاديث الموضوعة، إلا أنه مع ذلك لا يسلم من اللوم علىٰ صنيعه هٰذا.

ومثال ماروَاه في ذلك: عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] أورد قصة الحبشي بطولها مع ضعف إسنادها.

١٢- الاستدلال بالحديث على المعنى اللغوي:

مثال ذلك:

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥] قال في بيان معنى الصبر: وأصل الصبر هو الحبس، ومنه الحديث عن النبي ﷺ في

رجل أمسك رجلًا وقتله آخر، فقال: «**اقتلوا القاتل واحبسوا الصابر**».

- عند قوله تعالىٰ ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال: وأصل العفو في اللغة: الزيادة، والكثرة ...، وقال النبي ﷺ: «**أعفوا اللحىٰ**».

- عند قوله تعالىٰ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، قال: وإنما قال (بين أحد)، ولم يقل بين آحاد، لأن الأحد يكون للواحد، والجميع ...، وقال النبي ﷺ: «**ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤوس غيركم**».

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ [آل عمران: ٢٢]: قال: أي: ذهبت وبطلت، وأصله من الحبط، وهو أن ترعى الماشية نبتا رديئا فينتفخ لذلك بطونها، وربما ماتت منه، ثم جعل كل شيء يهلك حبطا، ومنه قول النبي ﷺ: «**وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا، أو يُلمّ**».

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]: قال: والحواريّ في كلام العرب خاصة: الرجل الذي يستعين به فيما ينوبه يدل عليه، ثم ساق بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبيّ حواريّ، وحواريّ الزبير**».

١٣- الآستدلال بالحديث لبعض أقوال المفسرين:

مثال ذلك: عند قوله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢]. حيث ذكر قولًا في سبب تسمية يعقوب بهٰذا الآسم، ودلّل علىٰ هٰذا القول بحديث رواه بإسناده. فقال: وقيل: سمِّي يعقوب لكثرة

عقبه. ثم روىٰ بإسناده إلى النبي ﷺ أنَّه قال: «**بُعثت علىٰ إثر ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل**».

– عند قوله تعالىٰ ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قال: قال ابن عباس في رواية أبي رجاء: داعين في صلاتكم. دليله أن النبي ﷺ قنت علىٰ رعل وذكوان.

– عند قوله تعالىٰ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، قال: قال ابن مسعود ومجاهد: من حلالات، دليله ... وقال النبي ﷺ: «**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ...**».

– عند قوله تعالىٰ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣] قال: وقال الحسن: تنظر إلى الخالق، وحُق لها أن تَنْضُر، وهي تنظر إلى الخالق.

ثم ساق أحاديث منها حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتجلّىٰ لنا ربنا عز وجل حتىٰ ننظر إلىٰ وجهه، فيخرّون له سجدًا، فيقول: ارفعوا رؤوسكم فليس هٰذا بيوم عبادة**».

– عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨]: قال رحمه الله: قال أبو حمزة الثمالي: الأسير: المرأة، ودليل هٰذا التأويل قول النبي ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان**».

– عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]: قال: وقال قتادة، والسدي، والضحاك: هو القرآن،

يدل عليه.

ثم ساق بسنده عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنها ستكون فتنة**»، فقلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله: فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم ...**»، الحديث.

١٤- الاستدلال بالحديث لإثبات بعض القراءات وتقويتها:

- عند قوله تعالىٰ ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، قال: وقرأ أبو جعفر (فنِعْمَّا) بكسر النون، وجزم العين، ومثله في سورة النساء، واختاره أبو عبيد، وذكر أنها لغة النبي ﷺ حين قال لعمرو بن العاص: نعما بالمال الصالح للرجل الصالح.

- عند قوله تعالىٰ ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، قال: قرأ الحسن: و(يحسب)، وبابه بفتح السين. الباقون بالكسر. واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، قيل إنها لغة النبي ﷺ. ثم ساق بسنده حديثًا، وفيه قال النبي ﷺ: «**لا تَحْسِبَنَّ أنا إنما ذبحناها من أجلكم**». ولم يقل: لا تَحْسَبَنَّ.

وعلىٰ أي حال فاستدلال الثعلبي بالأحاديث واسع جدًا، فهو يستدل بالحديث أيضًا علىٰ فضائل السور، والعقائد، والأحكام، وفي الزهد والوعظ، وغير ذلك مما هو مثبوت في ثنايا كتابه، وقد مرَّ بعضه مفصَّلًا وسيأتي البعض الآخر.

فالأصل عند الثعلبي أن يستدل بالسنة كلما أمكنه ذلك ووجد إليه

سبيلًا. ولذا كثر ٱستدلاله بالحديث، وتعددت مجالاته وموضوعاته.

١٥- قد يورد الحديث أحيانًا؛ لمعرفة ٱسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيها:

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]: ساق بسنده عن عبد الله بن مسعود: من حلف يمينًا يستحق به مالًا وهو فيها فاجر لقي الله ﷻ وهو عليه غضبان، أنزل الله تعالىٰ تصديق ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]. فقال الأشعث بن قيس: فيّ نزلت، كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «**شاهداك أو يمينه** ...» الحديث.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٤]: قال: نزلت في ٱثني عشر رجلًا ٱرتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة ولحقوا بمكة كفارًا، منهم الحارث بن سويد الأنصاري أخو الجُلاس بن سويد فأنزل الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ثم قال عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ الله..﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [آل عمران: ٨٦ - ٨٩]: وذلك أن الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم وأرسل إلىٰ قومه أن سلوا رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ الآية، فحملها إليه رجل

من قومه، وقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله ﷻ لأصدق الثلاثة. فرجع الحارث إلى المدينة، فأسلم وحسن إسلامه.

١٦- يورد الحديث للتدليل علىٰ عرض الأحكام الفقهية المستنبطة عند تفسيره لآيات الأحكام ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]: قال: أعلم أن شروط وجوب الحج تسعة: البلوغ، والعقل، والإسلام، والحرية، لقوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتىٰ يبلغ، وعن المجنون حتىٰ يفيق، وعن النائم حتىٰ يتنبه»، ولقوله ﷺ: «أيما صبي حج ثم بلغ الحنث فعليه حجة أخرىٰ، وأيما عبد حج ثم أعتق فعليه حجة أخرىٰ، وأيما أعرابي حج ثم هاجر فعليه حجة أخرىٰ».

وقال في نفس الباب: وأما النفقة: فإن كان ذا أهل وعيال يجب عليه نفقتهم فلا يلزمه الحج، حتىٰ يكون واجدًا نفقتهم مدة غيبته لذهابه ورجوعه، لأن هٰذا الإنفاق فرض على الفور، والحج فرض على التراخي، فكان تقديم الإنفاق على العيال أولىٰ وأهم، وقد قال النبي ﷺ: «كفىٰ بالمرء إثمًا أن يضيّع من يقوت».

١٧ - يورد الحديث للتدليل علىٰ ما أداه إليه نظره فيما اتفق العلماء علىٰ جوازه، وهو: استنباط واستخراج الحكم والإشارات وما شاكل ذلك من كل ما لا يمتنع استنباطه من القرآن واستخراجه منه لمن كان أهلاً

لذلك:

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]: قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن محمد المخلديّ ..، ثم ساق بسنده عن أبي أمامة الحارثي: أن رسول الله ﷺ قال: «**من ٱقتطع حق ٱمرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة**» فقال رجل: وإن كان يسيرًا؟، قال: «**وإن كان قضيبًا من أراك**».

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]: قال: وفي الحديث: «ما من جرعة أحمد عاقبة من جرعة غيظ مكظوم»، وساق بسنده عن معاذ بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كظم غيظًا وهو يقدر علىٰ أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق حتىٰ يخيره من أي الحور شاء**».

جـ- تفسير القرآن بأقوال الصحابة

يعتبر تفسير الصحابة هو المصدر الثالث من مصادر تفسير القرآن، بعد القرآن والسنة، ذلك لأنَّ الصحابة رضوان الله عليهم شاهدوا التنزيل، وأخذوا القرآن غضًا طريًا من في رسول الله ﷺ، ولذلك كانوا هم أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ بألفاظ القرآن ومعانيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعت في ذلك إلىٰ أقوال الصحابة، فإنهم أدرىٰ بذلك لما

شاهدوه من القرائن والأحوال التي ٱختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح[1].

وتفسير «الكشف والبيان» يُعدُّ من أبرز التفاسير بالمأثور، قد حوىٰ عددًا وافرًا من مأثور أقوال الصحابة في تفسير القرآن الكريم، حتىٰ أصبح ذلك معلمًا واضحًا فيه، يدركه لأول وهلة كل من طالع هٰذا التفسير، ونظر فيه. ولم يقتصر ٱعتماد الثعلبي علىٰ أقوال الصحابة في جانب أو جانبين، بل كان ٱعتماده عليها في نواحٍ عديدة ومجالات شتىٰ. إذ كان يعتمد أقوال الصحابة في توضيح وتفسير معنى الآية، وفي القراءات، وفي الأحكام، وفي القصص، وغير ذلك، وفْق منهج سار عليه الثعلبي، وتحددت معالمه في الأمور الآتية:

١- يروي الثعلبي أحيانًا أقوال الصحابة بإسناده، وأحيانًا يذكر قول الصحابي بإسناد معلَّق، وأحيانًا يذكرها من دون إسناد.

٢- ذكر قراءات الصحابة:

ويروي الثعلبي هٰذِه القراءات أحيانًا بالإسناد، وأحيانًا يذكرها دون إسناد.

مثال ذلك:

- عند ذكر القراءات في قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] نسب قراءة (ملِك) من دون ألف إلىٰ خمسة من الصحابة.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾ [آل عمران: ٣٧]،

---

(١) «مقدمة في أصول التفسير» (ص٨٤).

ٱستشهد بقراءة أبيّ (وأكْفلها زكريا) بالألف لكونها تعين على التأويل، أي ضمّها الله زكريا، أي ضمّها إليه.

(زكريا) فيه لغتان: (زكريا) مقصور، وهي قراءة ابن مسعود.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿تَأْمَنْهُ﴾ [آل عمران: ٧٥]، وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: (مالك لا تيْمنا).

- عند قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ قال: وقرأ الحسن (ولا أدرأتكم به)، وهي لغة بني عقيل ...، إلىٰ أن قال: وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما (ولا أنذرتكم به) من الإنذار، وهو دليل قراءة الحسن.

- وقال في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ هكذا قراءة العامة، وتصديقها قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما (وتزينت).

- ومثله قوله عند قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ قال: قراءة العامة (السحرُ) على الخبر بغير مدّ ...، ودليل قراءة العامة قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما (ما جئتم به سحر).

٣- الٱستدلال بأقوال الصحابة في تفسير الآية وبيان معناها:

ومن الأمثلة عليه:

- روى الثعلبي بسنده عن ابن عباس: في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾. قال: فاتحة الكتاب.

- ويروي بسنده عن ابن مسعود: في قوله تعالىٰ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾. قال: يحلُّون حلاله، ويحرِّمون حرامه، ويقرؤونه كما أنزل، ولا يحرِّفونه عن مواضعه.

عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ [آل عمران: ٤٩]؛ ذكر الاختلاف في معنىٰ (الأكمه) إلىٰ أن قال: وقال ابن عباس: هو الذي ولد أعمىٰ ولم يبصر ضوءًا قط، وقول ابن عباس هو الراجح.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩]: ذكر الاختلاف في معنىٰ (ربانيين) إلىٰ أن قال: فقال عليّ وابن عبّاس: كونوا فقهاء علماء. وقد جمع عليّ رضي الله عنه هٰذِه الأقاويل فقال: هو الذي يرب علمه بعمله.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٨١]؛ ذكر الاختلاف في المعنىٰ بهٰذِه الآية إلىٰ أن قال: وقال بعضهم: إنما أخذ الميثاق على النبيّين وأممهم، فاكتفىٰ بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم، لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة علىٰ أخذه على الأتباع، وهٰذا معنىٰ قول ابن عباس رضي الله عنه، وهو أولىٰ بالصواب.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]: ذكر أوجه التأويل في المعنىٰ بهٰذِه الآية، فقال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: تمسكوا بدين الله وساق بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: الجماعة.

وذكر عن ابن مسعود أنه قال: أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الطاعة والجماعة خير مما تحبّون في الفرقة. وساق بسنده عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا أنه: كتب الله. وروىٰ بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه

مرفوعًا: أن هٰذا القرآن هو حبل الله. وساق بسنده عن زيد ابن أرقم رضي الله عنه مرفوعًا أنه كتاب الله هو حبل الله من ٱتبعه كان على الهدىٰ، ومن تركه كان على الضلالة.

وعند تفسيره لقوله الله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٣]: ذكر العلَّة الجالبة لهٰذِه المغفرة فقال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: سارعوا إلى الإسلام. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلىٰ أداء الفرائض. وقال عثمان بن عفّان رضي الله عنه: الإخلاص. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: التكبيرة الأولىٰ.

٤- نقل بعض القصص المتعلقة بتفسير الآية عن الصحابة:

مثال ذلك:

ذكره لقصة إبراهيم وابنه إسماعيل وأمه هاجر، وبناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ [آل عمران: ٩٣]: روىٰ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: أقبل يعقوب عليه السلام من حرّان، فذكر معالجة يعقوب والملك وما أصاب يعقوب عليه السلام من بلاء وشدة فحلف يعقوب عليه السلام لئن شفاه الله عز وجل لا يأكل عِرْقًا ولا طعامًا فيه عِرْق، فحرمّها علىٰ نفسه. وذكر تمام القصة.

ورَوىٰ عن ابن عباس أن الأطباء وصفوا ليعقوب عليه السلام أن يجتنب لحوم الإبل.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]: روىٰ عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما كان يوم أحد شج رسول الله ﷺ في قرن حاجبه، وذكر قول النبي ﷺ: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم بالدم وهو يدعوهم إلىٰ ربهم».

٥- نقل أسباب النزول عن الصحابة[١]:

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ الآية [البقرة: ١١٥]: ذكر عددًا من الروايات عن الصحابة في سبب نزول الآية. حيث ذكر سببًا عن ابن عباس. ثم ذكر نحوه عن عامر بن ربيعة، ثم ذكر سببًا آخر عن عبد الله ابن عمر ﷺ.

عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران: ١٢]: ذكر عن محمد بن إسحاق أنها نزلت في اليهود، وقال: وهٰذِه رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]: ذكر عن ابن عباس ﷺ: أن نفرًا من اليهود بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فحذّرهم رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير عن ذلك فأبوا إلاّ مباطنتهم، فأنزل الله ﷻ فيهم هٰذِه الآية.

---

(١) وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام عن منهج المؤلف في ذكر أسباب النزول.

٦- الاستدلال بأقوال الصحابة في الأحكام الفقهية:

ففي مسألة الجهر بالبسملة في الصلاة: يستدل الثعلبي علىٰ مشروعية الجهر بأدلة، منها بعض الأدلة عن الصحابة أنهم كانوا يجهرون بها. حيث يروي بسنده: عن ابن عمر وابن عباس أنهما كانا يجهران بـ(بسم الله الرحمن الرحيم).

ويروي بسنده أيضًا عن علي بن زيد بن جدعان: أنَّ العبادلة كانوا يستفتحون القراءة بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) يجهرون بها: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن صفوان.

وعند مسألة قراءة الفاتحة في الصلاة، يرجِّح الثعلبي وجوب قراءتها على المأموم كوجوبها على الإمام. ويدلِّل علىٰ ذلك بعدَّة أحاديث، ثم ينسب هٰذا القول إلىٰ سبعة عشر صحابيًا يذكر أسماءهم.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]: ذكر شروط وجوب الحج، ومنها الزاد والراحلة قال: وهو قول عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وعبد الله ابن عباس ﷺ، وروىٰ عن عليّ بن أبي طالب أنه قال لشيخ كبير لم يحج: جهّز رجلًا يحجّ عنك.

وذكر في فصل في إيجاب الحج عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حجّوا هٰذا البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة إلّا نفقت. وروىٰ عن عمر رضي الله عنه قال: لقد هممت أن أبعث رجلًا إلى

الأمصار، فينظرون إلىٰ من كان له مال ولم يحج، فيضروا عليه الجزية.

٧- ويستدل الثعلبي كذلك بإجماع الصحابة في المسائل الفقهيَّة:

حيث ٱستدل بإجماعهم علىٰ كون البسملة الآية الأولىٰ من فاتحة الكتاب: بما رواه بسنده عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة؛ أنَّ معاوية بن أبي سفيان قدم المدينة فصلىٰ بالناس صلاة يجهر فيها، وأنه قرأ أم القرآن ولم يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما قضىٰ صلاته ناداه المهاجرون والأنصار من كل ناحية: أنسيتَ؟ أين (بسم الله الرحمن الرحيم) حين ٱستفتحت القرآن؟ فعادلهم معاوية، فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم).

٨- نقل بعض الإسرائيليات عن الصحابة:

مثال ذلك: الروايات الإسرائيلية التي نقلها المصنف في قصة هاروت وماروت. حيث ذكر قصصًا في ذلك: عن ابن عباس. وعلي ابن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عمر.

٩- تقديم أقوال الصحابة علىٰ غيرهم عند ذكر أقوال المفسِّرين:

مثال ذلك: عند قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]: ذكر أقوال العلماء في معنى التقوىٰ وحقيقة المتقي، فذكر أولًا قول ابن عباس، ثم قول ابن عمر، ثم ذكر بقية الأقوال.

وهٰذا ليس مطردًا، فقد يخالفه أحيانًا إذا ٱقتضى الأمر ذلك، فعند قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] ذكر حديث

النبي ﷺ «الويل واد في جهنم ..» الحديث.

ثم ذكر الأقوال المماثلة لهٰذا الحديث، وهي قول سعيد بن المسيب: واد في جهنم، وقول ابن بريدة: جبل من قيح ودم. ثم ذكر قولًا مغايرًا لابن عباس وهو قوله بأن الويل: شدة العذاب.

وتأخيره لقول ابن عباس لعل سببه أن الأقوال التي ذكرها قبله هي الأولىٰ، لدلالة الحديث عليها فلمثل هٰذا الٱعتبار ونحوه يؤخِّر أحيانًا أقوال الصحابة.

١٠- مراعاة الترتيب في ذكر الصحابة:

مثال ذلك: عند قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١]، ذكر ضمن الأقوال في الحروف المقطعة قولين لأبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب. فقدَّم قول أبي بكر، ثم ذكر قول علي.

وكذلك عند قوله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قولين، قول لعثمان بن عفان رضي الله عنه وذكره أولًا، ثم ذكر قولًا لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

د- تفاسير التابعين

كما نقل الثعلبي تفسير الصحابة، وذكر أقوالهم في مواضع كثيرة من تفسيره، فإنه ٱعتمد أيضًا أقوال تلاميذ هٰؤلاء الصحابة من التابعين رحمهم الله الذين أخذوا تفسير كتاب الله غضًّا طريًّا من أولئك الصحابة رضوان الله عليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في

السنة، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلىٰ أقوال التابعين[1].

والثعلبي رحمه الله قد ٱعتنىٰ بتفاسير هٰؤلاء الأئمة من التابعين عناية بالغةً في تفسيره، حيث إنَّ الناظر في مصادره التي ذكرها في مقدمة كتابه يجد أنَّ من أبرز هٰذِه المصادر تفاسير هٰؤلاء التابعين، أمثال: مجاهد، وقتادة، والضحاك، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية، وغيرهم.

وقد روى الثعلبي كل تفسير من تفاسيرهم بإسناده إلى التابعين، وبعض التفاسير رواها من عدة طرق كما سبق عند ذكر مصادره.

حتىٰ إن من يطالع «الكشف والبيان» ولو قليلًا، ويرىٰ تلك الأقوال الكثيرة المتناثرة لأولئك التابعين في كل موضع من هٰذا التفسير يدرك يقينًا أن هٰذا الكتاب مصدر مهم لأقوال التابعين وتفاسيرهم.

وقد ٱنتهج الثعلبي في نقل أقوال التابعين منهجًا يشبه منهجه في ذكر أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، ويمكن تحديد معالم هٰذا المنهج في الأمور التالية:

١- رواية أقوال التابعين بالإسناد:

ذكر الثعلبي في مقدمة تفسيره أسانيده إلىٰ هٰؤلاء التابعين؛ لئلا يحتاج إلىٰ تكرار هٰذِه الأسانيد كلما ذكر أقوالهم.

---

(١) «مقدمة في أصول التفسير» (ص٩٠).

ولكنَّنا نجد الثعلبي يروي بعض أقوال التابعين بالإسناد لأنها جاءت من طرق أخرىٰ عن التابعي غير التي ذكرها في مقدمته.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك: أنه روىٰ قولًا عن عطاء بن أبي رباح من غير الطريق الذي روىٰ عنه تفسيره في المقدمة، فقد روىٰ تفسير عطاء عنه في مقدمة التفسير من طريق ابن جريج عنه. وأما الأثر الذي رواه عنه في تفسيره فقد رواه من طريق عثمان بن الأسود، عن عطاء.

٢- بيان أقوالهم في تفسير كثير من المفردات أو المعاني:

وهٰذا لا حصر له، وفيما يأتي أمثلة لبعضها:

عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾ [آل عمران: ٧]: ذكر ٱختلاف العلماء في المحكم والمتشابه ما هما، ومما ذكره: قال قتادة، والربيع، والضحاك، والسديّ: المحكم: الناسخ الذي يعمل به، والمتشابه: المنسوخ الذي يؤمن به، ولا يعمل به.

وقال مجاهد، وعكرمة: المحكم: ما فيه الحلال والحرام، وما سوىٰ ذلك متشابه يصدق بعضه بعضا. وروىٰ محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: المحكم: ما لا يحتمل من التأويل غير وجه واضح، والمتشابه: ما ٱحتمل أوجهًا.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]: ذكر كمًا كثيرا من أقوال أهل العلم في السيد والحصور، ومنهم الضحاك، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيّب، وقتادة، وعكرمة، ومجاهد، وابن زيد، وأبو الشعثاء، والسديّ، والحسن وغيرهم

الكثير.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]: قال: قال مجاهد والضحاك: الوصيد: فناء الكهف، وهي رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال سعيد بن جبير: الوصيد: الصعيد وهو التراب، وهٰذه رواية عطية: عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال السدي: الوصيد: الباب، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال عطاء: الوصيد: عتبة الباب. وقال القتيبي: الوصيد: البناء.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩]: قال: قال ابن عباس، وسعيد بن جبير: أحل ذبيحة. وقال الضحاك: أطيب. وقال مقاتل بن حيان: أجود. وقال يمان بن رئاب: أرخص. وقال قتادة: خير. وقال عكرمة: أكثر.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ [مريم: ٥]: قال عند تفسير معنى الموالي: قال مجاهد: العصبة. وقال أبو صالح: الكلالة. وقال الكلبي: الورثة.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]: قال: عند تفسر النسي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: شيئًا متروكًا. وقال قتادة: شيئًا لا يعرف ولا يذكر. وقال عكرمة، والضحاك، ومجاهد: حيضة ملقاة. وقال الربيع: هو السقط. وقال مقاتل: يعني كالشيء الهالك. وقال عطاء بن أبي مسلم: يعني لم أخلق. وقال الفراء: وهو ما تلقيه

المرأة من خرق ٱعتلالها. وقال أبو عبيدة: هو ما نسي أو أغفل من شيء حقير.

٣- نقل أقوال التابعين في سبب نزول الآية:

مثال ذلك:

عند قوله ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]؛ قال: قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، والسدي: نزلت هٰذِه الآية في المنافقين. ثم قال: وقال سعيد بن جبير، ومحمد بن كعب، وعطاء، ويمان بن رئاب: نزلت في اليهود.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [آل عمران: ٩٠]: قال: قال الحسن، وقتادة، وعطاء الخرسانيّ: نزلت هٰذِه الآية في اليهود كفروا بعيسىٰ ﷺ والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم، ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن. وقال أبو العالية: نزلت في اليهود والنصارىٰ كفروا بمحمد ﷺ. وقال مجاهد: نزلت في الكفّار كلهم.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٩٣]: قال: قال أبو ورق: كان هٰذا حين قال النبي ﷺ: أنا علىٰ ملّة إبراهيم ...، فذكر الحديث إلىٰ أن قال: فأنزل الله ﷻ تكذيبًا لهم: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾.

٤- ذكر قراءات التابعين:

مثال ذلك: عند قوله تعالىٰ ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]

قال: وقرأ الحسن ومجاهد وطلحة: (وُقُودها) بضم الواو، وقرأ عبيد ابن عمير: (وقيدها الناس والحجارة).

وعند قراءة ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] نسب هٰذِه القراءة إلىٰ واحد وثلاثين من التابعين وأتباعهم.

وعند قراءة (ملِك يوم الدين) نسبها إلىٰ عشرين من التابعين، وأتباعهم.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]: قال: قرأ أبو حيوة: بكسر الزاي مخففًا، يعني: منزلين النصر، وقرأ الحسن، ومجاهد، وطلحة بن مصرّف، وعمرو بن ميمون، وابن عامر: مشددة مفتوحة الزاي على التكثير.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]: قال: قرأ الحسن، ومجاهد، وحميد، وابن كثير، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع، وعاصم برواية أبي بكر، وحفص، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وأيوب: مخففة الفاء، واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، وحينئذ يكون زكريا في محل الرفع أي: ضمّها إلىٰ نفسه، وقام بأمرها.

٥- نقل الإسرائيليات عن بعض التابعين:

مثل القصص التي ذكرها عن عكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والسدي، وابن سيرين، وغيرهم في شأن بقرة بني إسرائيل التي أُمروا بذبحها.

٦- ذكر أقوال التابعين في المسائل الفقهية والأحكام الشرعيَّة:

عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]: عقد مسألةً فقهيَّةً في حكم السعي بين الصفا والمروة، وذكر عدة أقوال في ذلك نسب كثيرًا منها إلىٰ عدد من التابعين، مثل: مجاهد، وعطاء، وابن سيرين، والحسن، وغيرهم.

٧- الاستدلال بالحديث علىٰ أقوال التابعين:

مثاله: عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [البسملة: الفاتحة]. ذكر عدة أقوال في تفسيرها، ومنها قول ابن المبارك: الرحمن الذي إذا سُئل أعطىٰ، والرحيم الذي إذا لم يُسأل غضب. واستدل علىٰ هٰذا القول بحديث النبي ﷺ الذي رواه بإسناده: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**».

٨- كثرة النقول عن التابعين:

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

١- أقوال المفسرين في قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١].

٢- أقوالهم في معنى التقوىٰ وحقيقة المتقي [البقرة: ٢].

٣- أقوال المفسرين في المراد بالرعد [البقرة: ١٩].

٤- أقوال المفسرين في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١] وغيرها.

٩- يذكر بعض مراسيل التابعين:

مثال ذلك: قال: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قال: نا أبو أحمد عبد الملك بن محمد بن الفضل قال: نا أبو يحيىٰ

زكريا بن دلويه ابن شبيب قال: نا أحمد بن النعمان بن الوجيه قال: نا جعفر بن سليمان الضبعي قال: نا سيف بن ميمون عن الحسن أن رسول الله قال: قال موسىٰ عليه السلام يا رب كيف ٱستطاع آدم أن يؤدي شكر ما أجريتَ عليه من نعمك. الأثر.

هـ - تفاسير أتباع التابعين ومن بعدهم:

يعتبر تفسير «الكشف والبيان» للثعلبي موسوعة في أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن بعدهم من أئمة التفسير. وقد ٱعتمد عليه في هٰذا الباب كثير من المفسرين كما سيأتي عند الكلام عن أهمية الكتاب.

وقد ذكر الثعلبي في مقدمة «تفسيره» أسانيده إلىٰ تفاسير أتباع التابعين ومن بعدهم، أمثال: سفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، ووكيع بن الجراح، وهشيم بن بشير، وشبل بن عباد، وورقاء بن عمرو، وقبيصة بن عقبة، وأبي حذيفة النهدي، وسعيد بن منصور، وعبد الله بن وهب، وعبد بن حميد، ومحمد بن أيوب الرازي، وغيرهم.

ولم يقتصر في النقل عن هٰؤلاء الذين روىٰ تفاسيرهم بإسناده، بل نقل عن غيرهم أيضًا مثل: محمد بن جرير الطبري، وغيره.

وقد حشد الثعلبي في تفسيره أقوال هٰؤلاء الأئمة بما لا تجده عند غيره إلا نادرًا، حتىٰ أصبح هٰذا التفسير مصدرًا مهمًا لأقوال هٰؤلاء المفسرين، نظرًا لأن مصنفاتهم مفقودةٌ الآن، فالذين يريدون جمع

مرويات هٰؤلاء وأقوالهم يجعلون تفسير «الكشف والبيان» في مقدمة المصادر التي يستقون منها هٰذِه الأقوال.

ومن أمثلة ما رواه المصنف رحمه الله عنهم في «تفسيره»:

عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران: ١٢٣]: قال: وقال عمير بن إسحاق: لما كان يوم أحد ٱنجلى القوم عن رسول الله ﷺ وبقي سعد بن مالك يرمي ...، فذكر الآية.

وقال الشعبيّ: بلغ رسول الله ﷺ والمسلمين يوم بدر أن كرز بن كابر المحاربيّ يريد أن يمد المشركين ...، فذكر الرواية.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١]: قال: قال السديّ: لما ٱرتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة ...، فذكر قصة عزمهم على العودة إلا أن الله قذف في قلوبهم الرعب.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧]: قال: قال الربيع بن أنس: كان زكريا ﷺ إذا خرج أغلق عليها السبعة أبواب، فإذا دخل عليها غرفتها ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]. أي: فاكهة في غير حينها، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.

وروىٰ عن محمد بن إسحاق بن يسار قال: ثم أصابت بني إسرائيل أزمة ..، فذكرها إلىٰ أن قال: فيدخل عليها زكريا فيرىٰ عندها فضلًا من الرزق، وليس بقدر ما يأتيها به يوسف .. إلخ.

و- الإسرائيليات وموقف الثعلبي منها

معنى الإسرائيليات:

لفظ الإسرائيليات -كما هو ظاهر- جمع، مفرده إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تُرْوىٰ عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلىٰ إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاْثني عشر، وإليه ينسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل، وقد ورد ذكرهم في القرآن منسوبين إليه في مواضع كثيرة.

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يُرْوىٰ أصلًا عن مصادر يهودية، يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه علىٰ ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل علىٰ كل ما تطرَّق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلىٰ مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما[1].

أقسام الإسرائيليات:

تنقسم الإسرائيليات إلىٰ أقسام متعددة باعتبارات مختلفة، فتنقسم من ناحية السند والمتن إلىٰ:

١- صحيح من ناحية سنده ومتنه.

٢- ضعيف من ناحية سنده أو متنه أو بهما معًا.

وتنقسم باعتبار موضوعها إلىٰ:

---

(١) «الإسرائيليات في التفسير والحديث» للدكتور الذهبي (ص١٣).

١- ما يتعلق بالعقائد.

٢- ما يتعلق بالأحكام.

٣- ما يتعلق بالمواعظ والقصص مما ليس له صلة بالموضوعين السابقين.

كما تنقسم باعتبار موافقتها لشريعتنا أو مخالفتها إلىٰ:

١- أخبار موافقة لما في شريعتنا.

٢- أخبار مخالفة لما في شريعتنا.

٣- أخبار سُكت عنها في شريعتنا[1].

حكم رواية الإسرائيليات:

ورد في حكم رواية الإسرائيليات عدد من الأحاديث والآثار يفهم من بعضها الجواز ومن البعض الآخر المنع، وأعدل الآراء في هٰذا هو ما ذهب إليه جمهور العلماء وعلىٰ رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية في التوفيق بين أدلة الجواز وأدلة المنع، وذلك بحمل أدلة الجواز علىٰ ما وافق شرعنا وعلىٰ ما سكت عنه شرعنا فلم يصدقه ولم يكذبه، وحمل أدلة المنع علىٰ ما خالف شرعنا.

وفيما يأتي نص كلام ابن تيمية رحمه الله في «مقدمته في أصول التفسير» فبعد أن أشار رحمه الله إلىٰ أن الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، قال: فإنها علىٰ ثلاثة أقسام:

---

(١) «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» (ص٧٦).

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

الثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هٰذا القبيل ولا من هٰذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، ويجوز حكايته لما تقدم، أي في قوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»(١)، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلىٰ أمر ديني، ولهٰذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هٰذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هٰذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسىٰ من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسىٰ ..، إلىٰ غير ذلك مما أبهمه الله تعالىٰ في القرآن مما لا فائدة من تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولٰكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا

(١) أخرجه أحمد ٢/١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤، والبخاري ٦/٤٩٦ (٣٤٦١)، كتاب الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، والترمذي ٥/ ٤٠ (٢٦٦٩) كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، من حديث عبد الله بن عمرو أنَّ النبي ﷺ قال: «بلِّغوا عنِّي ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار».

يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾﴾، فقد اشتملت هٰذِه الآية الكريمة على الأدب في هٰذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هٰذا، فإنه تعالىٰ أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث فدل علىٰ صحته، إذ لو كان باطلًا لرده كما ردهما، ثم أرشد إلىٰ أن الاطلاع علىٰ عدتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هٰذا: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله تعالىٰ عليه، فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب.

تسرُّب الإسرائيليات إلىٰ كتب التفسير:

لقد تسربت الإسرائيليات إلىٰ معظم كتب التفسير إن لم يكن إلىٰ جميعها وسبب ذلك والله أعلم أن القرآن الكريم كان يقصد في إيراد القصص إلىٰ موضع العبرة والموعظة، ولم يكن غرضه الأصلي إيراد أو سرد الوقائع التاريخية لمجرد الإخبار كما هو الشأن في كتب التاريخ التي غالبًا ما تهتم بالجزئيات وتتوسَّع في التفصيلات.

ولما كانت النفس البشرية تتشوق دائمًا إلىٰ معرفة المجهول، فقد كان العرب في أول الإسلام -كما كانوا قبل الإسلام- يسألون أهل الكتاب، وخاصّة بعد أن أسلم طائفة منهم، كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه.

وقد كان عندهم شيء من العلم، لكنهم لطول العهد بينهم وبين أنبيائهم ولتحريف من حرّف من أحبارهم السابقين، فقد ٱختلط الحق الذي لديهم بالباطل، وأصبحوا يجيبون من يسألهم فيصيبون أحيانًا ويخطئون أحيانًا أخرىٰ حسب ٱجتهادهم وما توصلوا إليه، وكل ذلك مما لا يتعلق بالأمور الجوهرية في العقيدة، ولا يرجع إلى الأحكام وبيان الحلال والحرام. وتناقل الناس أقوالهم، وتساهل المفسرون فملؤوا كتبهم بتفسيرات أهل الكتاب بنسب متفاوتة، وأخذ القصص الصحيح منه، وغير الصحيح، يجد طريقه إلىٰ أمهات كتب التفسير، كتفسير الطبري والثعلبي والواحدي والبغوي والخازن. حتى المفسرين الذين تنبهوا إلىٰ ذلك وحاولوا التخلص من الإسرائيليات كابن عطية والقرطبي والرازي وابن كثير وأبي حيان ومن نحا نحوهم جميعًا لم يسلموا من هٰذِه الإسرائيليات[1].

موقف الثعلبي من الإسرائيليات:

لم تخلُ كتب التفسير عمومًا من ذكر الإسرائيليات والاستشهاد بها في التفسير كما سبق، وإن كان هٰؤلاء المفسرون منهم المقل في ذكر هٰذِه الإسرائيليات ومنهم المكثر في ذلك.

وقد كان الثعلبي من الذين أكثروا من هٰذِه الإسرائيليات وتوسعوا

---

(١) ٱنظر: «مقدمة ابن خلدون» (ص٤٣٩)، و«الإسرائيليات في التفسير والحديث» (ص١٥)، و«الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان» ٢/ ٤٦٧، و«ابن جُزَي ومنهجه في التفسير» ١/ ٤٦٧.

فيها ، حتىٰ كان توسُّعهُ هٰذا من أبرز الأشياء التي جلبت له اللوم، ولتفسيره الذم. وسيأتي تفصيل القول في ذلك عند الكلام على المآخذ علىٰ تفسير الكشف والبيان، وهناك سيظهر لنا الحق في هٰذِه المسألة.

أما هٰهنا فالذي يهمنا هو بيان منهج الثعلبي في ذكره لهٰذِه الإسرائيليات، والطريقة التي سار عليها في ذلك. ويمكن تحديدها فيما يأتي :

١- يذكر الثعلبي بعض الإسرائيليات دون إسناد، ولا ينسبها لأحد، ولا يبيِّن مصدره في ذلك:

ومن الأمثلة علىٰ ذلك[1] :

-قصة إبليس والحية. عند الآية (٣٦) من سورة البقرة.

-قصة إسراء موسىٰ ببني إسرائيل من مصر. الآية (٥٠) من سورة البقرة .

-قصة السبعين الذين ٱختارهم موسى. الآية (٥٥) من سورة البقرة .

-قصة أصحاب السبت. الآية (٦٥) من سورة البقرة.

- ما أورده في صفة التابوت.

- قصة حمل قيدار بن إسماعيل التابوت ونقله إلىٰ يعقوب.

- أن سبب سؤال إبراهيم إحياء الموتىٰ لينجو من القتل.

٢- ويورد الثعلبي بعض الإسرائيليات وينسبها إلىٰ راويها من

(١) نظرًا لطول القصص ٱكتفينا بذكر عنوان القصة.

الصحابة، أو التابعين، أو من بعدهم:

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

-قصة البقرة. عند تفسير الآية (٦٨) ذكر قصتها من قول ابن عباس وابن وهب، والسدي، وغيرهم.

-قصة سليمان والسحرة. الآية (١٠٢) من سورة البقرة، نسبها إلىٰ عكرمة، والسدي، والكلبي.

-قصة هاروت وماروت. الآية (١٠٢) من سورة البقرة، نقلها -مفرَّقةً- عن ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، والسدي، وقتادة، ومجاهد، وكعب الأحبار.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] قال: وقال عطاء: أسلمت مريم عيسىٰ إلىٰ أعمال شتىٰ، فكان آخر ما دفعته إلى الحواريين، وكانوا قصّارين وصبّاغين، فدفعته إلىٰ رئيسهم، ليتعلم منه ...، فيورد القصة بطولها إلىٰ أن قال: فآمن به هو وأصحابه فهم الحواريون.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤] قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن ملكًا من بني إسرائيل أراد قتل عيسىٰ وقصده أعوانه ...، فيورد قصة محاولة قتل عيسىٰ عليه السلام. وقال: وقال وهب: طرقوا عيسىٰ عليه السلام في بعض الليل فأمروه ونصبوا خشبة ليصلبوه ...، فيورد قصة قتل عيسىٰ عليه السلام إلا أن الله تعالىٰ رفعه إليه، وشبه الذي دلّ عليه لهم فصلبوه مكانه.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [آل عمران: ٩٦] قال: قال وهب بن منبه: مكتوب في التوراة: إن الله يبعث يوم القيامة سبع مئة ألف ملك من الملائكة المقربين، بيد كل واحد منهم سلسلة من ذهب إلى البيت الحرام ....، فيورد قصة زمّهم الكعبة بالسلاسل الذهبية ....، إلىٰ أن قال فتقول الكعبة: لبيك لبيك، والخير في يديك، ثم يمدونها إلى المحشر.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ﴾ [آل عمران: ٤٩] روىٰ عن السديّ قال: كان عيسىٰ عليه السلام إذا كان في الكتاب يحدّث الغلمان بما يصنع بهم آباؤهم ..، فذكر قصة همّ بني إسرائيل في الفتك بعيسىٰ، وهروب أمه به إلىٰ مصر علىٰ حُمَير لها.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ [الكهف: ٢٤] أورد بسنده عن وهب، قال: (مكتوب في الإنجيل: يا ابن آدم ٱذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظُلمت فلا تنتصر، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك).

- عند ذكر ذي القرنين في سورة الكهف [آية: ٨٣] وما بعدها أورد قصة طويلة عن وهب.

- عند ذكر رفع إدريس عليه السلام في سورة مريم في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧]؛ أورد قصة طويلة يتضح أنها من مرويات بني إسرائيل، ونسبها لابن عباس رضي الله عنهما، وكعب الأحبار رحمه الله.

وعدم ذكر الثعلبي إسناده إلىٰ هٰؤلاء راجع إلى ٱكتفائه بذكر أسانيده

إلىٰ معظمهم في مقدمة تفسيره.

وأما إذا روىٰ عن غيرهم فقد يذكر إسناده إليه، كما في الإسناد رقم (٢٩٧) إذ روىٰ بسنده عن أبي بكر القطان شيئًا من قصة بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة المشرَّفة.

- وعند قوله تعالىٰ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾ [الكهف: ٣٢] أورد بسنده عن عطاء الخرساني قصة أخوين من بني إسرائيل مؤمن وكافر .. إلخ.

٣- يجمع الثعلبي أحيانًا عددًا من المرويات الإسرائيلية بأسانيد متعددة ويسوقها في سياق واحد:

كما فعل في قصة بناء الكعبة عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، إذ قال: روت الرواة بأسانيد مختلفة في بناء الكعبة، جمعت حديثهم ونسَّقته ليكون أحسن في النظم، وأقرب إلى الفهم. قالوا.. فساق القصة.

- وعند قوله ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١] قال: قال المفسرون بألفاظ مختلفة، ومعان متفقة: عبر النهر مع طالوت، وفيمن عبر إيشا أبو داود.

- وعند قوله ﷻ: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] قال: وقال الذين قالوا إن هٰذا المار كان عزيرًا: أن بخت نصر لما أخرب بيت المقدس، وأقدم سبي بني إسرائيل، وكان فيهم عزيرًا.

٤- يهتم الثعلبي باختلاف المفسرين في القصص الإسرائيلية.

من الأمثلة:

- عند قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] ذكر الخلاف في سبب خروج هٰؤلاء القوم؛ فقال: قال أكثر المفسرين: كانت قرية يقال لها داوردان، وقع بها الطاعون، فخرجت طائفة هاربين من الطاعون ...، وقال الضحاك، ومقاتل، والكلبي: إنما فروا من الجهاد. ثم ذكر الثعلبي بعد ذلك تسعة أقوال مختلفة؛ عزاها إلىٰ أصحابها في مبلغ عدد الذين خرجوا من ديارهم.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ [البقرة: ٢٤٦] قال: ٱختلفوا في ذلك النبي من هو؟ فقال قتادة: يوشع بن نون، وقال السدي: شمعون، وقال سائر المفسرين: هو أشمويل.

٥- في بعض الإسرائيليات التي أوردها الثعلبي طعن وتنقص للأنبياء -عليهم السلام- والصالحين واتهامهم بما لا يليق. مثل:

- ما ورد في قصة طالوت مع داود بعد قتل جالوت: وأراد أن يغتال داود، فقال لها: أين بعلك؟ قالت: هو نائم على السرير، فضربه بالسيف، فسال الخمر، فلما وجد ريح الشراب قال: يرحم الله داود ما أكثر شربه للخمر. وطعن العلماء والعباد علىٰ طالوت في شأن داود، فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود إلا قتله، وأُغْري بقتل العلماء، فلم يكن يقدر علىٰ عالم في بني إسرائيل يطيق قتله إلا قتله.

- ما أورده في حق النبي أرميا عليه السلام من الجزع المذموم الذي ينافي كمال التوكل الذي كان عليه الأنبياء عليهم السلام، فعند قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] أورد ما يأتي: فلما سمع ذلك أرميا صاح، وبكىٰ، وشق ثيابه، ونبذ الرماد علىٰ رأسه.

٦- وفي بعضها معجزات وأمور خارقة للعادة لا تحدث إلا علىٰ يد الأنبياء بأمر من الله عز وجل.

- فعند قوله تعالىٰ: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١] أورد ما يأتي: فانطلق بها إلىٰ قبر أشمويل، فصلت، ودعت، ثم نادت صاحب القبر، فخرج إشمويل من القبر ينفض من رأسه التراب.

ز- التفسير الصوفي الإشاري وموقف الثعلبي منه:

تعريف التفسير الصوفي الإشاري:

عرَّف بعض العلماء هٰذا التفسير بأنَّه: تأويل آيات القرآن الكريم علىٰ خلاف ما يظهر منها بمقتضىٰ إشارات خفيَّة، تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة[1].

---

(١) أنظر: «روح المعاني» للألوسي ١/ ٧، «مناهل العرفان» للزرقاني ١/ ٥٤٦، «التفسير والمفسرون» للدكتور الذهبي ٢/ ٣٥٢.

هٰذا وقد قسم الذهبي التفسير الصوفي علىٰ قسمين:

أ- التفسير الصوفي الإشاري أو الفيضي، وهو بحثنا هٰهنا.

ب- التفسير الصوفي النظري، المبني علىٰ مباحث نظريَّة وتعاليم فلسفيَّة. وزعيمه محيي الدين بن عربي، وهو أقرب إلىٰ تفسير الملاحدة والباطنية.

موقف العلماء من التفسير الإشاري:

اختلف العلماء في هٰذا التفسير، فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه. وكل من الفريقين ٱستدل علىٰ قوله بأدلة لا يتسع المقام هنا لذكرها وذكر الردود عليها والأجوبة عنها[١].

ومن العلماء من توسّط فأجاز هٰذا التفسير بشروط، ومن هٰؤلاء الإمامان الشاطبي، وابن القيِّم.

وخلاصة هٰذِه الشروط تكمن في أمرين:

- أن يصحَّ هٰذا التفسير علىٰ مقتضى الظاهر المقرَّر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية.

- أن يكون له شاهد نصًا، أو ظاهرًا في محل آخر يشهد لصحته.

وهذان الشرطان نادرًا ما يتحققان في التفسير الإشاري الموجود في التفاسير الصوفية الموجودة اليوم[٢].

وتفسير «الكشف والبيان» خالٍ من هٰذا النوع ولله الحمد، ولذا فهو لا يهمنا في شيء. وقد بيَّن الدكتور الذهبي الفروق بين التفسيرين في كتابه الماتع «التفسير والمفسرون».

(١) ٱنظر: «الموافقات» للشاطبي ٣/ ٣٨٢، مقدمة في «أصول التفسير» لابن تيمية (ص٨١)، «الإتقان» للسيوطي ٤/ ٤٨٥، «التفسير والمفسِّرون» للذهبي ٢/ ٣٥٢، «الثعلبي ودراسة كتابه» ٢/ ٥٩٥.

(٢) ٱنظر: «الموافقات» للشاطبي ٣/ ٣٩٤، «التبيان في أقسام القرآن» لابن القيِّم (ص٥٠)، «مناهل العرفان» ٢/ ٨١ حيث ذكر الزرقاني خمسة شروط، والشرطان المذكوران يغنيان عنها، وهما خلاصتها.

وبعض العلماء الذين منعوا من التفسير الإشاري يرىٰ أنَّ هٰذا التفسير ليس تفسيرًا، بل هي معان ومواجيد لا يطلق عليها اسم التفسير، لكي لا يلتبس على البعض.

وقد نقل هٰذا القول الزركشي في «برهانه» إذ قال: فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن، فقيل: ليس تفسيرًا، وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة، كقول بعضهم في: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] إنّ المراد النفس، فأمرنا بقتال من يلينا، لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه[١].

علاقة الثعلبي بالصوفيَّة:

الثعلبي له علاقة بالتصوف والصوفيَّة، وأبرز أوجه هٰذِه العلاقة أن بعض شيوخه الذين أخذ عنهم كانوا من الصوفية. ومن أبرز هٰؤلاء شيخه أبو عبد الرحمن السُّلَمي شيخ الصوفية وكبيرهم في زمانه، وصاحب طبقاتهم.

والثعلبي رحمه الله كان ينقل في «تفسيره» عن علماء الصوفية الكبار، أمثال: الفضيل بن عياض، والحارث المحاسبي، والجنيد، والسَّريُّ السقطي، والشبلي، وأبي يزيد البسطامي، وأبي تراب النخشبي، وغيرهم.

---

(١) «البرهان» ٢/ ١٧٠. وانظر: «الثعلبي ودراسة كتابه» ٢/ ٦٠٢، ٦١٨.

إلا أنَّ ذلك لا يعني أن الثعلبي كان يعتقد عقيدة الصوفية، أو يوافقهم في معتقداتهم، فذلك لم يظهر من الثعلبي في تفسيره، وإنَّما الذي ظهر هو أنَّ الثعلبي كان يستأنس بأقوالهم في مواطن الوعظ والزهد. كما فعل عند قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢] ذكر أقوال العلماء في معنى التقوىٰ، وحقيقة المتَّقي، وذكر ضمن هٰذِه الأقوال أقوالًا لعلماء الصوفية الأوائل في ذلك.

موقف الثعلبي من التفسير الإشاري:

جعل الثعلبي رحمه الله التفسير الإشاري أساسًا من الأسس التي بنىٰ عليها تفسيره «الكشف والبيان» فقد ذكر في مقدمته أنَّه بنىٰ كتابه علىٰ أربعة عشر أساسًا، وعدَّ منها: الحِكم والإشارات.

وذكر الثعلبي ضمن مصادره في «تفسيره» تفسير شيخه أبي عبد الرحمن السلمي المسمَّىٰ «حقائق التفسير»، ويعد من أشهر التفاسير الإشاريَّة، وذكر الثعلبي أنَّه قرأ هٰذا التفسير علىٰ شيخه أبي عبد الرحمن السلمي، وأقرَّ له به[١].

ولم يقتصر الثعلبي علىٰ «حقائق التفسير» بل نقل عن تفاسير إشارية أخرىٰ، كـ «تفسير القرآن العظيم» لسهل التستري، وتفسير «لطائف الإشارات» للقشيري.

---

(١) سيأتي التعريف بهٰذا الكتاب وذكر أقوال العلماء فيه.

ومن أمثلة التفسير الإشاري في تفسير «الكشف والبيان» ما يأتي:

- عند قوله تعالىٰ: في أول سورة البقرة: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١] ذكر عددًا من الأقوال في معنى الآية فقال ضمن ذلك: وقال أهل الإشارة: ألف: أنا، لام: لي، ميم: منِّي. وقال بعضهم: ألف: أفرِد سرَّك لي ٱنفراد الألف عن سائر الحروف، واللام: ليِّن جوارحك لعبادتي، والميم: أقم معي بمحو رسومك وصفاتك أزيِّنك بصفات الأنس بي والقرب منِّي.

- وعند قوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]. قال: وقال أهل الإشارة: أوفوا بعهدي في دار محنتي علىٰ بساط خدمتي بحفظ حرمتي، أوف بعهدكم في دار نعمتي علىٰ بساط كرامتي بقُربي ورؤيتي.

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] قال: قال أهل الإشارة: رفع الواسطة إظهارًا للقدرة.

- عند قوله ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] قال: قال أهل الإشارة: ذكرهم الله تعالىٰ سفر الآخرة، وحثهم على التزود للدارين؛ فإن التقوىٰ زاد الآخرة.

- عند قوله ﷻ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال: وقال أهل الإشارة: أمر الله تعالىٰ بالصدقة علىٰ لفظ القرض إظهارًا لمحبته لعباده المؤمنين، وذلك أنه إنما يستقرض من الأحبة.

- عند قوله تعالىٰ ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

ينقل عن أبي الحسن الأقطع أنه قال: فظاهر الآية ما ذكره أهل التفسير، وباطنها أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح أربعة أشياء في نفسه بسكين الإياس، كما ذبح في الظاهر الأربعة الأطيار بسكين الحديد، فالنسر مثل لطول العمر والأمل، والطاوس: زينة الدنيا وبهجتها، والغراب: الحرص، والديك: الشهوة.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] يستطرد في ذكر الأقوال، إلىٰ أن قال: وقال أبو بكر محمد بن عمر الورّاق: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ يعني: ملك النفس حتىٰ تغلب هواه، وتنزع ملك النفس ممن تشاء حتىٰ يغلبه هواه فيتخذه إلها. يذكر ذلك متمما بأبيات شعرية فيها عبرة وذكرىٰ فيقول:

ملكت نفسي فذاك ملك
ما مثله في الأيام ملك
فصرت حرًا بملك نفسي
فما لخلق عليّ ملك

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [آل عمران: ٢٧] قال: وقال أهل الإشارة: يخرج الحكمة من قلب الفاجر حتىٰ لا تسكن فيه، والسقطة من لسان العارف.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] يستطرد في ذكر الأقوال في معنى التوكل وحقيقته، وينقل عن سهل بن عبد الله التستريّ الصوفيّ وعن ذي النون المصريّ الزاهد، وعن إبراهيم الخوّاص أحد شيوخ الصوفية، وعن ابن الفوجيّ،

وعن الروذباري، وعن الجنيد شيخ الصوفية، وعن بهلول المجنون، وعن أبي حاتم الأصمّ الزاهد، وعن الدبيلي، وعن أبي يزيد البسطامي معاني متعددة من كل ما يمكن ٱستنباطه من الوعظ والإرشاد.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] قال: قال أصحاب اللسان في هٰذِه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾ عند قيام النفير على ٱحتمال الكرب، ﴿وَصَابِرُواْ﴾ علىٰ مقاساة القنىٰ والتعب، ﴿وَرَابِطُواْ﴾ في دار أعدائي بلا هرب، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بهمومكم من الٱلتفات إلى السبب ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ غدًا بلقائي علىٰ بساط القرب. وقال السريّ: ٱصبروا على الدنيا رجاء السلامة ...، فذكر قوله.

- في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ [المدثر: ٤] قال رحمه الله: قال يحيىٰ بن معاذ رحمه الله: طهر قلبك من مرض الخطايا وأشغال الدنيا؛ تجد حلاوة العبادة، فإن من لم يصن الجسم لا يجد شهوة الطعام.

- وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [المدثر: ٣٩] نقل قول الحكيم الترمذي: هم الذين ٱختارهم الله تعالىٰ لخدمته، فلم يُدخلهم في الرهن؛ لأنهم خدام الله وصفوته، وكسبهم لم يضرهم.

- وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] نقل عدة نقول لأهل السلوك والإشارة، فراجعها إن شئت. وكذلك عند قوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

- عند قول الله تعالىٰ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] قال رحمه الله: قال أهل الإشارة: إنما قال (ربك الكريم) دون سائر أسمائه وصفاته؛ لأنه لقَّنه الإجابة حتىٰ يقول: غرّني كرم الكريم.

- وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفجر: ٣] نقل لأبي بكر الوراق من أقوال الصوفية.

ومما ينبغي أن يذكر في خاتمة الكلام عن التفسير الصوفي الإشاري وموقف الثعلبي منه: أنَّ الثعلبي رغم أنه نقل عن الصوفية، وبعض شيوخه منهم، ورغم أنه ضمَّن كتابه مجموعة من التفاسير الإشارية، إلا أنه رغم ذلك يبدو أنه رحمه الله كان متحرِّيًا في هٰذِه النقول، إذ خلا تفسيره من التفسير الصوفي النظري الباطني، كما أنَّه لم يتَّبع شيخه السلمي في ما أخطأ فيه وانتقده بسببه العلماء، كما أن الثعلبي صان تفسيره من التأويلات الرمزيَّة والإشارية التي تخالف مقاصد اللغة العربية، خاصةً إذا تجاوزنا ما ذُكر في أوائل السور من الأقوال التي قلَّ من لا يذكرها من المفسِّرين[1].

(١) أنظر: «الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان» ٢/ ٦١٦.

ثانيًا: علوم القرآن

يُعرَّف علوم القرآن باعتباره فنًّا مدوَّنًا بأنه: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءاته وتفسيره وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ومكيِّه ومدنيِّه ونحو ذلك[١].

وممَّا يجدُر ذكرُه أنَّ الثعلبي من أقدَم من ألَّف في علوم القرآن، وذلك في كتابه «الكامل في علوم القرآن» وهو كتاب مفقود ذكره الواحدي في مقدمة كتابه «البسيط» وذكر أنَّه قرأه علىٰ مؤلفه أبي إسحاق الثعلبي[٢].

وهٰذا يدل علىٰ أنَّ الثعلبي له يد طولىٰ، وقدم راسخة في هٰذِه العلوم، فلا غَرْوَ بعد ذلك أن يبسط هٰذِه العلوم في تفسيره.

وعلوم القرآن كثيرةٌ جدًّا أوصلها الزركشي في «البرهان» إلىٰ سبعةٍ وأربعين نوعًا، والسيوطي في «الإتقان» إلىٰ ثمانين نوعًا.

وقد ذكرنا منها طرفًا في طرق التفسير عند المصنف، ونتناول هنا إن شاء الله بقية المباحث.

أ- أسماء السور[٣]

يعتني الثعلبي ببيان أسماء السورة إن كان لها عدة أسماء. ويذكر

---

(١) «مناهل العرفان» للزرقاني ١/ ١٧، و«دراسات في علوم القرآن» للدكتور فهد الرومي (ص٣٠).

(٢) «البسيط» ١/ ٤٢٥.

(٣) أنظر: «الإتقان» ١/ ١٤١.

الدليل على الآسم وسبب التسمية، والتعليل لذلك.

فبعد أن فرغ من تفسير سورة الفاتحة عقد فصلًا في أسماء هٰذِه السورة، وهي عشرة: فاتحة الكتاب، وسورة الحمد، وأم الكتاب والقرآن، والسبع المثاني، والوافية، والكافية، والأساس، والشفاء، والصلاة، وسورة تعليم المسألة.

ويستدل علىٰ هٰذِه الأسماء من السنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم. ويذكر العلل لهٰذِه الأسماء ويستشهد في ثنايا ذلك بالشعر.

ب- عدد آيات السورة، وكلماتها وحروفها

اهتم العلماء بعدد آي القرآن، وألفوا في ذلك عدة مصنَّفات، منهم أبو عمرو الداني، وأبو عبد الله الموصلي، وعلي بن محمد الغالي.

وذكر العلماء لهٰذا العلم عدة فوائد، من أبرزها ترتُّب بعض الأحكام الفقهية علىٰ معرفته[1].

ويمتاز «الكشف والبيان» بذكر عدد آيات السورة، وكلماتها، وحروفها.

وعلماء البصريين، والكوفيين والشاميين وغيرهم تكلموا في هٰذا الموضوع قديمًا، ولكن الآعتناء بهٰذا النوع، وتقديمه بهٰذا الشكل

(١) أنظر: «الإتقان» ١/ ١٨٨، «مناهل العرفان» ١/ ٦٩، «دراسات في علوم القرآن» (ص١١٩).

الذي قدمه لنا الثعلبي لا يوجد قبله[١].

حتىٰ إنَّ الإمام أبا عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) الذي يعد من أقدم العلماء الذين كتبوا في عدد الآيات في كتابه «البيان في عد آي القرآن» كان متأخرًا عن الثعلبي مما يفيد أنَّ الإمام الثعلبي كان رائدًا في هٰذا الباب.

وقد اْهتمَّ الثعلبي في تفسيره بذلك، حيث نراه يصدِّر كلَّ سورة بذكر عدد حروفها، وكلماتها، وآياتها.

ففي أول تفسير سورة البقرة قال: سورة البقرة: مدنية، هي خمسة وعشرون ألفًا وخمس مئة حرف، وستة آلاف ومئة وإحدىٰ وعشرون كلمة، ومئتان وست وثمانون آية في العدد الكوفي، وفي عدد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

جـ - المكي والمدني

معرفة المكي والمدني من أهم العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وهي من الأمور التي لا يستغني عنها المفسِّر لكتاب الله العظيم، فبمعرفة هٰذا العلم يمكن التمييز بين الناسخ والمنسوخ، كما يستعان بهٰذا العلم في تفسير القرآن الكريم؛ إذ إنَّ معرفة مكان النزول يعين علىٰ فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها[٢]. لذلك جعل أبو القاسم

---

(١) «الثعلبي ودراسة كتابه» ٢/ ٦٤١.

(٢) «الإتقان» ١/ ٣٤، «دراسات في علوم القرآن» (ص١٢٢).

ابن حبيب -شيخ الثعلبي- هٰذا العلم من أشرف علوم القرآن[١].

وقد ٱعتنى العلماء بهٰذا العلم وأفرده جماعة بالتأليف، منهم مكي ابن أبي طالب، والعزُّ الدريني، ولا تكاد تجد مؤلَّفًا في علوم القرآن إلا ويتضمن المكي والمدني[٢].

وكذلك المفسِّرون لا تجد تفسيرًا إلا وفيه بيان المكي والمدني بين مقل ومكثر، متوسع ومقتضب.

وفي مقدمة هٰؤلاء المفسرين أبو إسحاق الثعلبي حيث ٱعتنىٰ في تفسيره «الكشف والبيان» بهٰذا النوع، وأولاه عناية كبيرة، ولذلك نراه قبل أن يفسِّر الآية يُبيِّن هل هي مكية، أم مدنية؟ وإذا كان في تعيين ذلك خلاف ساقه، وذكر الأقوال فيه.

ففي أول تفسير سورة الفاتحة: ذكر الخلاف فيها هل هي مكية، أم مدنية؟ وروى الآثار في ذلك بإسناده. حيث روىٰ بإسناده عن علي، وابن عباس أنها نزلت بمكة. وذكر أن هٰذا قول أكثر العلماء.

ودلَّل علىٰ هٰذا القول بحديث عمرو بن شرحبيل قال: إنَّ أول ما نزل من القرآن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ الحديث. ثم روىٰ بسنده عن مجاهد أنَّ الفاتحة نزلت في المدينة. وذكر ردَّ العلماء علىٰ مجاهد في قوله هٰذا[٣].

---

(١) نقله عنه الزركشي في «البرهان» ١/ ٢٤٨.

(٢) «الإتقان» ١/ ٣٤.

(٣) ٱنظر الأسانيد (١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١).

ثم حكىٰ قولًا ثالثًا ملفقًا بين القولين السابقين وهو أنَّها مكية مدنية، وعلَّل لهٰذا القول.

ويبيِّن الثعلبي غالبًا مكيَّة السورة أو مدنيتها باختصار وإيجاز، حيث يذكر أنها مدنية، أو مكية، ثم يمضي، كما فعل في أول سورة البقرة.

د- أسباب النزول

لمعرفة أسباب النزول أهمية كبيرة في فهم معاني آيات القرآن الكريم، بل قد يتوقف فهم معاني بعض الآيات علىٰ معرفة سبب النزول.

ولذا يقول الواحدي في مقدمة كتابه «أسباب النزول» عنها: هي أوفىٰ ما يجب الوقوف عليها، وأولىٰ ما تُصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف علىٰ قصتها وبيان نزولها[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ومعرفة سبب النزول يعين علىٰ فهم الآية، فإنَّ العلم بالسَّبب يورث العلم بالمسبَّب[٢].

(١) «أسباب النزول» (ص١٠).

(٢) «مقدمة في أصول التفسير» (ص٣٨).

عناية الثعلبي بأسباب النزول، واعتماد العلماء عليه في هٰذا الباب:

لقد اعتنى الثعلبي رحمه الله عناية كبيرة بأسباب النزول، فأودع تفسيره جملة كبيرة منها. حتىٰ أصبحت «أسباب النزول» من المعالم البارزة في تفسير «الكشف والبيان»، وأصبح هٰذا التفسير من المصادر الهامة للمؤلفات التي أُلِّفت بعده في هٰذا العلم.

فالكتب المطبوعة الآن في أسباب النزول، وهي: «أسباب النزول» للواحدي، و«لباب النقول» للسيوطي، «العُجاب في بيان الأسباب» لابن حجر، هٰذِه المصادر الثلاثة اعتمدت علىٰ تفسير «الكشف والبيان» للثعلبي اعتمادًا كبيرًا، وخاصة الواحدي وابن حجر ومن ينظر في هٰذِه الكتب يتبيَّن له اعتماد أصحاب هٰذِه المؤلفات علىٰ هٰذا التفسير في مؤلفاتهم. وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام عن أهمية الكتاب وذكر مزاياه.

ومن الأمثلة علىٰ ما ورد في أسباب النزول:

- عند تفسيره لصدر سورة آل عمران قال: أخبرنا عبد الله بن حامد وساق بسنده عن محمد بن جعفر بن الزبير، وعن الكلبي، وعن الربيع ابن أنس قالوا: نزلت هٰذِه الآيات في وفد نجران، وكانوا ستين راكبًا، قدموا علىٰ رسول الله ﷺ، وفيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم ....، فساق قصة وفادة أهل نجران إلىٰ رسول الله ﷺ، وما وقع منهم وإليهم من أحداث في حجاج تاريخيّ، وجدل منطقيّ ..، إلىٰ أن

قال: فسكتوا، فأنزل الله ﷻ فيهم: صدر سورة آل عمران إلىٰ بضع وثمانين آية منها.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦]: قال: قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك الروم وفارس في أمته، فأنزل الله هٰذِه الآية. وقال ابن عباس وأنس بن مالك ﵄: لمّا ٱفتتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم، وهم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمدًا مكة والمدينة حتىٰ طمّع نفسه في ملك فارس والروم؟! فأنزل الله تعالىٰ هٰذِه الآية ثم ساق بسنده عن عبد الرحمن بن عوف ﵁ قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب ...، فذكر خبرًا طويلًا قصّ فيه خبر الخندق وما عرض لهم فيه إلىٰ أن قال: فنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب: ١٢] الآية.

وأنزل الله تعالىٰ في هٰذِه القصة قوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]: قال: قال ابن عباس ﵄: كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم؛ فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد ابن خيثمة ﵃ لأولئك النفر ...، إلىٰ أن قال: فأنزل الله ﷻ فيهم

هٰذِه الآية. وقال مقاتل: نزلت هٰذِه الآية في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة فنهاهم الله تعالىٰ عن ذلك. وروى الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في المنافقين: عبد الله بن أبيّ وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ... الحديث. وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هٰذِه الآية في عبادة بن الصامت الأنصاريّ ...، إلىٰ أن قال: فأنزل الله تعالىٰ هٰذِه الآية.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]: قال: قال عكرمة: نزلت في أبي رافع وكنانة ابن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم من رؤساء اليهود ...، وقال الكلبيّ: إن ناسًا من علماء اليهود أولي فاقة..، فأتوا: كعب بن الأشرف ليستميروه .. ، فذكر الخبر إلىٰ أن قال: ففرح بذلك كعب - عليه لعنة الله إلىٰ يوم القيامة- ومارهم، فأنزل الله تعالىٰ هٰذِه الآية.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨]: قال: وروى ابن أبي مليكة عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أن مروان بن الحكم قال لمولاه: يا رافع، ٱذهب إلى ابن عباس وقل له: إن كان كل ٱمرئ منا يفرح بما أتىٰ، ويحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا، لنعذبن أجمعين. فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما لكم ولهذه الآية، إنما دعا رسول الله ﷺ اليهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره ..، إلىٰ أن قال: فنزلت فيهم هٰذِه الآية.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]: قال: وقال سعيد بن المسيّب، والضحاك: هو العنيّن الذي ما له ذكر قويّ، ودليل هٰذا التأويل: ما أخبرني ابن فنجويه ..، ثم ساق بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ابن آدم يلقىٰ الله بذنب قد أذنبه»..، إلىٰ أن قال: ثم أهوى النبي ﷺ بيده إلىٰ قذاه من الأرض فأخذها وقال: «كان ذكره مثل هٰذِه القذاة».

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]: قال: ﴿بنعمته﴾: بدينه الإسلام ﴿إخوانًا﴾: في الدين والولاية، نظيره قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ثم ساق بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، التقوىٰ هٰهنا»، وأشار بيده إلىٰ صدره، «حسب ٱمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». وروىٰ بسنده عن أبي موسىٰ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» وشبك بين أصابعه.

منهج الثعلبي في ذكر أسباب النزول:

١- يروي الثعلبي أسباب النزول أحيانا بإسناده الخاص إلىٰ منتهاه.

٢- وأحيانًا بإسناد معلّق:

مثال ذلك: عند قوله تعالىٰ ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [البقرة:

١٤]: قال: قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: كان عبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجي عظيم المنافقين.. إلخ. ثم قال: وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت هٰذِه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه.. إلخ.

٣- وأحيانًا يقتصر على الراوي الأعلىٰ من الإسناد وهو الصحابي أو التابعي:

مثال ذلك: عند قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧]. قال: قال ابن عباس: إنَّ حبرًا من أحبار اليهود من فدك .. إلخ. ثم قال: وقال مقاتل: نزلت في اليهود .. إلخ. ثم قال: وقال قتادة وعكرمة والسدي: كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة، وممرُّها علىٰ مدراس اليهود ..إلخ.

٤- وأحيانًا يذكر السبب بلا سند، ودون نسبته لأحد:

فعند قوله تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٣]: قال: وذلك أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: راعنا يا رسول الله، وأرعِنا سمعك. يعنون من المراعاة، وكانت هٰذِه اللفظة شيئًا قبيحًا باليهودية...، ثم ذكر حكاية سعد بن معاذ مع اليهود في ذلك.

- وعند قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]: قال: نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج حرَّموا علىٰ نفوسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة

والوصيلة والحام، فقال الله ﷻ: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٥- يذكر المصنف الأقوال والخلاف المروي في سبب نزول الآية، وربما يرجِّح ما يراه راجحًا مع التعليل وذكر الدليل:

فعند قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨]: ذكر في نزول الآية قولًا لابن عباس، ومجاهد: أنَّها نزلت في عبد الله بن أمية المخزومي ورهطٍ من قريش، ثم قال: والصحيح إن شاء الله أنها نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمد ٱئتنا بكتاب من السماء جملةً كما أتىٰ موسىٰ بالتوراة، لأنَّ هٰذِه السورة مدنية. وتصديق هٰذا القول: قوله ﷻ ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾.

- وعند قوله تعالىٰ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤] ساق المؤلف الخلاف في سبب نزول هٰذِه الآية، فذكر أولًا قول قتادة والسدي أنها نزلت في غزوة الخندق.. ثم قال: وقيل: نزلت في حرب أحد .. وقال عطاء: لما دخل رسول الله ﷺ المدينة وأصحابه ٱشتد الضر عليهم؛ لأنهم خرجوا بلا مال، فأنزل الله تطبيبًا لقلوبهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾.

- عند قوله ﷻ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢١٢] قال: قال بعضهم: نزلت هٰذِه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه .. وهٰذا معنىٰ رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، وقال عطاء:

نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم من بني قريظة والنضير.

٦- وقد يذكر الأقوال في سبب نزول الآية دون ترجيح:

كما فعل عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١١٥]، فقد ذكر في سبب نزولها خمسة أقوال، واكتفىٰ بعرضها دون ترجيح.

٧- وقد يستدل الثعلبي لبعض الأقوال في نزول الآية:

كما ٱستدل للقول بأن سورة الفاتحة نزلت بمكة بحديث عمرو بن شرحبيل قال: إنَّ أول ما نزل من القرآن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ أسرَّ إلىٰ خديجة وقال: لقد خشيت أن يكون خالطني شيء. فقالت: وما ذاك؟ قال: إني إذا خلوت، سمعت النداء فأفر، فانطلق به أبو بكر رضي الله عنه إلىٰ ورقة بن نوفل، فقال له ورقة: إذا أتاك فاثبت له. فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: قل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

٨- ويذكر الثعلبي سبب النزول مرفوعًا إلى النبي ﷺ ويذكره من قول الصحابة والتابعين[١].

٩- قد يطيل بعض الأحيان في ذكر سبب النزول:

ولعل أوضح صورة في هٰذا ما ذكره في سبب معركة أحد عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩] وما بعدها فتجده يذكر عدد الشهداء،

---

(١) ٱنظر «أسباب النزول» في الآيات (٩٧، ١١٥، ١٥٨) من سورة البقرة.

وانهزام أصحاب النبي ﷺ في الشعب، ثم يذكر أمر رسول الله ﷺ لأصحابه في طلب القوم..، ويستمر في ذلك لأكثر من سبع صفحات.

١٠- قد يجمع المصنف أحيانًا كلام المفسرين في سبب النزول ويورده في سياق واحد.

من الأمثلة علىٰ ذلك:

- عند قوله تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾ [البقرة: ١٧٨] قال: قال الشعبي، والكلبي، وقتادة، ومقاتل بن حيان، وأبو الجوزاء، وسعيد بن جبير: نزلت هٰذِه الآية في حيين من أحياء العرب ٱقتتلوا في الجاهلية قبيل الإسلام، فكانت بينهم قتلىٰ وجراحات، لم يأخذها بعضهم من بعض حتىٰ جاء الإسلام.

- عند قوله ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] قال: نزلت في جُمل بنت يسار كانت تحت أبي البداح عاصم بن عدي ابن العجلان، فطلقها تطليقةً واحدة. هٰذا قول أكثر المفسرين.

١١- ٱعتمد كثيرًا علىٰ مقاتل بن سليمان في أسباب النزول.

هـ- الوقف والابتداء

المراد بذلك: معرفة ما ينبغي أو يستحسن الوقف عليه من آيات القرآن الكريم وجُمَلِهِ فيوقف عليه، ومعرفة ما لا ينبغي أو يقبح الوقف عليه فيُتَجنَّب الوقف عليه.

وهو فنٌّ مستقلٌ بذاته أُلِّفت فيه تآليف مستقلة، منها كتاب «القطع والائتناف» للنحاس، وكتاب «إيضاح الوقف والابتداء»: لابن الأنباري، وكلاهما مطبوعان[1].

والثعلبي قد ٱهتم بهٰذا الفن، وحرص على التنبيه عليه في كل موضع فيه وقف أو ٱبتداء.

فنراه مثلًا عند قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢] ينبِّه علىٰ ذلك فيقول: قوله ﷻ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه أنه من عند الله. ثم قال: ﴿هُدًى﴾: أي هو هدىٰ. وتمَّ الكلام عند قوله: ﴿فِيهِ﴾.

- وعند قوله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]. يقول: وتمَّ الكلام عند قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾.

- وعند قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] قال: قل يا محمد ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم، تم الكلام هاهنا، ثم قال ﴿وَصَدٌّ﴾.

---

(١) ٱنظر: «الإتقان» للسيوطي ١/ ٢٢١.

و- القراءات

من العلوم التي برز فيها الثعلبي رحمه الله علم القراءات، حتىٰ كان إمامًا في هٰذا العلم. ولذا قال عنه ابن الجزري بعد أن ذكره في «طبقات القراء»: إمام بارع مشهور[1]. وروىٰ عنه القراءة تلميذه الواحدي، والذين ترجموا له وصفوه بالمقرئ.

ومما يدل علىٰ علو مكانته في هٰذا العلم مروياته لكتب القراءات في مقدمة تفسيره. ولذلك فإن تفسير «الكشف والبيان» قد حوىٰ كمًّا هائلًا من القراءات حتىٰ غدا مصدرًا مهمًّا من مصادر القراءات لمن جاء بعده من المفسِّرين.

وقد سلك الثعلبي في عرضه للقراءات المنهج الآتي:

١- توجيه القراءات:

لم يكتف الثعلبي بذكر القراءات دون توجيه أو تعليل، بل كان يوجِّه ما يذكره من القراءات، ويذكر عللها[2]. وذلك دليل علىٰ تمكنه في هٰذا العلم.

ومن الأمثلة علىٰ توجيه الثعلبي للقراءات:

- في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾

---

(١) «غاية النهاية في طبقات القراء» ١/ ١٠٠.

(٢) ألف العلماء في توجيه القراءات عدة مصنَّفات. منها «الحجَّة» لأبي علي الفارسي، و«حجة القراءات» لابن زنجلة، و«الحجة» لابن خالويه، و«الكشف» لمكي بن أبي طالب، و«المحتسب» لابن جنِّي.

[الفاتحة: ٧] ذكر في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ سبع قراءات. ثم وجَّه هٰذِه القراءات فقال: فمن ضمَّ الهاء ردَّه إلى الأصل، لأنه لو أفرد لكان مضمومًا عند الٱبتداء به. ومن كسره فلأجل الياء الساكنة. ومن كسر الهاء وجزم الميم فإنه ٱستثقل الضم مع مجاورة الياء الساكنة، والياء أخت الكسرة، والخروج من الضم إلى الكسر ثقيل. ومن ضم الهاء والميم أتبع الضمة الضمة. ومن كسر الهاء وضم الميم فإنه كسر الهاء لأجل الياء، وضمَّ الميم على الأصل. والاختلاس للاستخفاف. وإلحاق الواو للإشباع. والله أعلم.

- عند قوله تعالىٰ ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٣]: قال: ولقراءة العامة وجهان، **أحدهما**: علىٰ سعة الكلام؛ كقوله ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الجاثية: ٢٩]، **والآخر**: أن معناه: ليحكم كل نبي بكتابه، وإذا حكم بالكتاب؛ فكأنما حكم الكتاب.

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾ [البقرة: ٢٤٠]: قال: قرأ الحسن، وأبو عمرو، وابن عامر، والأعمش، وحمزة وحفص (وصيةً) بالنصب علىٰ معنىٰ: فليوصوا وصية. وقرأ الباقون بالرفع علىٰ معنىٰ كتبت عليهم الوصية. وقيل: معناه لأزواجهم وصية. وقيل: ولتكن وصية.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾ [آل عمران: ٣٧]: قال: قرأ الحسن، ومجاهد، وحميد، وابن كثير، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع، وعاصم برواية أبي بكر وحفص، وأبو عمرو، وابن عامر،

وابن كثير، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع، وعاصم برواية أبي بكر وحفص، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وأيوب: مخففة الفاء، واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، وحينئذ يكون (زكريا) في محل الرفع أي: ضمها إلىٰ نفسه، وقام بأمرها ..، ثم دلّل علىٰ ذلك شعرًا، وذكر تصديقها قرآنا ثم قال: وروىٰ عن ابن كثير، وأبي عبد الله المزنيّ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بكسر الفاء، أيّ: ضمّها والاسم منه: كفيل ..، وقرأ الباقون: بتشديد الفاء، وزكريا في محل النصب أي: ضمها الله زكريا وضمها إليه بالقرعة التي قرعها، فصار: أحق الناس بها وفي مصحف أبيّ: «وأكفلها زكريا» بالألف، نظيره قوله تعالىٰ: ﴿أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

(زكريا) ... وفيه لغتان:

(زكريا) مقصور، وهي قراءة ابن مسعود والسلميّ، وحميد، وابن وثّاب والأعمش وحمزة والكسائي، وخلف، وحفص.

و(زكرياء) بالمد، وهي قراءة الباقين.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦]: قال: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ إخبارًا عن الله تعالىٰ، وهي قراءة العامة، وقرأ عليّ وإبراهيم النخعيّ، وابن عامر، وأبو بكر، ويعقوب: (وضعتُ) برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم.

- وقوله في توجيه قراءة أهل الكوفة وابن عامر (أإمة)، قال: بهمزتين على التحقيق، وهي لغة بني تميم.

- وقال علىٰ قراءة الضحاك (سُقاية الحاج) بضم السين، وهي لغة.

- كما قال مبينًا القراءات في قوله تعالىٰ ﴿يكنزون﴾: (وقرأ يحيىٰ ابن يعمر (يكنُزون) بضم النون، وقراءة العامة بالكسر، وهما لغتان). وهكذا.

٢- توجيه القراءة بسبب النزول:

قد يجعل الثعلبي سبب النزول وجهًا للقراءة.

مثاله: قراءة ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] بالجزم على النهي. حيث قال عقب ذكرها: وجهها القول الأول في سبب نزول الآية. يريد قول ابن عباس: أن النبي قال ذات يوم: «**ليت شعري ما فعل أبواي!**» فنزلت هٰذِه الآية.

٣- بيان معاني القراءات:

مثل الفرق بين معنىٰ (مالك) و(ملِك) وأقوال العلماء في ذلك.

وقد يذكر معنى الآية مسندًا عن بعض العلماء مثل الفرق بين معنىٰ (أسرىٰ) و (أسارىٰ) وهما قراءاتان. حيث روىٰ بإسناده إلىٰ أبي عمرو ابن العلاء قوله: ما قد أُسر فهو أُسارىٰ، وما لم يُؤْسر فهو أَسْرىٰ.

٤- ٱختياره لبعض القراءات، وتعليله لهٰذا الٱختيار:

مثال ذلك: عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، ذكر في ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ خمس قراءات. ثم قال: وكلها لغات فصيحة صحيحة، إلا أنَّ الٱختيار الصاد، لموافقة المصحف، لأنها كتبت في جميع المصاحف بالصاد، ولمؤاخاتها الطاء، لأنهما

متوافقتان في الإطباق والاستعلاء[١].

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤]: قال: فجملة ما ذكرنا من هٰذِه الأقاويل علىٰ قراءة من قرأ ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ وهي القراءة الصحيحة التي عليها عامة أهل القرآن، ومصاحف البلدان.

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا﴾ [البقرة: ٢٨٣]: قال: قرأ ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد (كتابًا)، وقرأ الآخرون ﴿كَاتِبًا﴾ على الواحد، وهو الاختيار لموافقة المصحف.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [الآية: ١٢١]: قال: قرأ يحيىٰ بن وثّاب (تبوي المؤمنين)، خفيفة غير مهموزة، من أبوي يوبي، مثل: أروىٰ يروي. وقرأ الباقون: مهموزة مشدّدة، يقال: بوأت القوم تبوئة وأبوأتهم أبواء، إذا وطنتهم، وتبؤوا: إذا توطنوا، قال الله تعالىٰ: ﴿أن تبوءا لقومكما﴾، وقال: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾. والتشديد أفصح وأشهر، وتصديقه قوله: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق﴾، وقال: ﴿لنبوئنهم من الجنة غرفًا﴾.

٥- تضعيفه لبعض القراءات، والتعليل لهٰذا التضعيف:

قال عند قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]: وقرأ الحسن ومجاهد وطلحة (وُقودها) بضم الواو حيث كان، وهو رديء، لأنَّ الوُقود بالضم المصدر، وهو الالتهاب

(١) والأولىٰ ألا يُفاضل بين القراءات المتواترة.

والوَقود بالفتح الاسم، وهو ما توقَد به النار، كالطَّهور والبرود ونحوهما، ومثله: الوَضوء، والوُضوء.

مثال آخر: عند الآية (١٢٤) من سورة البقرة: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ ذكر عن أبي الشعثاء جابر بن زيد أنه قرأ (إبراهيم) رفعًا (ربَّهُ) نصبًا، على معنى: دعا وسأل. ونقد الثعلبي هذه القراءة بقوله: وهذا غير قوي لأجل الباء في قوله ﴿بِكَلِمَٰتٖ﴾. ثم نقل عن الباقين القراءة بضدِّ ما سبق. قال: وهو الصحيح.

٦- رواية بعض القراءات المرفوعة والموقوفة بسنده:

مثل الأسانيد (**١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٢**).

٧- ذكر بعض القراءات المرفوعة بلا إسناد:

مثال ذلك: في سورة الفاتحة آية: (٧) ذكر في قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ سبع قراءات. القراءة الثانية منها (عليهُمْ) بضم الهاء وجزم الميم. قال: وهي قراءة الأعمش وحمزة. ورُوي ذلك عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٨- الاستدلال للقراءة بالقرآن:

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣]. قال: فقرأ زيد بن ثابت وأهل العالية وعاصم وأبو عمرو (حُسْناً) بضم الحاء وجزم السين، وهو اختيار أبي حاتم. دليله قوله ﷻ ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًاۖ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا﴾.

٩- الاستشهاد بالحديث على القراءة:

مثاله: عند ذكر القراءات في قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ في سورة الفاتحة. ذكر ضمن القراءات قراءة (مالك) بالألف ونصب الكاف على النداء. ثم قال: وروي أن النبي ﷺ قال في بعض غزواته: «يا مالك يوم الدين».

١٠- الاستدلال بقراءة الصحابي على القراءة المذكورة:

قال عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]: وفيه قراءتان: بالجزم على النهي ... وقرأ الباقون بالرفع على النفي ... دليلها قراءة ابن مسعود (ولَنْ تُسْأَلَ).

١١- الاستشهاد بالشعر على القراءة:

مثال ذلك:

استشهاده بقول الشاعر:

ويوم بدر لقيناكم لنا مددٌ

فيه مع النَّصرِ جبريلٌ وميكالُ

علىٰ قراءة (مِيكال) في الآية (٩٨) من سورة البقرة. وهٰذا كثير.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [آل عمران: ٣٩] نجده يذكر في ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ اختلاف القراء علىٰ وجوه كثيرة في جميع القرآن، ثم وجّه كل قراءة مستدلًا بالشعر العربيّ ...، إلىٰ أن قال: ومن قرأ بالتشديد: فهو من بَشَّرَ يُبَشِّرُ تبشيرًا، وهو أعرب في اللغة وأفصحها ثم دلّل علىٰ ذلك قرآنًا وشعرًا.

١٢- ذكر القراءات الشاذة، وعدم الاقتصار على المتواترة:

مثاله: عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ [آل عمران: ٢٢] قال: وقرأ أبو واقد وأبو الجراح: (حبطت) -بفتح الباء، فيكون مغايرة بكسر الباء يحبط، وأصله من الحبط.

قال أبو جعفر النحاس: وهي لغة شاذة(١).

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ [آل عمران: ٣٦]: قال: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ إخبارًا عن الله تعالىٰ وهي قراءة العامة، وقرأ علي وإبراهيم النخعيّ، وابن عامر، وأبو بكر، ويعقوب: (وضعت) برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم.

ومن قرأ بالرفع قراءة شاذة كما أشار بذلك ابن جرير(٢).

وقد يترك التنبيه على القراءات الشاذة، مكتفيًا ومعتمدًا في ذلك علىٰ نسبة القراءة إلىٰ من قرأ بها.

١٣- الاستدلال بقراءات شاذة لتوضيح وإثبات القراءات المتواترة.

من الأمثلة علىٰ ذلك:

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة: ٢٦٩]: قال: قرأ يعقوب (ومن يؤت) بكسر التاء، أراد: يؤتِهِ الله، فحذف الهاء، وأبقى الكسرة. ودليله قراءة الأعمش (ومن يؤته الله).

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ﴾ [البقرة: ٢٨٠]: قال: وقرأ الأعمش (وإن كان معسر) وهو دليل قراءة العامة.

---

(١) «إعراب القرآن» ١/ ٣١٨ .

(٢) «التفسير» ٦/ ٣٣٤.

١٤- الاستعانة بالقراءة لتوضيح قول:

فعند قوله تعالىٰ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة: ٩٩]، ذكر المصنف قول ابن عباس في سبب نزول الآية: لما ذكر رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم وما عهد إليهم فيه، قال مالك بن الصَّيف: والله ما عُهد إلينا في محمد عهدٌ ولا ميثاق، فأنزل الله تعالىٰ هٰذِه الآية.

قال المصنف عَقِبَه: يوضِّحهُ قراءة أبي رجاء العطاردي (أوَ كُلَّما عُوهِدوا عهدًا) جعلهم مفعولين.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]: قال: واختلف العلماء في المعنى الذي لأجله أمر الله تعالىٰ نبيّه ﷺ بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه، وتتابع الوحيّ عليه ...، إلىٰ أن قال: فقال بعضهم: هو خاص في المعنىٰ، وإن كان عامًا في اللفظ، ومعنى الآية: وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله عهد، يدل عليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما: (وشاورهم في بعض الأمر).

- وقد حكىٰ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾ عدة أقوال عن الصحابة والتابعين أن الناس كانوا على التوحيد والإسلام قرونًا ثم حدث الشرك بعْدُ في قوم نوح عليه السلام، ثم قال: يدل علىٰ صحة هٰذِه التأويلات قراءة عبد الله رضي الله عنه (وما كان الناس إلا أمة واحدة علىٰ هدًىٰ فاختلفوا).

١٥- ذكر الآيات المماثلة:

من الأمثلة:

- قال عند قوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢]:

قرأ أهل الكوفة والشام غير عاصم بتخفيف النون ورفع الشياطين وكذلك في الأنفال (ولكن الله قتلهم) (ولكن الله رمىٰ).

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] قال: قرأ ابن إسحاق بكسر الحاء من الحج في جميع القرآن ..، وذكر عن طلحة بن مصرف بالكسر هاهنا وفي سورة آل عمران، وبالفتح في سائر القرآن. وقرأ الباقون بالفتح كل القرآن.

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥١] قال: قرأ أبو جعفر، وشيبة، ونافع، ويعقوب، وأيوب (دفاع الله) بالألف هاهنا وفي سورة الحج. واختاره أبو حاتم، وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما.

١٦- نسبة القراءة إلىٰ من قرأ بها:

يهتم المصنف رحمه الله بنسبة القراءة إلىٰ من قرأ بها. إما علىٰ سبيل التفصيل: بأن يذكر أسماء كل من قرأ بهٰذِه القراءة. أو علىٰ سبيل الإجمال.

أما التفصيل: فمن الأمثله عليه:

- ما ذكره عند قراءتي (مالك) و(مِلك) في سورة الفاتحة: فقراءة (مالِك) نسبها إلى النبي ﷺ ثم روىٰ ذلك بإسناده. ثم نسب هٰذِه القراءة إلىٰ ستة عشر صحابيًا ذاكرًا أسماءهم. ثم نسبها إلىٰ واحدٍ وثلاثين رجلًا من التابعين وأتباعهم.

وقراءة (مِلك) رواها مرفوعةً. ونسبها إلىٰ خمسة من الصحابة، وإلىٰ عشرين رجلًا من التابعين وأتباعهم.

- وعند قوله تعالىٰ ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ [البقرة: ١٨٢] قال: (من موص) قرأ مجاهد، وحميد، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع بالتخفيف ... وقرأ الباقون (من موص) بالتشديد.

- وعند قوله ﷻ ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال: قرأ علي بن أبي طالب، وأبو الأسود الديلي، والعطاردي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والأعرج، وشيبة، ونافع، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم، والكسائي، وأبو عمرو، ويعقوب، وأيوب بضم الصاد ... وقرأ علقمة، وعبيد بن عمير، وسعيد بن جبير، وطلحة، وقتادة وأبو جعفر، ويحيىٰ بن وثاب، والأعمش، وحمزة، وخلف (فصرهن) بكسر الصاد.

ومثال العزو الإجمالي: ما ذكره عند قوله تعالىٰ: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠] قال: وقرأ العامَّة بالتخفيف.

وعند قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] قال: قرأ ابن محيصن بضم اللام، وقرأ الباقون بجزمه.

وقد يعزو إجمالًا إلىٰ قراء البلد. فيقول مثلًا عند قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]: في (ميكائيل) أربع لغات: ممدود مهموز مشبع، علىٰ وزن ميكاعيل، وهي قراءة أهل مكة والكوفة والشام. وميكائِل، ممدود مهموز مختلس، مثل ميكاعِل، وهي قراءة أهل المدينة. وميكَئِلْ، مهموز مقصور علىٰ وزن مِيكَعِل،

وهي قراءة الأعمش وابن محيصن. ومِيْكال، علىٰ وزن مِفْعَال، وهي قراءة أهل البصرة.

١٧- ضبط القراءة وإعرابها:

من الأمثلة علىٰ ذلك:

- عند قوله تعالىٰ ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]: قال: قرأ الحسن، وابن أبي إسحاق، وأبو جعفر (ويُهلكُ) برفع الكاف على الٱبتداء. وقراءة العامة بالنصب.

- عند قوله تعالىٰ ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]: قال: قرأ الأعمش، وحمزة، وعيسىٰ (ربيْ الذي) بإسكان الياء. وقرأ الباقون بفتحه؛ لمكان الألف واللام.

١٨- الٱهتمام بذكر ٱختيار أبي عبيد وأبي حاتم:

كثيرًا ما يهتم المصنف بعد عرضه للقراءات بذكر ٱختيار أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي حاتم السجستاني، اللذين روىٰ كتابيهما في «القراءات» في مقدمة تفسيره. وقد يضيف إلى ٱختيارهما أحيانًا ٱختيار الفراء صاحب «معاني القرآن» الذي روىٰ كتابه أيضًا في مقدمته.

١٩- عنايته بما ورد في مصحف ابن مسعود ومصحف أبي.

كما في آية **٢٧** من سورة النور، قال: (حتىٰ تسلموا علىٰ أهلها وتستأذنوا) وذلك هو في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه.

وعند آية **٨** من سورة العنكبوت قال: وفي مصحف أُبَيّ (إحسانًا).

ز- الناسخ والمنسوخ

معرفة الناسخ والمنسوخ أمر ضروري لا سيما لمن أراد أن يفسِّر كتاب الله ﷻ وهو من أجل علوم القرآن قدرًا، ولذلك قرَّر العلماء أنه لا يجوز لأحد أن يفسِّر كتاب الله إلا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ(١).

يقول أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» مبيِّنًا أهمية هٰذا العلم: هو نوع كبير من علوم القرآن لا يسع جهله لمن شرع في التفسير. ثم يذكر لنا ٱهتمام الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح بهٰذا العلم، وتأكيدهم علىٰ أهميته وضرورته، حيث يروي الثعلبي بسنده إلىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه مرَّ بقاصٍّ يقصُّ فقال: هل تعلم الناسخ والمنسوخ؟ فقال: لا. فقال: هلكتَ وأهلكتَ.

وكان الثعلبي لا يمر بآية ناسخة، أو منسوخة إلا ويقف عندها، ويذكر ما قيل فيها. ومن الأمثلة:

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: قال قوم: كان ذلك في أول ما فرض الصوم، وذلك أن الله تعالىٰ لما أنزل فرض صيام شهر رمضان علىٰ رسوله، فخيرهم الله تعالىٰ بين الصيام والإطعام، فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر، وافتدىٰ

(١) ٱنظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص٤)، «الناسخ والمنسوخ» للنحَّاس (ص٧).

بالطعام، ثم نسخ الله تعالىٰ ذلك بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥] ونزلت العزمة في إيجاب الصوم، وعلىٰ هٰذا القول معاذ بن جبل، وأنس بن مالك.

- عند قوله ﷻ: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ [البقرة: ١٩١] قال: قال مقاتل بن حيان: لما نزلت هٰذِه الآية نسخها قوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩١] ثم نسختها آية السيف في براءة، فهي ناسخة ومنسوخة. وقال آخرون: هٰذِه الآية محكمة، ولا يجوز الاْبتداء بالقتال في الحرم، وهو قول مجاهد، وأكثر المفسرين.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢] يعرض لأقوال أهل العلم في المراد بالإنفاق فمنهم من يقول: أحبها إليكم. ثم قال: وقال مجاهد والكلبيّ: هٰذِه الآية منسوخة نسختها آية الزكاة. وروي عن ابن عباس: حتىٰ تخرجوا زكاة أموالكم.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال: قال المفسرون: فلمّا نزلت هٰذِه الآية قالوا: يا رسول الله، ومن يقوىٰ علىٰ هٰذا وشق عليهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾، فنسخت هٰذِه الآية. قاله مقاتل، وليس في آل عمران من المنسوخ إلّا هٰذا. وقيل: ليست الآية منسوخة لأن من جانب جميع ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه فقد اْتقىٰ الله حق تقاته، ولا يجوز أن يكون أحد لا يقدر أن يتقي في جميع

المعاصي ولا يجوز أن ينسخ مثل هٰذا لأن نسخه لا يكون إلّا بإباحة بعض المعاصي وهو لا يجوز علىٰ الله تعالىٰ، ومعنى الآيتين واحد، لأن من ٱتقىٰ ما ٱستطاع، فقد ٱتقاه حق تقاته، فإحدى الآيتين مفسرة للأخرىٰ.

وللمصنف رحمه الله مشاركة في علم أصول الفقه، ولذلك نجده كثيرًا ما يتناول الجوانب الأصولية لعلم الناسخ والمنسوخ ، فنجده مثلًا يبين ويوضح في أماكن من تفسيره متىٰ يقع النسخ، وفي أي النصوص يقع؟

ومن ذلك ما يأتي:

- قال: فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة؛ لأن قوله: ﴿أُجِيبُ﴾ و(أستجب) خبر، والخبر لا يعترض عليه النسخ؛ لأنه إذا نسخ صار المخبر كذابًا، وتعالىٰ الله عن ذلك.

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: وقال بعضهم هٰذِه الآية محكمة غير منسوخة؛ لأن النسخ في الأخبار غير جائز إلا خبرًا في أمر أو نهي أو شرط.

تعريف الثعلبي للنسخ في «تفسيره» وبيان أقسامه:

عند قوله تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] بين الثعلبي أنَّ النسخ في اللغة شيئان:

أ- **الوجه الأول:** بمعنى التغيير والتحويل.

ووضَّح ذلك. واستدل عليه بقول لابن عباس، وقال: فعلىٰ هٰذا

الوجه القرآن كلُّه منسوخ، لأنه نُسخ من اللوح المحفوظ، فأنزله الله تعالىٰ على النبي ﷺ واستدل علىٰ ذلك.

ب- **الوجه الثاني**: بمعنىٰ رفع الشيء وإبطاله، يقال: نسخت الشمس الظل، أي: ذهبت به وأبطلته. قال: وإيَّاه عنى بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾. ثم قال: وعلىٰ هٰذا الوجه يكون بعض القرآن ناسخًا وبعضه منسوخًا، وهو ما تعرفه الأمة من ناسخ القرآن ومنسوخه.

فبيَّن الثعلبي أن المراد بالنسخ إذا أطلق هٰذا المعنىٰ. وذكر أنه يتنوع إلىٰ نوعين:

أ- **أحدها**: أن يثبت خط الآية، ويُنسخ حكمها والعمل بها.

ب- **والنوع الثاني**: أن تُرفع الآية أصلًا، فتكون خارجةً من خط الكتاب، وبعضها من قلوب الرجال.

واستدل على الثاني بحديث لسعيد بن المسيب في ذلك.

وهكذا نرىٰ أن الثعلبي يعرِّف النسخ تعريفًا يشبه تعريف الأصوليين كثيرًا، حيث يعرف الأصوليون النسخ بأنه: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر[1].

والثعلبي كذلك يعرف النسخ بأنه إبطال شيء وإثبات آخر مكانه. ويزيد هٰذا التعريف وضوحًا كلامه في الرد على اليهود الذين أنكروا

---

(١) أنظر: «روضة الناظر» ١/ ٢٠٩، «الإحكام» للآمدي ٢/ ١٠٤، «إعلام الموقعين» ١/ ٣٥، «شرح الكوكب المنير» ٣/ ٥٢٦، «علم أصول الفقه» لعبد الوهاب خلاف (ص٢٢٢).

جواز النسخ علىٰ زعم أنه بداء حيث قال عن النسخ: هو نقل العباد من عبادة إلىٰ عبادة، وحكم إلىٰ حكم، لضرب من المصلحة، إظهارًا لحكمته، وكمال مملكته، وله ذلك.

بيان الثعلبي أنَّ النسخ يكون في الأوامر والنواهي دون الأخبار:

قال رحمه الله: ثم ٱعلم أنَّ النسخ إنما يعرض على الأوامر والنواهي دون الأخبار، لأن الخبر إذا نُسخ صار المخبِر كذابًا.

ردُّ الثعلبي على اليهود إنكارهم للنسخ:

قال أبو إسحاق: «وأبى اليهود جواز نسخ الشرائع، وزعموا أنه بداء، فيقال لهم: أليس قد أباح الله تزويج الأخت من الأخ ثم حظره؟! وكذلك بنت الأخ وبنت الأخت؟!

أليس قد أمر إبراهيم ﷺ بذبح ابنه ثم قال له: لا تذبحه؟!

أليس قد أمر موسىٰ بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل، ثم أمرهم برفع السيف عنهم؟!

أليست نبوة موسىٰ ﷺ غير متعبَّد بها قبل بعثته، ثم تُعبِّد بها بعد ذلك؟ أليس قد أمر حزقيل النبي ﷺ بالختان، ثم نهاه عنه؟!

فلما لم يلحقه في هٰذِه الأشياء بَدَاء، فكذلك في نسخ الشرائع لا يلحقه بداء».

ويُظهر لنا هٰذا الرد قوة حجة الثعلبي، وقوة جدله، حيث قرَّر اليهود بأشياء هم يقرُّون بها، وأتاهم من قبلها، فأسكتهم، وأظهر دحض شبهتهم، ووهاء قولهم. ويظهر لنا مما سبق أيضًا شخصية الثعلبي

الأصولية وتمكنه من هٰذا العلم.

ح- الربط والمناسبة بين الآيات:

وهو أحد أنواع علوم القرآن، قال الزركشي: وهٰذا النوع يهمله بعض المفسرين، أو كثير منهم، وفوائده عزيزة. ومن الأمثلة عليه في كتاب «الكشف والبيان» ما يأتي:

- عند قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] قال: إلا أن جمهور أهل التأويل علىٰ ما ذكرنا من قبل، ووجهه علىٰ قولهم: إن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات، فاذكروا الله عند المشعر الحرام.

- لما بين قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢] قال: ثم دلهم علىٰ خير الصدقات، وأفضل النفقات، فقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

ط-آخر ما نزل من القرآن:

عقد المصنف فصلًا مطولًا بين فيه آخر الآيات نزولًا علىٰ رسول الله ﷺ، ورجح أن قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] هي آخرهن نزولًا.

ثالثًا: منهجه الحديثي والرواية بالإسناد

عند تناولنا لطرق التفسير التي ٱنتهجها المصنف في كتابه تكلمنا فيها عن طريقته في تفسير القرآن الكريم بالسنة المطهرة، وقد تناولنا منهج المصنف بالتفصيل من الناحية الحديثية هناك، ونتكلم هنا إن شاء الله عن منهج المصنف في الرواية بالإسناد، وهو من أهم وأبرز المزايا التي تميَّز بها تفسير «الكشف والبيان»، فالثعلبي كان راويةً بالأسانيد، يروي المرويات بإسناده الخاص به عن شيوخه إلىٰ منتهاه، ولم تقتصر روايته على الأحاديث، بل كان يروي بإسناده آثار الصحابة والتابعين، وأقوال مَن بعدهم، حتىٰ أبيات الشعر كان يروي بعضها بإسناده، ومَن قرأ مقدمة الثعلبي لتفسيره، ووقف علىٰ كثرة مسموعاته وشيوخه، علم رسوخ قدمه في باب الرواية بالإسناد، وأدرك عنايته واهتمامه بذلك.

وقد تمثَّل منهجه في الرواية بالإسناد فيما يأتي:

١- ذكر الثعلبي في مقدمة «تفسيره» أسانيده إلى ابن عباس، وإلىٰ أئمة التفسير من التابعين وأتباعهم، ثم ذكر أسانيده إلىٰ تفاسير أهل عصره من شيوخه الذين روىٰ عنهم، ثم ذكر أسانيده إلى المؤلفات الأخرى التي رواها من كتب الوجوه والنظائر، وكتب معاني القرآن، وغريبه، ومشكله، وكتب القراءات، وكتب المغازي والتاريخ. والغرض من ذكر هٰذِه الأسانيد في مقدمة كتابه وجمعها في مكان واحد: ألا يحتاج إلىٰ تكرارها كلَّما نقل منها في أثناء الكتاب كما

صرَّح بذلك في مقدمة كتابه.

وليس معنىٰ هٰذا أنَّ «تفسيره» قد خلا من الأسانيد ٱكتفاءً بما ذكره في مقدمة كتابه بل إنَّ «تفسيره» قد حوىٰ في ثناياه عددًا كبيرًا من الأسانيد التي يرويها المصنف من مصادر أخرىٰ غير التي ذكرها في المقدمة.

٢- الاَعتماد علىٰ إسناده الخاص في الرواية:

فكل الأسانيد والمرويات التي في تفسيره إنما هي بروايته عن شيوخه إلىٰ منتهى الإسناد.

ولا شك أنَّ للإسناد قيمة عالية، كيف وهو خصيصة ٱختصت بها هٰذِه الأمة.

ولذا فإنَّ الإسناد كان من أعظم المميزات التي ٱمتاز بها «تفسير الكشف والبيان» حيث خلت معظم التفاسير من هٰذِه الميزة إلا النزر اليسير منها.

٣- رواية الخبر الواحد بعدة طرق:

وذلك دليل علىٰ سعة روايته، وكثرة مسموعاته.

٤- يستخدم الرموز المصطلح عليها عند المحدثين:

فيرمز لـ«حدثنا» بـ«نا» أو «ثنا» ولـ«أخبرنا» بـ«أنا» وهٰذا صنيعه في معظم أسانيده.

ويستخدم كذلك (ح) للتحويل من طريق إلىٰ طريق آخر.

٥- يذكر في أثناء روايته للسند تاريخ الرواية، ومكانها، وطريقة

تحملها:

فيبين مثلًا أنه سمعها من شيخه إملاء، أو لفظًا، أو قراءة، أو كتابة، أو إجازةً، ونحو ذلك.

ومن أمثلة ذلك:

- قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الحسن لفظًا قال: نا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان بمرو الروذ إملاءً قال: نا إسحاق بن إبراهيم.. إلخ.

- قال: حدثنا أبو منصور ظفر بن محمد بن أحمد بن محمد الحسيني رحمه الله إملاء.

- قال: وأنشدنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي كتابة.

ويقول في بيان تاريخ الرواية:

- أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يحيىٰ قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة قال: أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان سنة ثمان وثلاث مئة إلخ.

- حدثنا محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي -رحمه الله- لفظًا سنة سبع وثمانين وثلاث مئة قال: حدثنا أبو العباس عبد الله بن يعقوب بن إسحاق الكرماني سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا.

- أخبرنا الإمام بن الإمام أبو عبد الله بن أبي الوليد بقراءتي عليه سنة ست وثمانين وثلاث مئة قال: أنا مكي بن عبدان سنة عشرين

وثلاث مئة.

وفي بيان مكان الرواية يقول:

- حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الفامي قال: نا أبو الحسن محمد بن عثمان بن الحسن النصيبي ببغداد قال: نا أبو بكر محمد بن الحسين بن صالح السبيعي بحلب.

- حدثنا أبو القاسم ... قال: نا بشر بن هاشم الحشاش بالبصرة.

٦- يلتقي بأسانيده مع أصحاب كتب الحديث المشهورة:

حيث التقىٰ مع الإمام مسلم في صحيحه، والنسائي، وابن أبي شيبة، ويعقوب بن سفيان الفسوي، وابن أبي الدنيا وغيرهم.

٧- لم يقتصر الثعلبي في روايته بالإسناد على الأحاديث، بل كان يروي بإسناده كل شيء، فقد كان يروي الأحاديث، وأقوال الصحابة وأقوال التابعين، وأتباع التابعين، وأقوال من بعدهم من المفسرين كما سبق، وكان يروي بإسناده القراءات، واللغة، وأبيات الشعر، وغير ذلك كما سيأتي عند بيان منهجه في ذلك.

٨- يحذف الثعلبي الإسناد مقتصرًا على الراوي الأعلىٰ له، إذا تكرر الإسناد في موضع واحد، فيقول عند الإسناد الثاني: وبه عن فلان.

٩- يروي أحيانًا بعض الأحاديث والآثار بأسانيد معلَّقة غير موصولة[1].

---

(١) سبق ذكر الأمثلة علىٰ ذلك عند الكلام عن تفسير القرآن بأقوال الصحابة، وأقوال التابعين.

رابعًا: منهج الثعلبي في تقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق[1]

القرآن الكريم قرَّر مسائل العقيدة وأصولها في آيات كثيرة، ومن يفسِّر كتاب الله الكريم لا بد أن يمرَّ بهٰذِه الآيات ويبيِّن عقيدته التي يدين الله ﷻ بها. والثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» قد تعرَّض عند تفسير الآية لما يتعلَّق بها من مسائل عقَديَّة.

حيث نراه يقرِّر هٰذِه المسائل ويبيِّن القول الذي يعتقده فيها، ويذكر الأدلة عليها من الكتاب والسنة، وسنستعرض بعض هٰذِه المسائل لنتعرف علىٰ طريقته وأسلوبه في عرضها:

١- مسألة: حقيقة الإيمان والإسلام:

عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٣] عقد الثعلبي فصلًا في مسألة «الإيمان» حيث عرَّف الإيمان أولًا وأنَّ حقيقته التصديق بالقلب، وعلل لذلك، ودلل عليه بعدة آيات من القرآن. ثم بيَّن محل الإسلام من الإيمان، وأنَّ كل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيمانًا. واستدل علىٰ ذلك بعدة أدلة من الكتاب والسنة.

ثم ذكر أنَّ إقرار اللسان، وأعمال الأبدان تسمىٰ إيمانًا. واستدل علىٰ ذلك بعدة أحاديث.

(١) سبق بيان عقيدة المؤلف في مبحث خاص في ترجمته.

٢- مسألة: زيادة الإيمان ونقصانه:

عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤]، نجده يبين عن مذهب أهل السنة والجماعة القائلين بزيادة الإيمان ونقصانه، فنجده يسوق في ذلك الآثار فيقول: قال مجاهد في هٰذِه الآية: الإيمان يزيد وينقص، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: لو وزن إيمان أبي بكر ﷺ بإيمان أهل الأرض لرجحهم، بلىٰ إن الإيمان ليزيد وينقص، قالها ثلاث مرات.

وروىٰ زبيد اليامي عن زر قال: كان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتىٰ نزداد إيمانا.

قال علي بن أبي طالب ﵇: إن الإيمان يبدو لمعة بيضاء في القلب كلما ٱزداد الإيمان عظما ٱزداد البياض حتىٰ يبيض القلب كله، وأن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فيسود القلب كله. فايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود.

وكتب الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز: إن للإيمان سننًا وشرائع وحدودًا وفرائض من ٱستكملها ٱستكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان.

وقال ابن المبارك: لم أجد بدًّا من الإقرار بزيادة الإيمان أو أردّ كتاب الله تعالىٰ.

٣- الٱسم هو المسمىٰ، أم لا؟

وفي تفسير البسملة من سورة الفاتحة تعرض الثعلبي لمسألة: هل الٱسم هو المسمىٰ، أم لا؟[١].

وقرَّر في هٰذِه المسألة أن الٱسم هو المسمَّىٰ. وهٰذا ٱختيار شيخه أبي بكر ابن فورك.

قال أبو إسحاق الثعلبي: فأما معنى الٱسم: فهو المسمىٰ، وحقيقته: الموجود وذات الشيء وعينه ونفسه، واسمه. كلها يفيد

---

(١) ٱختلف العلماء في هٰذِه المسألة علىٰ خمسة مذاهب، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي:
١- أنَّ الٱسم عين المسمَّىٰ: وهو رأي كثير من المنتسبين إلى السنة، كأبي القاسم الطبري، واللالكائي، وأبي محمد البغوي، وغيرهم.
وهو أحد قولي أصحاب أبي الحسن الأشعري، ٱختاره أبو بكر بن فورك وغيره. واختاره المصنف كما سيأتي.
٢- أنَّ الٱسم غير المسمىٰ، وهو رأي الجهمية، ورأي المعتزلة، وجماعة من الأشاعرة.
٣- التوقف: وهو رأي جماعة من السلف.
٤- أنَّ الٱسم للمسمَّىٰ: وهو ٱختيار أكثر المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيره، وهٰذا هو القول الحق في هٰذِه المسألة، والقائلون به وافقوا الكتاب والسنة والمعقول، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، واستدل لذلك بأدلة وفسر القول في ذلك ورد على القائلين بأن الٱسم هو المسمىٰ وعينه.
ٱنظر: «مجموع الفتاوىٰ» ٦/ ١٨٥ - ٢٠٦، «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ١٣١)، و«البيهقي وموقفه من الإلهيات» (ص١٣١).
٥- التفصيل: وهو المشهور عن أبي الحسن الأشعري.
ٱنظر: «مجموع الفتاوىٰ» ٦/ ١٨٥ - ١٨٩.

معنىٰ واحدًا.

والدليل علىٰ أن الاسم هو المسمىٰ قوله تعالىٰ ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ فأخبر أن اسمه يحيىٰ، ثم نادى الاسم وخاطبه فقال: ﴿يا يحيىٰ﴾ ويحيىٰ هو الاسم، والاسم هو يحيىٰ. وقوله تعالىٰ: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ أراد الأشخاص المعبودة، لأنهم كانوا يعبدون المسميات. وقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ و ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾.

٤- مسألة: رؤية الله ﷻ يوم القيامة:

نجد المصنف يقرِّر العقيدة الصحيحة في مسألة رؤية الله ﷻ في الآخرة عند قوله تعالىٰ ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] فيثبت الرؤية كما أثبتها أهل السنة والجماعة، مستدلًا علىٰ ذلك بنصوص الكتاب والسنة. خلافًا لما ذهب إليه المعتزلة حيث نفوا هٰذِه الرؤية.

وها هو يستفتح تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ بإسناده لحديث أنس رضي الله عنه في تفسير النبي ﷺ للزيادة بأنها النظر إلىٰ وجه الله الكريم، ويبين أن ذلك هو قول أبي بكر وحذيفة وأبي موسىٰ وصهيب وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن سابط والحسن وعكرمة وأبي الجوزاء والضحاك والسدي وعطاء ومقاتل، ثم يردف ذلك ببعض الآثار المسندة الدالة علىٰ ذلك.

ردُّهُ على الفرق المخالفة، وتفنيده لأدلتهم وشبههم:

من يطالع «تفسير الثعلبي» يجده صاحب عقيدة صحيحة سالمة من التحريف والتبديل، ليس ذلك فقط، بل تجده يرد على أصحاب الفرق المبتدعة والملل الضالة، فعند قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ فتهود، وتنصر، وصاروا: يعقوبية، ونسطورية، وملكانية.

ولا تمر أدنى مناسبة إلا وينال من الفرق الباطلة، والمذاهب الرديئة، وله معهم وقفات جريئة، وانتقادات لاذعة، وردود قوية، وفيما يأتي موقفه من بعض الفرق:

١- القدرية:

- عند قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]: عقد مسألة ذكر فيها قول القدرية: بأن الجنة التي أسكنها الله ﷻ آدم وحواء لم تكن جنة الخلد، وإنما بستانًا من بساتين الدنيا. ثم ذكر أدلتهم على ما قالوه، وفنَّد هذه الأدلة واحدًا تلو الآخر.

- عند قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] قال: ولا حجة للقدرية في هذه الآية؛ لأنها مبنية على أول الكلام في إيجاب الصيام، فهي خاص في الأحكام لأهل الإسلام.

- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١] أورد بسنده عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه سئل

عن تزويج القدري؟ فقال: ﴿وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ﴾.

- ويروي بسنده محاورة وقعت بين رجل وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي آخرها؛ قال علي: لو رأيتُ رجلًا من أهل القدر؛ لأخذت برقبته فلا أزال أطأ رقبته حتىٰ أكسرها؛ فإنهم يهود هٰذِه الأُمة، ونصاراها، ومجوسها.

٢- الخوارج

نقض الثعلبي باستنباط بديع، وحجة دامغة بعضًا من أصول الخوارج خلال تفسيره، ومنها: (كفر مرتكب الكبيرة وخلوده في النار) فيقول عند قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ [البقرة: ١٧٨]: وفي هٰذِه الآية دليل علىٰ أن القاتل لا يصير كافرًا ولا يبقىٰ خالدًا في النار بما أتاه؛ لأن الله عز وجل خاطبهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ ولا خلاف أن القصاص واقع في العمد فلم يسقط عنه ٱسم الإيمان بارتكاب هٰذِه الكبيرة.

- وعند قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] يذكر أقوال الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، ثم يرد عليهم. ثم يبين العقيدة الصحيحة في هٰذِه المسألة بقوله: وعندنا أن المؤمن إذا قتل مؤمنًا متعمدًا فإنه لا يكفر بقتله، ولا يخرج به عن الإيمان إلا إذا فعل ذلك علىٰ جهة الاُستحلال والديانة(١).

---

(١) «الثعلبي ودراسة كتابه» ١/ ٥٧.

وذكر الأدلة علىٰ هٰذا.

وهٰذا القول الذي قرره هو قول أهل السنة والجماعة[(١)].

ونجده رحمه الله يُعرِّض بالخوارج وينتقد مسلكهم فينقل ما يأتي:

- عند قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٢٠٧]: عن قتادة أنه قال: ما هم بأهل حروراء المراق من دين الله، ولٰكن هم المهاجرون والأنصار.

- وعند قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة: ٢٦٩] ينقل عن الضحاك أنه قال: ولا تكونوا كأهل نهروان تأولوا آيًا من القرآن في أهل القبلة، وإنما نزلت في أهل الكتاب جهلوا علمها، فسفكوا بها الدماء، وشهدوا علينا بالضلال، وانتهبوا الأموال.

٣- الشيعة:

روى الثعلبي بعض الأحاديث والآثار من طريق الشيعة، وأورد كثيرًا من الأحاديث والنصوص في فضائل علي بن أبي طالب، لذلك ٱعتمد عليه بعض علماء الشيعة في مصنفاتهم وتفاسيرهم، وجعلوا كتابه مصدرًا مهمًا خاصة فيما يتعلق بفضائل ومناقب علي بن أبي طالب وآل بيته[(٢)].

---

(١) ٱنظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٢١١).

(٢) ٱنظر مثلًا «مجمع البيان» للطبرسي ٢/ ١٧٤، ٢/ ٢٩٩ و«البرهان في تفسير القرآن» للعاملي البحراني ١/ ٢٠٧ وقد أكثر النقل عن الثعلبي العالم الرافضي صاحب كتاب «منهاج الكرامة» الذي تولى الرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية. ٱنظر: «منهاج السنة النبوية» ٧/ ٥، ٨٩.

وكل هٰذا لا يجعلنا نصف الثعلبي بأنه شيعي المذهب، أو له ميل إلى الشيعة، وغاية ما يدل عليه أنه ينقل، ويجمع في كتابه ما ذكره غيره ممن سبقه دون تمحيص وتمييز، قال شيخ الإسلام -وهو يتحدث عن ما ذكره الثعلبي، وأبو نعيم، والنقاش في كتبهم: وإن كان كثير من ذلك لا يعتقد صحته؛ بل يعتقد ضعفه؛ لأنه يقول: أنا نقلت ما ذكر غيري؛ فالعهدة على القائل لا على الناقل(١).

ثم إن تفسير الثعلبي لم يخل من فضائل الصحابة الآخرين، والمتتبع لهٰذا التفسير يجد فيه ثناء عاطرًا، ومديحًا وافرًا -بين صحيح وضعيف- للخلفاء الراشدين الثلاثة، وبقية الصحابة رضوان الله عليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -وهو يرد على الرافضي: مثل كتاب «فضائل الصحابة» للإمام أحمد، وأبي نعيم، و«تفسير الثعلبي» وفيها من ذكر فضائل الثلاثة ما هو أعظم الحجج عليه(٢).

وأحيانًا يذكر عقيدته في المسألة ولا يرد على مخالفيه فيها:

فعند قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]: قال

---

(١) «منهاج السنة النبوية» ٧/ ٣٨.

(٢) «منهاج السنة» ٧/ ٣٩٦- ٣٩٧، وانظر -مثلًا- ما أورده الثعلبي في فضل أبي بكر، وعمر، وعثمان عند قوله تعالىٰ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨] وما أورده من أحاديث مرفوعة وآثار في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

الثعلبي: والرزق: هو المهيأ للانتفاع به، فإن كان طعامًا فللتَّغذي، وإن كان لباسًا فللتَّدفي والتوقي، وإن كان مسكنًا فالانتفاع به سكنىٰ، وقد ينتفع المنتفع بما هيء للانتفاع به علىٰ وجهين: حلالًا وحرامًا، فلذلك قلنا: إنَّ الله ﷻ رزق الحلال والحرام.

فقرَّر أنَّ الله يرزق الحلال والحرام كما هو المذهب الصحيح ولم يرد على المعتزلة القائلين: إنَّ الحرام ليس برزق.

وعند قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]: قال رحمه الله: وفي هٰذِه الآية دليل علىٰ أنَّ النار مخلوقة، لأن المُعَدَّ لا يكون إلا موجودًا.

وهٰذا هو القول الحق في هٰذِه المسألة، وعليه ٱتفق أهل السنة والجماعة، خلافًا للمعتزلة والقدرية.

خامسًا: الجانب الفقهي في تفسير الكشف والبيان

القرآن الكريم نزل هدايةً للناس، وتشريعًا لهم، وتضمَّن بين دفتيه ما يحتاج إليه الناس في شؤون دينهم ودنياهم، ومن ذلك الأحكام الشرعية، وبيان الحلال والحرام من خلال آيات الأحكام التي ذكر العلماء، أنها قرابة خمس مئة آية تتعلق بأحكام المكلَّفين[(١)].

وكلٌّ من رام تفسير كتاب الله لا بد أن يتطرق للأحكام الفقهيَّة من خلال تفسيره لآيات الأحكام، ولكنَّ المفسرين منهم من يتوسَّع في ذلك، ومنهم من يقتضب، حسب ٱهتمامه ومنهجه في تفسيره، وحسب شخصيته الفقهية، ورسوخ قدمه في هٰذا العلم.

وأبو إسحاق الثعلبي رحمه الله عندما ألَّف تفسيره «الكشف والبيان» أراد منه أن يكون شاملًا لكل ما يتعلق بتفسير الآية، ولم يقتصر في «تفسيره» علىٰ جانب دون جانب، كما أنه لم يتوسَّع في جانب، ويقتضب في جانب آخر، ولذلك بنىٰ كتابه علىٰ أربعة عشر ركنًا، منها «الأحكام والفقهيَّات» كما ذكر ذلك في مقدمته.

وعند تفسير آيات الأحكام من «الكشف والبيان» نجد الثعلبي يتحوَّل إلىٰ ذلك الفقيه الذي أحاط بمذاهب العلماء، وأقوال

---

(١) ٱنظر: «المستصفىٰ» للغزالي (ص ٤٧٩)، «روضة الناظر» لابن قدامة (ص٣١٩)، «التسهيل» لابن جُزي (ص٧١١). وقد ألف العلماء مصنفاتٍ مستقلة في تفسير آيات الأحكام: مثل أحكام القرآن لابن العربي، وللجصاص، وللكيالهراس، وكلها مطبوعة.

الفقهاء، وحفظ أدلة المسائل، ونجد شخصيته الفقهية تبرز في ترجيحاته، وردوده، واستنباطاته.

والمعالم الآتية توضِّح لنا منهج الثعلبي في تفسيره لآيات الأحكام وعرضه للمسائل الفقهيَّة:

١- الإمام الثعلبي شافعي المذهب كما سبق تفصيله عند الكلام عن مذهبه الفقهي. ومع ذلك لا ترىٰ أدنىٰ مظهر من مظاهر التعصب لديه. بل تراه يذكر المذهب الشافعي، ويذكر أدلته من الكتاب، والسنة، ثم يرد على المخالفين بكل موضوعية وأدب.

٢- يبسط الثعلبي المسائل الفقهية التي تتعلق بالآية، ويتوسَّع فيها، وخاصةً المسائل الخلافية المشهورة.

٣- ينسب المذاهب والأقوال إلىٰ أصحابها في الغالب ولا يقتصر علىٰ نسبة الأقوال إلىٰ أصحاب المذاهب المشهورة، بل ينسب القول إلىٰ من قال به من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من أصحاب المذاهب.

٤- يبدأ بتقرير القول الراجح لديه، فيذكر أدلته من الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. ثم يذكر أدلة القول الآخر دليلًا، دليلًا.

ويرد ويجيب عن كل دليل بكل علمٍ، وأدب.

فهو يعرض المسائل الفقهية بأسلوب الفقه المقارن.

٥- يبني الثعلبي ترجيحه على الأدلة الشرعية. ولا يجرِّد الأقوال من أدلتها، أو يرجِّح تقليدًا، أو تعصبًا. بل يذكر الأقوال بأدلتها، ويرجِّح ما

يعضده الدليل الشرعي، مع التعليل والتوجيه.

هٰذا هو منهج الثعلبي في كثير من المسائل الفقهيَّة التي ذكرها في تفسيره، ومنها:

- مسألة: **حكم قراءة الفاتحة للمأموم في الصلاة:**

عقد هٰذِه المسألة معنونًا لها بقوله: ذكر وجوب قراءتها (أي الفاتحة) على المأموم كوجوبها على الإمام، واختلاف الفقهاء فيه. ثم ذكر أقوال العلماء في ذلك إذ قال: فقال مالك بن أنس: يجب عليه قراءتها إذا خافت الإمام، فأمَّا إذا جهر الإمام فليس عليه. وبه قال الشافعي في القديم. وقال في الجديد: يلزمه القراءة أسرَّ الإمام أم جهر.

وقال أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله: لا يلزمه القراءة خافت أو جهر.

ثم قال: والدليل علىٰ وجوب القراءة على المأموم كوجوبها على الإمام.. وروىٰ عدة أحاديث بسنده أدلةً على القول الذي يرجِّحه، وهو قول الشافعي في الجديد.

ثم نسب هٰذا القول إلىٰ عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، وجماعة كثيرة من التابعين وأئمة المسلمين رُوي عنهم جميعًا أنهم رأوا القراءة خلف الإمام واجبة.

ثم قال: ووجه القول القديم: ما روىٰ سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن ذكوان عن أبي هريرة وعائشة: أنهما كانا يأمران بالقراءة

وراء الإمام إذا لم يجهر.

ثم قال: واحتج أبو حنيفة وأصحابه..، وذكر أدلتهم، وأجاب عن كل دليل، ذاكرًا في أثناء ذلك نصوصًا وأدلةً تخالف أدلتهم.

- مسألة: **شروط وجوب الحج**:

عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧] يذكر شروط وجوب الحج قال: وهي تسعة، ثم يدخل في تفصيلها ومنها: وزاد كاف، وراحلة مبلّغة، وقوة مؤدية، وذكر ٱختلاف الفقهاء في تفصيل هٰذِه الشرايط، ومما قاله: فقال الشافعيّ رحمه الله: الأستطاعة وجهان: أحدهما: أن يكون مستطيعًا ببدنه، واجدًا من ماله ما يبلّغه الحج.

والثاني: أن يكون معضوبًا في بدنه لا يثبت علىٰ مركبه، وهو قادر علىٰ من يطيعه إذا أمره أن يحج عنه بأجرة، أو بغير أجرة.

ثم ذكر أدلة الشافعية في المسألة علىٰ أوجه مختلفة ناسبًا القول إلىٰ من قال به من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أصحاب المذاهب. ورویٰ عن مالك بن أنس -يرحمه الله- أنّه أوجب الحج على المطيق للمشي، وإن لم يكن له زاد وراحلة، ثم ذكر القائلين بذلك من أهل العلم.

ثم فصّل في المعضوب وقسّمه إلىٰ مريض لا يرجىٰ برؤه، ولكنه يقدر علىٰ مال يستأجر به، فهٰذا يلزمه الحج، ثم ذكر القائلين به من أصحاب المذاهب، ثم قلّب المسألة علىٰ أوجه مختلفة ذاكرًا أوجه

الخلاف مع الدليل لكلٍّ، وأخيرًا يذكر وجهًا من وجوه المسألة، وهو من يرجىٰ زوال مرضه فهٰذا لا يحج عنه وعكسه المعضوب، وأجاز أبو حنيفة أن يحج عنه وعليه فيسقط عنه فرض الحج، قال: والله أعلم بالصواب. ٱنتهىٰ.

- وأحيانًا يذكر الثعلبي الأقوال في المسألة، ويذكر أدلة كل قول، لكنَّه لا ينسب هٰذِه الأقوال لأصحابها بل يوردها هكذا علىٰ سبيل الإجمال.

مثال ذلك: مسألة قراءة سورة الفاتحة في الصلاة. حيث قال بالقول في وجوب قراءة هٰذِه السورة في الصلاة، وروىٰ عدة أحاديث في وجوب قراءتها.

وبعد أن ساق هٰذِه الأدلة قال: واحتج من أجاز الصلاة بغيرها.. وذكر أدلتهم في ذلك. وأجاب عن هٰذِه الأدلة، وبين أنَّه لا وجه لاستدلالهم بها.

وبما أنَّ الثعلبي شافعي المذهب لذلك نراه يبين القول الجديد في المذهب، والقول القديم، ويوجِّه كلَّ قول، ويذكر أدلته، كما تقدم في المثال قبل السابق.

ويذهب إلىٰ أبعد من ذلك حيث يذكر الٱختيارات في المذهب. كما فعل عند مسألة: مقدار ما يحل للمضطر أكله من الميتة، حيث حكىٰ أقوال العلماء في ذلك، وقال ضمن ذلك: فقال بعضهم: مقدار ما يمسك به رمَقَه. وهو أحد قولي الشافعي، واختيار المزني.

ويذكر الثعلبي في تفسيره بعض مسائل أصول الفقه:

مثال ذلك: عند مسألة قراءة الفاتحة في الصلاة ذكر أن الذين أجازوا الصلاة بغير الفاتحة ٱستدلوا بحديث المسيء صلاته حيث قال له الرسول ﷺ: «**إذا قمتَ إلى الصلاة فكبِّر، ثم ٱقرأ ما تيسَّر معك من القرآن، ثم ٱركع**» الحديث.

قال الثعلبي رادًّا عليهم ٱستدلالهم علىٰ ما ذهبوا إليه: وهٰذِه اللفظة (أي قوله عليه الصلاة والسلام: «**ثم ٱقرأ ما تيسَّر معك من القرآن**») يحتمل أنَّه أراد كل ما يقع عليه ٱسم قرآن، ويحتمل أنَّه أراد سورةً بعينها، فلما ٱحتمل الوجهين نظرنا فوجدنا النبي ﷺ صلىٰ بفاتحة الكتاب، وأمر بها، وأبطل صلاة من تركها، فصار هٰذا الخبر مجملًا، والأخبار التي رويناها مفسَّرة، والمُجمل يحمل على المفسَّر...

وبعد: فعرض الثعلبي للمسائل الفقهية، وذكره الأقوال فيها، والأدلة، ثم ذكره أدلة المخالفين، وردوده عليهم، ونقده لأدلتهم، وتوجيهها، في كل ذلك تظهر لنا شخصية الثعلبي الفقهية، ومكانته المرموقة في هٰذا العلم.

سادسًا: اللغة العربية واعتماد الثعلبي عليها في تفسيره

أهمية اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم:

تعد اللغة العربية من أهم مصادر تفسير كتاب الله جلَّ وعلا وذلك لأن القرآن نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥] فلا يمكن تفسيره إلا بالاعتماد علىٰ لغة العرب.

وقد كان من بين المصادر التفسيرية عند الصحابة رضوان الله عليهم الاجتهاد وقوة الاستنباط، وكان من أهم أدوات ذلك الرجوع إلى اللغة العربية، ومعرفة أوضاعها وأسرارها ومصطلحاتها، ومعرفة أشعار العرب وعاداتهم في مخاطباتهم شعرًا ونثرًا، وكان الصحابة كثيرًا ما يستشهدون بأشعار العرب.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلىٰ ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك[1].

وكان من بعد الصحابة من التابعين وأتباعهم يؤكدون هٰذا المبدأ، وينبهون علىٰ خطورة التَّصدي لتفسير كلام الله عز وجل دون العلم بلغة العرب.

يقول الإمام مجاهد بن جبر رحمه الله وهو تلميذ ابن عباس: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلَّم في كتاب الله إذا لم

---

(١) «البرهان» للزركشي ١/ ٣٦٨. وكذا قول مجاهد ومالك.

يكن عالمًا بلغات العرب.

ويقول الإمام مالك رحمه الله: لا أُوتىٰ برجلٍ يفسِّر كتاب الله غير عالمٍ بالعربية إلا جعلته نكالًا.

- ٱهتمام الثعلبي وعنايته باللغة العربية في تفسيره:

لما كان للغة العربية ذلك الدور الأساس في تفسير القرآن العظيم، ٱهتم الثعلبي بهٰذا الجانب في تفسيره ٱهتمامًا كبيرًا.

ورغم أن «الكشف والبيان» للثعلبي يعد موسوعة في التفسير بالمأثور، إلا أنَّ ذلك لم يؤثِّر علىٰ تكامل الجانب اللغوي في هٰذا التفسير.

وهٰذا الاهتمام من الثعلبي بهٰذا الجانب مبنيٌّ علىٰ إدراكه لأهمية اللغة العربية في تفسير كتاب الله جلَّ شأنه.

ولا غرابة في ذلك، فالثعلبي رحمه الله كان بصيرًا بالعربية، عالمًا بوجوه الإعراب، ولذا فقد وصفه من ترجموا له بـ (الأديب)، وذكره المؤلفون ضمن تراجم اللغويين والأدباء، بل إنَّ الأسنوي قال عنه: كان إمامًا في علم النحو واللغة[1].

فليس بغريب بعد ذلك أن يعتمد الثعلبي في تفسيره ٱعتمادًا كبيرًا على اللغة العربية.

ولقد تجلىٰ هٰذا الاهتمام علىٰ سبيل الإجمال في الأمور الآتية:

(١) «طبقات الشافعية» ١/ ١٥٩.

١- أنَّ اللغة العربية من الأمور التي بنىٰ عليها الثعلبيُّ كتابه. فقد ذكر في مقدمة تفسيره ضمن هٰذِه الأمور: العربية واللغات، والإعراب والموازنات.

٢- أنَّه ذكر ضمن مصادره التي ذكرها في مقدمته جمعًا من كتب معاني القرآن، وغريب القرآن، لأئمة النحو واللغة، أمثال أبي عبيدة، وأبي عبيد، والأخفش، والفراء، والزجاج، والكسائي، وابن قتيبة، وقطرب، وغيرهم.

٣- حشده لكثير من النقول عن أئمة اللغة.

٤- ذكره لعدد كبير من المسائل النحويَّة، والبلاغيَّة، والشواهد الشعريَّة.

هٰذا فيما يتعلق بمنهجه إجمالًا في ٱعتماده على اللغة العربية ومسائلها، وعنايته بها.

أما منهجه تفصيلًا فيتمثل في الأمور الآتية:

١- عناية الثعلبي بنقل أقوال أئمة النحو واللغة والاستشهاد بها:

أودع الثعلبي رحمه الله في تفسيره عددًا كبيرًا من أقوال أئمة اللغة، وعلماء العربية، أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائي، والمبرِّد، وثعلب، والفراء، والأخفش، وقطرب، وغيرهم. مصرِّحًا بنسبة هٰذِه النقول إليهم.

وهٰذِه الأقوال تارةً يرويها الثعلبي بإسناده، وتارةً ينقلها بلا إسناد.

فيقول مثلًا: سمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا سعيد محمد

ابن سعيد الفارسي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن القاسم الأنباري يقول: سمعتُ أحمد بن يحيىٰ ثعلبًا يقول: هو- أي: التفسير- من قول العرب: فسرت الفرس، إذا ركضتَها محصورةً لينطلق حصرها.

وأما النقل عن علماء اللغة بلا إسناد فكثير، ومنه:

عند قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ في الفرق بين (مالكِ) و(ملِك)، قال: وفرَّق الآخرون بينهما: فقال أبو عبيدة والأصمعي وأبو حاتم والأخفش وأبو الهيثم: مالك أوسع وأمدح...

وعند قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ عند الكلام عن إيَّا، قال: وحكى الخليل عن العرب: إذا بلغ الرجل الستين، فإياه وإيا الشواب.

وعند قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة: ٧٠] قال: قال قطرب: يقال لجمع البقرة: بقر وباقر وبيقور وباقور. ثم قال: وقال المبرّد: سُئل سيبويه عن هٰذِه الآية فقال: كلُّ جمعٍ حروفه أقل من حروف واحده، فإنَّ العرب تذكِّره.

٢- ذِكْرُ المسائل والقواعد النحويَّة:

من الدلائل الواضحة على ٱهتمام الثعلبي باللغة العربية عمومًا وبعلم النحو علىٰ وجه الخصوص إيراده لقواعد النحو في تفسيره عند مناسبة ذلك، والوقوف على المسائل النحويَّة وبسطها، والاستدلال بها في تفسيره ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

عند قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يذكر الثعلبي قاعدة مهمة من قواعد النحو في باب النعت، فيقول: (غير) صفة لـ «الذين» و«الذين» معرفة، وغير نكرة، ولا توصف المعارف بالنكرات، ولا النكرات بالمعارف.

وعند قوله جلَّ وعلا: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٣٣] عقد الثعلبي مسألة نحوية بعنوان: القول في حدِّ الاسم وأقسامه. فعرَّف الاسم، ثم قسَّمه إلىٰ ثمانية أقسام، ممثِّلًا لكل قسم.

وعند قوله تعالىٰ: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]. ذكر في «لعل» ست لغات. ثم ذكر أنها من الله واجبة. ومن الناس لها ستة معانٍ، فذكرها ممثِّلًا لكل معنًى، ومستشهدًا له.

عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٤] قال: ﴿مِن قَبْلُ﴾: رفع على الغاية ...، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ هاد لمن تبعه، ولم يثنه لأنه مصدر، وهو في النصب على الحال والقطع.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤] قال: محل (أن) الرفع علىٰ إضمار هي، وقال الزجاج: محله رفع بالابتداء، وقيل: محل نصب بنزع حرف الصفة معناه: بأن لا نعبد إلّا الله، وقيل: محله خفض بدلًا من الكلمة، أي: تعالوا إلىٰ أن لا نعبد إلّا الله.

عند قوله تعالىٰ: ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ قال: وهي نصب على الحال. ومثلها عند قوله تعالىٰ: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾.

٣- ذِكْرُ ٱختلاف النُّحاة في بعض المسائل النَّحويَّة:

لم يكتف الثعلبي من النحو في تفسيره بالإعراب، وذكر المسائل النحوية، بل إنَّه تعمَّق في هٰذا العلم إلىٰ درجة أنَّه أصبح يحكي لنا في تفسيره الخلاف بين علماء النحو، حيث نجد في عدة مواضع في تفسيره عرضًا للخلاف في بعض مسائل النحويين الكوفيين والبصريين[١].

والثعلبي رحمه الله لم يلتزم مدرسةً بعينها، وإنما ينقل من كل مدرسة ما يراه صوابًا ويحتاج إليه في موضعه. ولذلك نجده في تفسيره ينقل عن علماء المدرستين جميعًا.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

- عند قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] حكى ٱختلاف النحاة في وزن صيِّب، فقال: واختلف النحاة في وزنه من الفعل: فقال البصريون: هو علىٰ وزن (فَيعِل) بكسر العين، ولا يوجد هٰذا المثال إلا في المعتل، نحو سيِّد، وميِّت، وليِّن، وهيِّن، وضيِّق، وطيِّب. وأصله (صَيْوب) فجُعلت الواو ياءً، وأدغمت إحدى اليائين في الأخرىٰ. وقال الكوفيون: هو وأمثاله علىٰ وزن

---

(١) هاتان المدرستان مدرسة البصرة و مدرسة الكوفة هما أشهر مدارس النحو. ولكلٍ من المدرستين قواعد وأصول تخالف المدرسة الأخرىٰ، كما أنَّ لكل واحدة منهما علماء عُرفوا بذلك، فمن أشهر رجال مدرسة البصرة: الخليل بن أحمد، وسيبويه، وقطرب، والمبرد، والزجاج، وأبو علي الفارسي وغيرهم. ومن أشهر علماء مدرسة الكوفة: الفراء، والكسائي، وثعلب، وأبو بكر بن الأنباري. انظر: «تاريخ النحو» لسعيد الأفغاني (ص٦٤).

(فَعْيِل) وأصله (صَيْيِب) فاستثقلت الكسرة على الياء، فسكنت وأدغمت إحداهما في الأخرىٰ، وحركت إلى الكسرة.

- في قوله تعالىٰ: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال: وهي نصب على القطع في قول الكسائي، وعلى المصدر في قول سيبويه، أي فرض الله هٰذِه الأشياء فريضة.

ومما يميز منهج الثعلبي في هٰذا الجانب مما لا ينبغي إغفاله ٱستخدامه للمصطلحات الكوفيه القديمة في الإعراب مما لم يعد شائعًا في كتب المتأخرين، فمن تعبيراته في ذلك: مصطلح (الصفة) وهو ما يقابل حروف الجر عند البصريين، حيث قال مبينًا وجه رفع ﴿بَرَآءَةٌ﴾ وقيل: رفع بخبر حرف الصفة على التقديم والتأخير...

كما ٱستعمل مصطلح (الصرف) الذي هو النصب علىٰ إضمار (أن)، حيث قال في توجيه قراءة الأعرج وعيسىٰ وابن أبي إسحاق (ويتوبَ الله) بالنصب على الصرف.

وكذا ٱستعماله لمصطلح (الكناية) و(القطع) و(الإجراء) علىٰ ما هو مبيَّن في مواضعه إن شاء الله.

٤- العناية بإعراب القرآن الكريم:

لإعراب القرآن الكريم أهمية عظمىٰ، فبِهِ يُعرَف المعنىٰ، لأنَّ الإعراب يميِّز المعاني ويوقف علىٰ أغراض المتكلمين[1].

---

(١) ٱنظر: «الإتقان للسيوطي» ٢/ ٥٢٨.وقد أُلفت في هٰذا العلم عدة مؤلفات، منها:

ولذا فقد أولى الثعلبي هٰذا العلم عناية فائقة، وتطرَّق في مواضع كثيرةٍ جدًا إلىٰ إعراب الآيات.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

عند قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] يذكر الثعلبي قاعدةً في الإعراب فيقول: (غير) نصبٌ على الحال وقيل: على الٱستثناء. وإذا رأيتَ غير تصلح في موضعها لا فهي حال، وإذا صلح في موضعها إلا فهي ٱستثناء. فقِسْ علىٰ هٰذا ما ورد عليك من هٰذا الباب.

ويقول عند قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: و(إيَّا) كلمة ضمير مكنية، لا يكون إلا في موضع النصب. والكاف: في محل الخفض بإضافة (إيَّا) إليها، وخُصَّ بالإضافة إلى المضمر، ولا يضاف إلى الٱسم المظهر إلا شاذًا.

ويقول في إعراب ﴿الٓمٓ﴾ أول سورة البقرة:

وأما محل (ألم) من الإعراب، فرفع بالابتداء، وخبره فيما بعده. وقيل: (ألم) ٱبتداء، و(ذلك) ٱبتداء آخر، و(الكتاب) خبره، وجملة الكلام خبر الٱبتداء الأول.

٥- العناية بالجوانب البلاغيَّة:

«إعراب القرآن» للنحاس، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج، و«إملاء ما من به الرحمن»، و«التبيان» كلاهما للعكبري، وغيرها. كما أنَّ كتب معاني القرآن ونحوها تعتني بإعراب القرآن، أمثال: «معاني الفراء»، والأخفش وغيرهما.

يُعتبر علم البلاغة بأنواعه الثلاثة: البيان، والمعاني، والبديع، من العلوم التي لا غنًى للمفسِّر عنها، إذ به يتجلىٰ بيان القرآن وفصاحته. ولذا يقول الزركشي عنه: وهٰذا العلم من أعظم أركان المفسِّر، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، من الحقيقة والمجاز، وتأليف النظم، وأن يؤاخي بين الموارد، ويعتمد ما سيق له من الكلام حتىٰ لا يتنافر، وغير ذلك ثم يقول: واعلم أنَّ معرفة هٰذِه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير، المطَّلع علىٰ عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة، وواسطة عقد البلاغة، ولو لم يحبِّب الفصاحة إلا قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[1] لكفىٰ[2].

وتفسير «الكشف والبيان» حوىٰ مجموعةً من الأساليب والصور البلاغية الجميلة التي اْزدان بها الكتاب، فقد كان الإمام الثعلبي حريصًا علىٰ إظهار إعجاز القرآن بما حواه من فصاحة في الأسلوب، وبلاغة في التركيب، وكان هٰذا المنهج واضحًا في تناوله لمفردات الآيات وتركيبها. ولذلك كان من ضمن مصادر كتابه التي ذكرها كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة الذي يعده عدد من العلماء أول من ألَّف في علم البيان. كما اْعتمد ضمن مصادره كتاب «نظم القرآن» لأبي علي الجرجاني، ولذا اْعتنىٰ في تفسيره بنظم القرآن في

(١) سورة الرحمن: (١ - ٤).

(٢) «البرهان في علوم القرآن» ١/ ٣٨٧، ٣٨٨.

عدد من الآيات. كما أفاد من كتبٍ أخرىٰ في هٰذا الباب.

ومن الأمثلة في هٰذا الجانب:

عند قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ ذكر الثعلبي أحد أنواع علم المعاني ويسمِّيه علماء البلاغة بـ«الالتفات»، حيث قال عقب الآية: رجع من الخبر إلى الخطاب على التلوين[1].

- وعند قوله تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ﴾ [البقرة: ١٧١]: ذكر الثعلبي في تفسيره لهٰذِه الآية جانبين بلاغييَّن هما:

أ- **حذف المضاف**: وهو ما يسميه علماء البلاغة «مجازًا عقليًّا». حيث قال: ٱختلف أهل المعاني في وجه هٰذا القول وتقدير الآية، فقال بعضهم: معنى الآية: ومثلك يا محمد، ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلىٰ الله ﷻ. قاله الأخفش والزجاج. وقال الباقون: مثل واعظ الذين كفروا وداعيهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾ فترك ذلك وأضاف المثل إلى الذين كفروا لدلالة الكلام عليه. ويُسمَّىٰ هٰذا النوع من الخطاب: المضمر، ومثله في القرآن كثير، كقوله: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾. ثم ٱستشهد علىٰ ذلك بالشعر.

ب- **التشبيه**: ثم قال الثعلبي: فشبَّه الله تعالىٰ واعظ الكفار بالداعي الذي ينعق بالغنم، أي: يصيح ويصوِّت لها. يقال: نَعَق ينعق نعيقًا

---

(١) ٱنظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٢٣.

ونُعَاقًا ونَعْقًا: إذا صاح وزجر.

- وعند قوله تعالىٰ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٩، ٢٠].

قال الثعلبي: القول في معنى الآيتين ونظمهما وحكمهما، وبالله التوفيق: قوله ﷻ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: كأصحاب صيِّب، كقوله تعالىٰ ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ شبههم الله تعالىٰ في كفرهم ونفاقهم وترددهم وتحيرهم بقومٍ كانوا في مفازة، في ليلة مظلمة، فأصابهم مطر فيه ﴿ظُلُمَٰتٍ﴾، من صفتها أنَّ الساري لا يمكنه المشي من ظلمته، فذلك قوله: ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ و ﴿وَرَعْدٌ﴾ من صفته أن يُصِمَّ السامعون آذانهم من الهول والفرق، مخافة الموت والصعق، وذلك قوله ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ ﴿وَبَرْقٌ﴾ من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم، ويذهب بضوئها ويعميها، من كثرته وشدة توقده، وذلك قوله ﷻ: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ وهٰذا مثل ضربه الله ﷻ للقرآن وصُنع المنافقين والكافرين معه، فالمطر هو القرآن لأنه حياة الجنان، كما أن المطر حياة الأبدان ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ وهي ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والشك وبيان الفتن والمحن، ﴿وَرَعْدٌ﴾ وهو ما خوّفوا به من الوعيد، وذكر النار والزواجر والنواهي، ﴿وَبَرْقٌ﴾ وهو ما في القرآن من الشفاء والهدىٰ والبيان والنور والوعد وذكر الجنّة. فكما أن

أصحاب الرعد والبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم حذر الموت، كذلك المنافقون واليهود والكافرون يسدُّون آذانهم عند قراءة القرآن، ولا يُصغون إليه مخافة ميل القلب إلى القرآن، فيؤدي ذلك إلىٰ الإيمان بمحمد، لأن الإيمان بمحمد ﷺ عندهم كفر، والكفر موت.

- ومن تنوع أسلوب الخطاب القرآني وانتقاله من أسلوب إلىٰ آخر أيضًا: قوله في قول الله تعالىٰ: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: رجع من الخبر إلى الخطاب.

وقال في قول الله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾: علىٰ وجه التعجب ومعناه جحد؛ أي لا يكون لهم عهد.

ويقول في قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: ظاهر الآية أمر، ومعناه خبر وجزاء. ونحو ذلك.

٦- بيان أصل الكلمة واشتقاقها اللغوي:

اعتنى الثعلبي في تفسيره عنايةً فائقة ببيان أصل الكلمة الواردة في الآية، واشتقاقها اللغوي، والاستشهاد علىٰ ذلك بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، وشعر العرب.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

- عقد الثعلبي في مقدمة كتابه بابًا في معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما. وبين في هٰذا الباب أصل كلمة «تفسير» و «تأويل» حيث روىٰ بسنده عن ابن دريد أنَّه قال: أصله من «التَّفْسِرة» وهي

الدليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء.

ثم روىٰ بسنده أيضًا عن ابن الأنباري، عن ثعلب أنه قال: هو من قول العرب: فسرت الفرس، إذا ركضتها محصورةً لينطلق حصرها.

ثم روىٰ بسنده أيضًا عن أبي حامد الخارْزَنجي قوله: هو مقلوب من (سَفَر) مثل جذب وجبذ، وضبَّ وبضَّ.

ثم بين أصل كلمة «تأويل» فقال: وأصله من (الأوْل) وهو الرجوع. تقول العرب: آل الملك إلىٰ فلان، يؤول أوْلًا ومآلًا، أي: عاد إليه. وإِلْتُ وإبْتُ بمعنًى واحد. والعرب تقول: أُلْته فآل، أي: صرفته فانصرف. قال الشاعر:

فألنا بخيرٍ في رخاءٍ ونعمةٍ
وآل بنو مروان شرَّ مآلِ

وللأعشىٰ:

وأؤوِّل الأمر علىٰ وجهه
ليس قضائي بالهوى الجائرِ

ثم روىٰ بإسناده عن النضر بن شميل أنه قال: أصله من (الإيالة) وهي السياسة. تقول العرب: قد إلنا وإيل علينا، أي: سسنا وساسنا غيرنا، فكأنَّ المتأوِّل للكلام سايسه والقادر عليه وواضعه موضعه.

- وقال في أصل كلمة «الكُفْر» عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦] قال: والكفر: هو الجحود والإنكار، وأصله من (الكَفْر) وهو التغطية والستر، ومنه

قيل للحراث: كافر، لأنه يستر البذر في الأرض. قال الله تعالىٰ: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ يعني الزراع، وقيل: للبحر: كافر. ولليل: كافر. وقال لبيد:

حتىٰ إذا ألقَتْ يدًا في كافرٍ
وأجَنَّ عوراتِ الثغورِ ظلامُها

وقال أيضًا:

في ليلةٍ كفرَ النجومَ غمامُها

ومنه المتكفّر بالسلاح، وهو الشاك الذي غطى السلاح جميع بدنه. فسُمِّي الكافر كافرًا، لأنه ساتر للحق ولتوحيد الله ﷻ ونعمه، ولنبوة أنبيائه.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [آل عمران: ١١] يذكر ٱختلاف أهل العلم في معنى الدأب، وينقل أكثر من ستة عشر قولًا عنهم، ثم يذكر أصل الكلمة في لغة العرب فقال: وهٰذا أصل الحرف يقال: دأبت في الأمر أدأب دأبًا، إذا أدمت العمل، وبقيت فيه، وأدأب السير إدآبًا، ثم نقل معناه إلى الشأن، والحال والعادة، واستشهد علىٰ ذلك بقول زهير بن أبي سلمى الشاعر.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤] نجده يذكر عن أكثر من أحد عشر عالمًا الٱختلاف في معنى المسومة، ومن ذلك قول الحسن قال: هي المسرحة، يقال: سامت الخيل تسوم سومًا فهي سائمة وأسمتها أنا إسامة فهي مسامة وسوّمتها تسويمًا،

فهي: مسومة ثم دلّل علىٰ ما ذهب إليه من أشعار العرب، وختم بقوله: وكلها متقاربة.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [آل عمران: ٤٩] قال: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ أي: أشفيهما وأصححهما، يقال: أبرأ الله المريض يبرئ إبراء فبرئ هو يبرأ، وبرئ يبرأ، ويجوز: بروء، فيهما جميعًا، ثم ذكر الاختلاف في الأكمه فذكر عن عكرمة أنه الأعمش وعن مجاهد وغيره: هو الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أنه الذي ولد أعمىٰ ولم يبصر ضوء قط وعن الحسن والسدي: هو الأعمىٰ، ثم قال: وهٰذا هو المعروف من كلام العرب يقال: كمهت عينه تكمه كمهًا وكمهتها أنا، إذا أعميتها ثم دلّل علىٰ ذلك ببيتين من أشعار العرب لسويد بن أبي كاهل ورؤبة.

- وعند قول الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ..﴾ قال: أصل الكنز في كلام العرب: كل شيء مجموع بعضه إلىٰ بعض علىٰ ظهر الأرض كان أو في بطنها... ثم ذكر شواهده من الشعر.

- ومن ذلك أيضًا قوله: وأصل الخلال من الخلل وهو الفرجة بين الشيئين). وقوله في قوله تعالىٰ: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ (وأصله من غني بالمكان إذا أقام به. ونحو ذلك.

٧- العناية بتصريف الأفعال وبيان أوزانها:

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١] قال في تصريف (قيل): (قيل): فعل ماضٍ مجهول، وكان في الأصل (قُولَ) مثل (فُعِل) فاستثقلت الكسرة على الواو، فنُقلت كسرتها إلىٰ فاء الفعل، فانقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها.

وعند قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

قال عند قوله (خطوات): وكلُّ ما كان من الأسماء علىٰ وزن (فُعْلة) فجُمع على التاء، فإنَّ الأغلب والأكثر في جمعه التثقيل وتحريك عين الفعل بالحركة التي علىٰ فاء الفعل في الواحد. مثل: ظُلْمة وظُلُمات، وقُرْبة وقُرُبات، وحُجْرة وحُجُرات، وقد يُخفَّف أيضًا.

٨- الشواهد الشعريَّة والعناية الفائقة من الثعلبي بها:

للشعر أهمية كبرىٰ في معرفة الألفاظ العربية، وأصولها، ودلالاتها، ومعانيها. ولذا فقد ٱهتم به العلماء منذ عصر الصحابة والتابعين.

فقد روىٰ عكرمة عن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنَّ الشعر ديوان العرب[١].

وروىٰ أبو عبيد بإسناده عن ابن عباس: أنَّه كان يُسأل عن القرآن فيُنشد فيه الشعر.

---

(١) «البرهان» ١/ ٣٦٨، «الإتقان» ١/ ٣٤٧.

قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير[١].

والثعلبي رحمه الله النحوي الأديب أكثَر من الاستشهاد بالشعر العربي في تفسيره، وكأنَّه كان يغترف من بحرٍ خضم، حتىٰ أضحىٰ تفسيره ديوانًا شعريًا يرجع إليه المفسرون والباحثون عن معاني ألفاظ القرآن الكريم، وغيرهم. بل إنه أصبح مرجعًا لتوثيق بعض الأبيات الشعرية، كما فعل السيوطي في كتابه «شرح شواهد المغني»[٢].

طريقة الثعلبي في إيراد الأبيات الشعرية:

يتنوع أسلوب الثعلبي في ذكره لأبيات الشعر في تفسيره. ويمكن تحديد هٰذا الأسلوب في النقاط الآتية:

١- يذكر البيت منسوبًا إلىٰ قائله، مصرِّحًا باسم الشاعر.

ومن أمثلته:

أنشدنا أبو القاسم الحبيبي، قال: أنشدنا أبو الحسن العقيلي، قال: أنشدنا بشر بن موسى الأسدي، قال: أنشدنا الأصمعي لجعفر الصادق رضي الله عنه:

أثامن بالنفس النفيسة ربها
فليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها نشتري الجنات إن أنا بعتها
بشيء سواها إن ذلكم غبن

---

(١) «فضائل القرآن» (ص٢٠٥).

(٢) ٢/ ٨٣٩.

إذا ذهبت نفسي بدنيا أصبتها
فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن

- وأنشدنا أبو القاسم الحبيبي، قال: أنشدنا القاضي أبو الربيع محمد بن علي، قال: أنشدنا أبو علي الحسن بن علي بن عاصم الكوفي:

من يشتري قبة في العدن عالية
دلّالُها المصطفىٰ والله بائعها
في ظل طوبىٰ رفيعات مبانيها
ممن أراد وجبريل مناديها

٢- يذكر البيت دون التصريح بنسبته إلىٰ قائله. بل يكتفي بقوله: قال الشاعر، أو كقول القائل، ونحو ذلك.

٣- ينسب البيت لمن نقله عنه، أو لمن أنشده، كالفراء، والأخفش، وأبي عبيدة، وغيرهم، ويكتفي بذلك عن نسبته لقائله.

٤- يروي بعض الأبيات بسنده إلىٰ قائله، أو منشده.

٥- يكرِّر البيت في أكثر من موضع، إذا كان يصلح للاحتجاج به في ذلك.

٦- يقتصر أحيانًا علىٰ ذكر شطر البيت الذي فيه الشاهد.

٧- يبيِّن الشاهد عقب إيراد البيت أحيانًا ويُغْفلُه أحيانًا خاصة إذا كان واضحًا.

الاستشهاد بالشعر علىٰ معاني الكلمة ودلالاتها:

مثال ذلك: عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

ذكر لكلمة الرب عددًا من المعاني، واستشهد علىٰ كل معنىٰ ببيت من الشعر. فقال: والرب يكون بمعنى السيد. قال الله تعالىٰ: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: سيدك. قال الأعشىٰ:

وأهلكن يومًا رب كندة وابنه
ورب معد بين خبت وعرعر

ويكون بمعنى المالك. قال النبي ﷺ لرجل: «أرَبُّ إبلٍ أنتَ أم ربُّ غنم؟». فقال: من كلٍّ قد آتاني الله فأكثر وأطيب.

وقال طرفة:

كقنطرةِ الرُّومي أقسمَ ربُّها
لتُكتَنَفَنْ حتىٰ تُشادَ بِقَرْمدِ

وقال النابغة:

فإنْ تكُ ربَّ أذْوادٍ بحِزْوىٰ
أصابُوا من لِقاحِكَ ما أصَابُوا

ويكون بمعنى الصاحب. قال أبو ذُؤيب:

قد نالَهُ ربُّ الكِلابِ بِكَفِّهِ
بيضٌ رهَابٌ ريشُهُنَّ مُقَزَّعُ

ويكون بمعنى المربِّي. تقول العرب: ربَّ يربُّ ربابةً وربوبًا فهو ربٌّ، مثل: بَرَّ وطَبَّ. قال الشاعر:

يَرُبُّ الذي يأتي من الخير أنَّهُ
إذا فعَلَ المعروفَ زادَ وتمّما

وقد يكون بمعنى المصلح للشيء. قال الشاعر:

كانوا كسالئةٍ حمقاءَ إذْ حقَنتْ
سِلاءَها في أديمٍ غيْرِ مرْبوبِ

أي: غير مصلح.

وهكذا نجد أن الثعلبي قد ٱستشهد بستة أبيات في موضع واحد، مما يدل علىٰ كثرة ٱستشهاده بالشعر في تفسيره.

الاستشهاد بالشعر علىٰ أصل الكلمة:

ومن أمثلته:

- عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

بين المصنف أن أصل اللعن الطرد. واستشهد عليه. فقال: أصل اللعن في اللغة: الطَّرد. ولعن الله ﷻ إبليس: طرده إياه حين قال: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾. قال الشَّمَّاخ وذكر ماءً ورده:

ذعرتُ به القَطَا ونفَيتُ عنهُ
مقامَ الذئبِ كالرَّجلِ اللعينِ

وقال النابغة:

فبتُّ كأنَّني حَرِجٌ لعينٌ
نفَاهُ النَّاسُ أو دَنِفٌ طَعِينُ

فمعنىٰ قولنا: لعنه الله، أي: طرده وأبعده، وأصل اللعنة: ما ذكرنا، ثم كثر ذلك حتىٰ صار قولًا.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]

قال: ﴿وَٱلْإِنجِيلَ﴾: إفعيل من النجل، وهو الخروج، ومنه سمي الولد نجلًا لخروجه قال الأعشىٰ:

أنــجـــب أزمـــان والـــداه بـــه
إذ نــجـــلاه فــنــعــم مــا نــجـــلا

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] قال: ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ أي: مكانًا بعيدًا، والأمد: الأجل والغاية التي ينتهىٰ إليها، قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾، وقال ﷻ: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾.

وقال النابغة:

إلا لــمــثــلــك أو مــن أنــت ســابــقــه
سبـق الجـواد إذا ٱستـولىٰ علـى الأمـد

الاستشهاد بالشعر علىٰ قول في تفسير الآية:

مثاله: عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]. قال: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾: فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به. وإنَّما وحَّده لأنه مصدر، والمصادر لا تُثنَّىٰ ولا تجمع. وقيل: أراد سمع كل واحد منهم. كما يقال: أتاني برأس كبشين، أراد برأس كل منهما. قال الشاعر:

كُـلـوا فـي بـعـض بـطـنِـكُـمُ تَـعِـيـشـوا
فــإنَّ زمـــانـــكـــم زمـــنٌ خـــمـــيـــصُ

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] قال: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ أي: سامعه، وقيل: مجيبه، كقوله تعالىٰ:

﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾ أي: فأجيبون ...، وأنشد:

دعـــوت الله حـــتـــىٰ خـــفـــت ألّا
يـــكـــون الله يـــســـمـــع مـــا أقـــول

أي: يجيب.

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾ [آل عمران: ٦١] قال الكسائي وأبو عبيدة: نلتعن فنقول: لعن الله الكاذبين منا يقال: بهله الله وبهلته أي: لعنته قال لبيد:

مـــن قـــرون ســـادة فـــي قـــومـــهـــم
نـــظـــر الـــدهـــر إلـــيـــهـــم فـــابـــتـــهـــل

الاستشهاد بالشعر علىٰ بعض المسائل النحويَّة :

مثاله: عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٤]. نقل عن النضر بن شميل أنَّ (إلىٰ) هنا بمعنىٰ مع واستشهد علىٰ ذلك ببعض الآيات القرآنية ثم ٱستشهد ببيتين من الشعر، فقال: قال النابغة:

فـلا تَـتْـركـنِّـي بـالـوعـيـدِ كـأنَّـنـي
إلـى الـنـاس مـطـليٌّ بـه الـقـارُ أجـربُ

أي: مع الناس. وقال آخر:

وَلـــوح ذراعـــيـــن فـــي بَـــرْكـــه
إلـــىٰ جُـــؤجُـــؤٍ رَهِـــلِ الـــمـــنـــكـــبِ

أي: مع جؤجؤ.

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ [آل عمران: ٤] قال: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ رفع على الغاية، كقوله تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾

قال زهير:

ومـا يـك مـن خـيـر أتـوه فـإنـمـا

تـوارثـه آبـاء آبـائـهـم قـبـل

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠] قال: وفي رفعه وجهان: أحدهما: أنه أراد الجزم، وأصله يضرركم، فَأُدغمت الراء في الراء، ونقلت ضمة الراء الأولىٰ إلى الضاد.

والوجه الثاني: أن تكون (لا) بمعنىٰ: ليس، وتضمر الفاء فيه، تقديره: وإن تصبروا فليس يضركم قال الفراء، وأنشد:

فـإن كـان لا يـرضـيـك حـتـىٰ تـردّنـي

إلـىٰ قـطـريّ لا إخـالـك راضـيـا

الاستشهاد بالشعر علىٰ بعض القراءات:

مثاله: عند قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. قال: وقرأ محمد بن السُميفع: (نِدًّا) على الواحد، كقول جرير:

أتـيْـمًـا تـجـعـلـون إلـيَّ نِـدًّا

ومـا تـيـم لِـذِي حـسـبٍ نـديـدُ

- عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠] قال: وقرأ الحسن: (لن تغني) بالتاء وسكون الياء الأخيرة إيثارًا للتخفيف كقول الشاعر:

كـفـىٰ بـالـيـأس مـن أسـمـاء كـاف

وليس لسقمها إذ طال شاف

وكان حقه أن يقول: كافيًا، فأرسل الياء.

وأنشد الفراء:

كأن أيديهن بالقاع القرق

أيدي جوار يتعاطين الورق

- وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ [آل عمران: ٢٠] قال: وأثبت بعضهم الياء في قوله: (اتبعني) على الأصل، وحذفه الآخرون لأنها في المصحف بغير ياء، قال الشاعر:

كفّاك كف ما تليق درهما

جودًا وأخرىٰ تعط بالسيف دما

وقال آخر:

ليس تخفىٰ يسارتي في قدر يوم

ولقد تخفي شيمتي إعساري

الاستشهاد علىٰ بعض النكات والفوائد في تفسير الآية:

مثاله: عند قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ قال: وإنَّما كرَّر إياك ليكون أدل على الإخلاص والاختصاص والتأكيد، كقول الله ﷻ حكايةً عن موسىٰ ؈: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤﴾ ولم يقل: كي نسبِّحك ونذكرك كثيرًا.

قال الشاعر:

وجاعل الشَّمس مِصرًا لا خَفَاءَ بهِ

بين النَّهار وبين الليل قد فصلا

ولم يقل: بين النهار والليل. وقال آخر:

بيـن الأشـجِّ وبيـن قيـسٍ بـاذِخٌ
بـخْ بـخْ لـوالـدِهِ ولـلـمـولـودِ

٩- نقله لكلام العرب:

كما نقل الثعلبي كلام العرب شعرًا، فإنه نقله نثرًا، وإن كان ما نقله نثرًا أقل بكثير مما نقله شعرًا.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَفُومِهَا﴾ [البقرة: ٦١]: قال: والعرب تُعاقب بين الفاء والثاء، فتقول لصمغ العرفط: مغاثير ومغافير، وللقبر: جدث وجدف.

١٠- نقله لأمثال العرب:

مثاله: عند قوله تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦]: قال: قال أهل المعاني: الإنذار الإعلام مع تحذير. يُقال: أنذرتهم فنذروا، أي: أعلمتهم فعلموا. وفي المثل: قد أعذر من أنذر.

وقال عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]: ويقال في المثل: من عزَّ بزَّ. أي: من غلب سلب.

سابعًا: الجانب التاريخي

اهتم الثعلبي رحمه الله بالأخبار والسير، وظهرت عنايته بها في ثنايا تفسيره، فهو لا يدع فرصة للحديث عن الأخبار والسير إلا ويقتنصها، بل ويطيل في ذلك أحيانًا حتىٰ يكاد يخرج عن مقصود التفسير، كما في ذكر الغزوات التي كانت علىٰ عهد النبي ﷺ كلما تكلَّم علىٰ آية لها تعلّق بهٰذا الفن.

فعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨] نجده يروي بسنده قصة هجرة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه إلى الحبشة، ويروي بتفصيل الحوار الذي دار بين الوفد القرشيّ ونجاشيّ الحبشة إضافة إلى مهاجرة الحبشة.

وعند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] نجده يستطرد في ذكر الخلاف بين الأوس والخزرج ثم إسلام إياس بن معاذ ثم يذكر بيعة العقبة الأولىٰ ومن شهدها وعودتهم إلى المدينة ومعهم: مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويستمر في سرد الرواية والحوار الذي دار بين سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، ثم يروىٰ قصة بيعة العقبة في موسم الحج ومبايعتهم للنبي ﷺ.

ثم سرد بداية هجرة الصحابة إلى المدينة المنورة إلىٰ نهاية القصة.

وعند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، يذكر ما ورد في قصة أحد، ثم يذكر مغازي رسول الله ﷺ: يذكر عددها وأسماءها ونتفًا من سيرها، ثم يذكر سرايا رسول الله

ﷺ: يذكر عددها وأسماءها ونتفًا من سيرها.

كما وقع له عند حديثه عن آية النسيء، فقد تكلم علىٰ معنى الآية وسبب نزولها، ثم عقد فصلًا لبيان (معنى النسيء وبدء أمره)، ثم أعقبه بفصل في (الاختلاف في أول من نسأ) ويسوق الروايات المختلفة في ذلك.

كما نراه يعرض عند قول الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله إِذْ أَخْرَجَهُ الذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ...﴾ [التوبة: ٤٠] لكثير من الروايات مسندة وغير مسندة في بيان بعض أحداث الهجرة.

وصنع نحو ذلك عند تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...﴾ [التوبة: ١٠٠] حيث ذكر ٱختلاف المفسرين في المراد بالسابقين، ثم ٱستطرد بذكر الٱختلاف في أول من آمن برسول الله ﷺ بعد ٱمرأته خديجة رضي الله عنها، هل هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه أم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأطال في ذلك إطالة حقّها كتاب في التراجم لا في التفسير، ثم ذكر السابقين من الأنصار وأنهم أهل بيعة العقبة الأولىٰ والثانية والذين آمنوا حين قدم عليهم مصعب رضي الله عنه، ثم شرع في ذكر بعض مناقب مصعب رضي الله عنه وأخباره.

ولم يلتزم رحمه الله في عرضه لمرويات السيرة طريقة معينة، بل كان في غالب صنيعه يلفق القصص من روايات عدة يسوقها مساقًا واحدًا، كما صرح بهٰذا المنهج في غير ما موضع، فقد قال في ذكره لأحداث غزوة حنين: وكانت قصة حنين علىٰ ما ذكره المفسرون

بروايات كثيرة لفقتها ونسقتها لتكون أقرب إلى الأفهام وأحسن للنظام أن رسول الله ﷺ ....

بل حتىٰ في الروايات التي يسوقها المؤلف بإسناده نجده يتصرف فيها بالتنسيق والتأليف، دون الاقتصار علىٰ سياقة من يروي من طريقه؛ كما فعل في حديث كعب بن مالك في خبر تخلفه وصاحبيه علىٰ ما هو مبين في موضعه من الجزء المحقق.

وقد عاب الحافظ ابن حجر على الثعلبي صنيعه هٰذا حيث قال بعد أن ذكر مثالًا لذلك: (وهٰذا من عيوب كتابه، ومن تبعه عليه يجمعون الأقوال عن الثقات وغيرهم، ويسوقون القصة مساقًا واحدًا علىٰ لفظ من يرمىٰ بالكذب، أو الضعف الشديد، ويكون أصل القصة صحيحًا، والنكارة في ألفاظ زائدة)[1].



(١) «العجاب في بيان الأسباب» ١/ ٦٥٤.

المبحث الرابع

أهمية الكتاب وقيمته العلميَّة

ويشتمل علىٰ أربعة مطالب:

المطلب الأول: ثناء العلماء على الكتاب.

المطلب الثاني: مميزات هٰذا التفسير.

المطلب الثالث: عناية العلماء به واستفادتهم منه.

المطلب الرابع: المآخذ علىٰ تفسير «الكشف والبيان» ومناقشتها.

أهمية الكتاب وقيمته العلميَّة

كتاب «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» للإمام الثعلبي، له أهميةٌ عظيمة، وقيمة كبيرة، فهو يتبوأ مكانًا رفعيًا، ومنزلة عالية بين كتب التفاسير.

وسنحاول في هٰذا المبحث أن نكشف عن أهمية «الكشف والبيان» ونجلِّي المكانة المرموقة لهٰذا السِّفر المبارك، من خلال ذكر أقوال العلماء في الثناء عليه، وتعداد مزاياه وخصائصه، وبيان أثره علىٰ من جاء بعده، ومدى ٱستفادتهم منه. والله المستعان، وعليه التُّكلان.

* المطلب الأول: ثناء العلماء علىٰ هٰذا التفسير

إنَّ ثناءَ العلماء علىٰ كتابٍ ما ومدحهم له، يُعدُّ دليلًا واضحًا ومعلمًا ظاهرًا علىٰ أهمية هٰذا الكتاب وقيمته العلمية؛ لأنَّ أولئك الأعلام لم يكونوا يجاملون في ثنائهم ومدحهم، ولم يكونوا يجاوزون الحدَّ في ذلك الثناء. فهم إذا أثنوا علىٰ شيء، إنما يثنون عليه، ويمدحونه مدح العارف به، فيكون ثناؤهم ومدحهم مؤشرًا قويًّا علىٰ قيمة ومكانة الممدوح.

ومن هٰذا القبيل الثناء الذي أثنىٰ به الإمام أبو الحسن الواحدي التلميذ المشهور للإمام الثعلبي، علىٰ تفسير «الكشف والبيان».

فقد لازم الواحدي شيخه، ودرس عليه تفسيره، وعكف علىٰ هٰذا التفسير، حتىٰ إذا عرف هٰذا التفسير حق المعرفة، أثنىٰ عليه ثناء العارف به فقال في معرض كلامه عن شيخه الثعلبي:

وله التفسير المُلقَّب بـ «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» الذي رُفعت به المطايا في السهل والأوعار، وسارت به الفلك في البحار، وهبت هبوب الريح في القطار:

وسَارَ مَسيرَ الشَّمسِ في كلِّ بلْدَةٍ
وهَبَّ هُبوبَ الرِّيح في البرِّ والبحرِ

وأصفقت عليه كافة الأمة على ٱختلاف نحلهم، وأقرُّوا له بالفضيلة في تصنيفه ما لم يسبق إلىٰ مثله[1].

---

(١) «البسيط» للواحدي ١/ ٤٢٤.

ويقول عبد الغافر الفارسي في «السياق لتاريخ نيسابور» - وهو بلديُّ المؤلف- عن الثعلبي:

صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، وكلمات أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات، ثم كتاب «العرائس» و«القصص»، وغير ذلك، مما لا يحتاج إلىٰ ذكره لشهرته[١].

ويقول أبو العباس بن خلِّكان عن الثعلبي: وصنَّف التفسير الكبير، الذي فاق غيره من التفاسير[٢].

وهكذا دلت العبارات السابقة علىٰ ما لهذا التفسير من مكانة عالية عند العلماء.

* المطلب الثاني: مميزات تفسير «الكشف والبيان»

تميز هٰذا التفسير بمزايا عظيمة، واتَّسم بسمات جليلة، جعلت العلماء يثنون عليه، ويستفيدون منه.

ومن أهم مزايا هٰذا التفسير ما يأتي[٣]:

١- **ٱعتماده علىٰ تفسير القرآن بالقرآن**، وذلك أحسن الطرق لتفسير كتاب الله تعالىٰ.

---

(١) «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» (١٩٧) «معجم الأدباء» ٥/ ٣٦.

(٢) «وفيات الأعيان» ١/ ١٠٠.

(٣) تقدمت هٰذِه المزايا بالتفصيل في المبحث السابق (منهج المؤلف في كتابه).

٢- **ٱعتماده علىٰ تفسير القرآن بالسنة المطهرة** علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وهي مبيِّنةٌ للقرآن وموضِّحةٌ له.

وقد حوىٰ هٰذا التفسير عددًا كبيرًا من أحاديث التفسير.

٣- **ٱحتواء هٰذا التفسير علىٰ جملة كبيرة من أقوال الصحابة** رضوان الله عليهم الذين هم أدرى الأمة بتفسير كتابها بعد رسول الله ﷺ والذين أخذوا التفسير من في رسول الله ﷺ.

٤- **ٱحتواء هٰذا التفسير علىٰ عددٍ وافر جدًّا من أقوال التابعين** رحمهم الله الذين تلقوا التفسير عن الصحابة ﷺ.

حيث روى الثعلبي تفاسير هٰؤلاء التابعين بإسناده إلىٰ أصحابها في مقدمة كتابه، وفي ثنايا تفسيره أيضًا.

٥- **ٱحتواؤه علىٰ أقوال أتباع التابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير.**

وهٰذا الكم الهائل من مأثور أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، يُعتبر من أبرز ما تميَّز به هٰذا التفسير عن غيره من التفاسير، حيث جمع فأوعىٰ، حتىٰ غدا موسوعة في مأثور التفسير، قلما تجد كل ما فيه من الأقوال عند غيره. ولذا أكثر ما ٱعتمد عليه من جاء بعده في هٰذا الباب.

٦- **ٱحتواء هٰذا التفسير علىٰ عدد كبير جدًّا من القراءات القرآنية،** التي قلَّما توجد بهٰذا الكم في تفسيرٍ آخر. حتى ٱعتمد عليه كثير من المفسِّرين الذين جاءوا بعده.

٧- ومن أعظم ما يميِّز تفسير «الكشف والبيان»: **أنه من كتب**

الرواية بالإسناد. حيث يروي مؤلفه الثعلبي المرويات بإسناده الخاص به عن شيوخه إلىٰ منتهاه. ولا يقتصر في روايته على الأحاديث، بل يروي أقوال الصحابة، وأقوال التابعين، ومَن بعدهم، حتىٰ إنه يروي أقوال بعض المفسرين، بل يروي أيضًا بإسناده بعض الشواهد الشعرية.

وهٰذِه ميزةٌ لم يشاركه فيها إلا قليلٌ من المفسرين، وأكثر هٰؤلاء لا تجد الرواية عنده بمثل سعتها في «الكشف والبيان».

٨- يعد «الكشف والبيان» مرجعًا مهمًا لمرويات أسباب النزول حيث ضم عددًا كبيرًا جدًّا من هٰذِه المرويات، مما جعل المؤلفين في هٰذا الفن يعتمدون عليه في ذلك. وأولهم تلميذه الواحدي، ومِن بعده الحافظ ابن حجر، وغيرهما.

٩- ٱحتواء هٰذا الكتاب علىٰ عدد كبير من علوم القرآن.

١٠- ٱعتماده على اللغة العربية في التفسير بكافة علومها، من نحو، وصرف، وبلاغةٍ، وأدب، وشعر. ونقل أقوال علماء اللغة، والمسائل اللغوية، وأكثر من الاْستشهاد بالشعر حتىٰ ضم عددًا كبيرًا من الشواهد الشعرية.

١١- عرضه للمسائل الفقهية، ونقله لمذاهب الفقهاء وأقوالهم، وأدلتهم.

١٢- ومن المزايا المهمة لهٰذا التفسير **حفظه لكثير من الكتب المفقودة، وإثبات نسبتها، وروايتها بالإسناد إلىٰ مؤلفيها.** حتىٰ أصبح هٰذا التفسير من مصادر توثيق هٰذِه الكتب.

١٣- **جمعه بين الرواية والدراية في التفسير**، وجمعه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

١٤- **حسن أسلوب المصنف وطريقته في تفسير الآية**، وعرضه المنظَّم لما يتعلق بتفسير الآية من مسائل، وأقوال، وقراءات، وغيرها.

١٥- **كثرة مصادر الكتاب، وأصالتها وتنوعها**، مما كان له أكبر الأثر في إثراء المادة العلمية للكتاب.

١٦- **تقدمه علىٰ كثير من كتب التفاسير، واعتماد كثير ممن جاء بعده عليه**، حيث ٱستفاد منه علماء عصره كالواحدي، وامتد أثره علىٰ غالب التفاسير التي جاءت بعده بقرون، مما يؤكد أصالة هٰذا الكتاب وتميُّزه.

* المطلب الثالث: عناية العلماء واهتمامهم به، واستفادتهم منه

لقد كان لتفسير «الكشف والبيان» مكانة عظيمة، ومنزلة كبيرة، وكان شأنه عظيمًا عند العلماء، ولذلك ٱعتنوا به عناية فائقة، واهتموا به أيما ٱهتمام.

فمنهم من رواه بإسناده إلى المؤلف، ومنهم من نقل منه، ومنهم من ٱختصره، ومنهم من وضع عليه حاشية، ومنهم من جمع بينه وبين غيره، ومنهم من نسخه، ومنهم من رحل لسماعه، بل إن منهم من حفظه.

وهٰذا يدل علىٰ أهمية هٰذا الكتاب، ويدل أيضًا علىٰ أنَّ هٰذا التفسير كان له أثر كبير علىٰ من جاء بعده، وقد تمثَّل هٰذا الأثر في

عناية العلماء به، واستفادتهم منه.

ولو لم يدرك هٰؤلاء العلماء مكانة هٰذا التفسير ومنزلته الرفيعة، لما كان هٰذا الاهتمام وتلك العناية التي تمثَّلت فيما يأتي:

١- روايته:

لقد روى العلماء تفسير «الكشف والبيان» بالإسناد المتصل إلىٰ مؤلفه أبي إسحاق الثعلبي.

ومن هٰؤلاء: تلميذه الواحدي، والبغوي، وابن خير الإشبيلي، وابن الأثير، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وغيرهم.

وقد سبق تفصيل ذلك عند إثبات نسبة الكتاب لمؤلفه.

وهٰذِه الرواية للتفسير تدل علىٰ عناية العلماء واهتمامهم به، وهٰذِه العناية وذلك الاهتمام نابعان من إدراك أهمية الكتاب، وعلو مكانته.

٢- اهتمام العلماء وعنايتهم به بالرواية عنه، والنقل والاقتباس منه:

لقد كان لهٰذا التفسير أثر عظيم علىٰ من جاء بعده، ذلك أنَّ قيمة تفسير «الكشف والبيان» العلمية، ومنزلته العليَّة، ومكانته الرفعية، وما حواه من معارف مختلفة، وعلوم متنوعة، إضافةً إلىٰ تقدم زمنه جعل هٰذا التفسير منهلًا عذبًا، وموردًا غنيًا، يردُه من جاء بعده من العلماء والمؤلفين، وينهلون من معينه.

تارةً عن طريق الرواية عن مؤلفه، وأحيانًا كثيرةً بالنقل والاقتباس منه، حتىٰ أصبح هٰذا التفسير مصدرًا رئيسًا لكثير من المؤلفات التي جاءت بعده.

ولم تكن الٱستفادة من هٰذا السِّفر المبارك قاصرة على المفسرين، بل ٱستفاد منه غيرهم من أصحاب العلوم الأخرىٰ، وهٰذا دليل علىٰ شمول هٰذا التفسير وكثرة علومه ومعارفه.

ولا يسعنا في هٰذا المقام أن نحصيَ كلَّ من نقل عن هٰذا التفسير، أو ٱقتبس أو ٱستفاد منه، إذ إنَّ هٰذا باب واسع جدًا، ولٰكن حسبنا أنْ نذكر أمثلة من ذلك مما تيسر الوقوف عليه:

فمن العلماء الذين نقلوا من تفسير «الكشف والبيان» واستفادوا منه:

أ- الإمام أبو الحسن الواحدي (ت ٤٦٨) تلميذ المؤلف:

اعتمد الواحدي علىٰ تفسير شيخه «الكشف والبيان» ٱعتمادًا كبيرًا، واستفاد منه في مصنَّفاته الثلاثة في التفسير «البسيط» و «الوسيط» و«الوجيز»[١]، وفي أسباب النزول.

وتتمثَّل هٰذِه الٱستفادة في جانبين:

- الرواية بالإسناد عن الثعلبي.

---

(١) أكبر هٰذِه التفاسير «البسيط» يليه «الوسيط» ثم «الوجيز» وذلك ظاهر من عناوينها، وهي متسلسلة في تأليفها علىٰ هٰذا النحو. و«البسيط» ركَّز فيه الواحدي على الجوانب اللغوية في التفسير، بينما توسط في هٰذا الجانب في «الوسيط» إلا أنه زاد في جانب الرواية. أما الوجيز فهو تفسير موجز جدًا، ليس فيه أسانيد، ولا توسع في مسائل اللغة، وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود بنشر «تفسير البسيط» الذي شكل خمس عشرة رسالة علمية نسقت بينها «دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث».

- النقل من تفسيره.

أما الرواية فنجد أنَّ الواحدي يروي عددًا كبيرًا من المرويات عن شيخه الثعلبي بسنده. وذلك في «البسيط» و «الوسيط» و «أسباب النزول»[١] وتشمل نقول الواحدي عن الثعلبي: أقوال السلف في التفسير، كأقوال ابن عباس رضي الله عنهما[٢]، ومجاهد[٣]، وقتادة[٤]، والحسن البصري[٥]، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، والضحاك، وأبي روق، ومقاتل، والكلبي، وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ.

ولم تقتصر نقول الواحدي عن شيخه علىٰ ما سبق من مرويات، بل كان ينقل عنه تفسيره للآيات، وقوله في ذلك، حتىٰ في المسائل اللغوية والنحوية.

وعلى الرغم من كثرة هٰذِه النقول، إلا أنَّ الواحدي نادرًا ما ينسبها لشيخه، رغم أنَّها بنصِّها في «الكشف والبيان»[٦].

---

(١) أنظر علىٰ سبيل المثال: «الوسيط» ١/ ٣٩٦، ٢/ ٦٠٨، ٣/ ٣٠٢، ٤/ ٤٨٣، «أسباب النزول» (١، ٣، ٥، ٧، ١٣، ١٥، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٦، ١٦٣، ١٧٦، ٣٢٩، ٣٣٦، ٦٤٨، ٨٤٨.

(٢) أنظر علىٰ سبيل المثال: «الوسيط» ١/ ٧٦، ٢٥٣.

(٣) «الوسيط» ١/ ٢١٢.

(٤) «الوسيط» ١/ ١٩٧.

(٥) المصدر السابق ١/ ٨٧.

(٦) أنظر علىٰ سبيل المثال: «الوسيط» ١/ ٦٨، ٧٠، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٨، ٢٦٠، ٣٢٥..

وأما جانب النقل من «الكشف والبيان» والاقتباس منه، فكثير جدًا في كتب الواحدي.

ب- الإمام البغوي (ت ٥١٦) في تفسيره «معالم التنزيل»:

وهو ٱختصار لـ«الكشف والبيان» كما سيأتي.

وقد روى البغوي معظم مرويات الثعلبي في «الكشف والبيان» عن طريق تلميذه أبي سعيد الشُّرَيحي الخوارزمي، كما نصَّ البغوي علىٰ ذلك في مقدمة تفسيره، وروىٰ في هٰذِه المقدمة تلك الأسانيد[1]. وقد سبق بيان ذلك عند الكلام حول إثبات الكتاب لمؤلفه.

جـ- أبو حيَّان في «البحر المحيط»:

يُعد كتاب «الكشف والبيان» من أوسع كتب التفسير إن لم يكن أوسعها في نقل أقوال المفسرين من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم.

ولقد عرف أبو حيان الأندلسي هٰذِه الميزة للكتاب، فقام بالاعتماد علىٰ «الكشف والبيان» في ذكر أقوال المفسرين في الآية، في كتابه «البحر المحيط».

وهٰذا الٱستيعاب من أبي حيان لتلك النقول لا يوجد بهٰذِه الصورة في تفسير آخر.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

أقوال أئمة السلف من المفسِّرين في المراد بـ(العالمين) في قوله

(١) «تفسير البغوي» ١/ ٢٨.

تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[١].

الأقوال في قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ﴾[٢].

الأقوال في قوله تعالىٰ: ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾[٣] في قوله ﷻ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾.

وفي المراد بـ ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[٤].

والأقوال في ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[٥].

وفي ﴿ٱلْحَجَرَ﴾ في قوله ﷻ ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾[٦].

وفي ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾[٧].

وفي قوله تعالىٰ ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾[٨].

وفي (الكلمات) في قوله سبحانه ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾[٩].

وفي قوله تعالىٰ ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾[١٠].

---

(١) سورة الفاتحة: (٢). «البحر المحيط» ١/ ١٣٠.

(٢) سورة البقرة: (١). «البحر» ١/ ١٥٦.

(٣) البقرة: (٢٥). «البحر» ١/ ٢٦٠.

(٤) البقرة: (٥٦). «البحر» ١/ ٣٧٤.

(٥) البقرة: ٥٨. «البحر» ١/ ٣٨٢.

(٦) البقرة: ٦٠. «البحر» ١/ ٣٨٩.

(٧) سورة البقرة: ٦٢. «البحر» ١/ ٤٠٢.

(٨) البقرة: (١١٢). «البحر» ١/ ٥٢١.

(٩) البقرة: (١٢٤). «البحر» ١/ ٥٤٦.

(١٠) البقرة: (١٢٤). «البحر» ١/ ٥٤٧.

وفي قوله جل وعلا ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾[(١)].

وفي قوله سبحانه ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[(٢)].

وفي معنى الحنيف في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾[(٣)].

والأقوال في معنى الإخلاص[(٤)].

وفي ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[(٥)].

والإمام أبو حيان لا يصرح بنسبة هٰذِه المنقولات إلى الثعلبي إلا في أحيان قليلةٍ.

ومنها قوله عند تفسير قوله سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾[(٦)]، قال: وذكر الثعلبي أنَّ ٱرتفاع الجبل فوق رؤوسهم كان مقدار قامة الرجل[(٧)].

ولم يقتصر أبو حيان في نقله علىٰ أقوال المفسرين، بل كان ينقل عنه أيضًا القراءات، وغيرها، مما يوجد منثورًا في تحقيق هٰذا الجزء من الكشف والبيان.

---

(١) البقرة: (١٢٥). «البحر» (٥٥٣).

(٢) البقرة: (١٣٠). «البحر» ١/ ٥٦٥.

(٣) البقرة: (١٣٥). «البحر» ١/ ٥٧٨.

(٤) البقرة: (١٣٩). «البحر» ١/ ٥٨٦.

(٥) البقرة: (١٦٨). «البحر» ١/ ٦٥٤.

(٦) البقرة: (٦٣).

(٧) «البحر» ١/ ٤٠٦.

د- الإمام أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١) في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»:

وهو من المكثرين أيضًا في النقل عن الثعلبي. ويعد «الكشف والبيان» من أكثر المصادر التي ٱعتمد عليها القرطبي في تفسيره[١].

هـ- جلال الدين السيوطي (ت٩١١) في كتابيه: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»[٢]، و«لباب النُّقول في أسباب النزول»[٣].

إذ يعد الكشف والبيان من المصادر الأساسية التي بُني عليها هذان الكتابان. ويصرِّح السيوطي بنسبة ما يذكره من المرويات عن الثعلبي إليه.

و- جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢) في كتابه «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» للزمخشري[٤]:

فقد ٱعتمد الزيلعي في مواضع كثيرة من كتابه على الثعلبي في تخريج الأحاديث والآثار التي ذكرها الزمخشري في «تفسيره» وبعض هٰذِه الأحاديث والآثار لم يعزها إلا إلى الثعلبي. وهٰذا فيه دليل أيضًا علىٰ أن الزمخشري في «كشافه» قد ٱعتمد علىٰ تفسير «الكشف والبيان».

(١) ٱنظر علىٰ سبيل المثال: «تفسير القرطبي» ١/ ١٠٧، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦١، ١٦٩، ١٨٦، ١٩٣، ٢١٣.

(٢) «الدر المنثور» ١/ ١٠، ١٢، ١٥، ٢١، ٢٣، ٢٦، ٢٩، ٣٤، ٤٥، ٧٨.

(٣) «لباب النقول» (ص٩، ١٢، ٢٥، ٣٠).

(٤) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في «تفسير الكشاف» ١/ ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٩٩، ١١٣، ١١٩.

ز- الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٧٧٣) في كتابه «العُجاب في بيان الأسباب»[١].

وقد اعتمد ابن حجر في كتابه هٰذا على الواحدي في «أسباب النزول»، ثم ظهر له أنَّ الواحدي اعتمد علىٰ شيخه الثعلبي، وبما أن تفسير الثعلبي تحت يده فقد بدأ يرجع إليه مباشرة، وكذلك في مصادره الأخرىٰ. وذلك بدءًا من الآية (٢١٥) من سورة البقرة.

وقد نقل ابن حجر من تفسير «الكشف والبيان» (١٢٩) مرَّة، منها (٥٥) مرَّة في البقرة، و (٥٣) في آل عمران، و(٢١) في النساء[٢].

ح- ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ) في تفسيره «التسهيل لعلوم التنزيل»[٣].

ي- عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١) في كتابه «الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي»[٤].

ط- الشوكاني (ت ١١٢٥هـ) في تفسيره «فتح القدير»[٥].

وثمة مفسرون آخرون لم يصرِّحوا بنقلهم عن الثعلبي، ولٰكن

---

(١) انظر علىٰ سبيل المثال ١/ ٢٣٤، ٣٣٣، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٨.

(٢) «العُجاب» مقدمة المحقِّق ١/ ١٣٢، ١٤٨.

(٣) ١/ ١٠٦، ١١٩، ١٣٠، ١٧٧، ١٩٥.

(٤) ١/ ١٤.

(٥) (ص٧٩٠).

المتأمل في كتبهم والمطلِّع على الكشف والبيان يدرك أنهم ٱستفادوا من تفسير الثعلبي، سواء فيما يتعلق بالمأثور من أحاديث، وآثار، أو في مسائل أخرىٰ، من تفسير الثعلبي، للآيات، وطرحه للمسائل اللغوية، ونحوها. ولكن المقام لا يتسع لذكر كل من نقل عن الثعلبي واستفاد منه، وحسبنا ما ذكرناه برهانًا واضحًا علىٰ أهمية هٰذا الكتاب.

لم تكن الاستفادة من «الكشف والبيان» مقتصرةً على المؤلفين في التفسير وعلوم القرآن. بل إنَّ هٰذا التفسير نهل منه، واستفاد من علومه ومعارفه الذين ألَّفوا في غير التفسير وعلوم القرآن، حتىٰ كان مصدرًا مهمًا لكتب الأحاديث وشروحها، وكتب التخريج، وكتب التراجم، وكتب التعريف بالأماكن والبلدان، وكتب الزهد والوعظ، وغيرها.

ومن هٰذِه المؤلفات:

١- «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقِّن[(١)].

٢- «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر[(٢)].

٣- «عمدة القارئ شرح صحيح البخاري» لبدر الدين العيني[(٣)].

٤- «تنوير الحوالك شرح موطأ مالك» للسيوطي[(٤)].

---

(١) ١٠/ ٢٨٢، ١٥/ ٥٩٧، وانظر في فهرس المصنفات المذكورة بكتاب «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (مادة «تفسير الثعلبي» ٣٥/ ٣٥٨) تحقيق ونشر دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بالفيوم.

(٢) ١٠/ ٥٣٨.

(٣) ١٦/ ١١١، ١١٢، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٢.

(٤) (ص٨٥).

٥- «نصب الراية لأحاديث الهداية» للزيلعي[١].

٦- «التلخيص الحبير» لابن حجر[٢].

٧- «الإصابة في أسماء الصحابة» لابن حجر[٣].

٨- «لسان الميزان» لابن حجر أيضًا[٤].

٩- «الأنساب» للسمعاني[٥].

١٠- «معجم البلدان» لياقوت الحموي[٦].

١١- «التوَّابين» لابن قدامة[٧].

١٢- «شرح شواهد المغني» للسيوطي[٨].

٣- العناية به باختصاره:

من الدلائل الظاهرة على ٱهتمام العلماء بتفسير «الكشف والبيان» عنايتهم به عن طريق ٱختصاره وتهذيبه.

وقد قام بذلك جماعة من العلماء، منهم:

أ- الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦) في تفسيره المسمَّىٰ «معالم التنزيل».

---

(١) ٣/ ٨٥.

(٢) ٣/ ١٨٣، ٤/ ٤٠.

(٣) ١/ ٢١٩.

(٤) ٦/ ٢٢١.

(٥) ٤/ ٤٣.

(٦) ٤/ ٣.

(٧) (ص ٢٧٣).

(٨) ٢/ ٨٣٩.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي[(١)].

وقد ذكر البغوي في مقدمة تفسيره أن ما نقل فيه من التفسير عن ابن عباس، وأئمة السلف فأكثره مما رواه عن أبي سعيد الشُّريحي تلميذ الثعلبي عن شيخه الثعلبي[(٢)].

ومن يقارن بين التفسيرين ولو في بعض النصوص يدرك تمامًا أن تفسير البغوي مختصر للكشف والبيان للثعلبي. ويجد عبارة الثعلبي بنصها موجودة في تفسير البغوي. وليس ذلك مقتصرًا علىٰ أقوال ابن عباس ﭭ وأئمة السلف كما ذكر البغوي في مقدمته. بل يشمل أيضًا تفسير الثعلبي نفسه لمفردات الآية، ومعانيها، وغير ذلك.

ورغم ذلك نجد بعض الفروق بين التفسيرين، نوجزها فيما يأتي:

١- حذف البغوي بعض المصادر التي ذكرها الثعلبي في مقدمة تفسيره.

٢- ٱختار البغوي طرقًا وأسانيد في تلقِّي القراءات، غير التي ذكرها الثعلبي في مقدمته.

٣- أورد البغوي في فضائل القرآن أحاديث أخرىٰ مما لم يوردها الثعلبي.

---

(١) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية» ١٣/ ٣٥٤، و«مقدمة في أصول التفسير» له أيضًا (ص٦٦).

(٢) «تفسير البغوي» ١/ ٢٨.

٤- ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ البغوي صان تفسيره من الموضوعات، والبدع.

فقد سئل ابن تيمية عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة، الزمخشري، أم القرطبي، أم البغوي، أم غير هٰؤلاء؟ فأجاب قدَّس الله روحه: وأمَّا التفاسير المسئول عنها، فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي، وحذف الأحاديث الموضوعة، والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك[(١)].

ويقول كذلك: والبغوي مختصر من تفسير الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة[(٢)].

ولكنَّ **السؤال** الذي يرد في هٰذا المقام هو: هل صان البغوي فعلًا كتابه عن كل حديث موضوع، ورأي مبتدع؟

والجواب: أنَّ البغوي حاول في مواطن كثيرة نبذ الأحاديث الموضوعة والمنكرة في تفسيره. ومن أهمها ما كان يرويه الثعلبي من فضائل السور في مقدمة كل سورة.

كما حذف أيضًا كثيرًا من الأحاديث التي وردت في تفسير الثعلبي من أخبار الشيعة، عند آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[(٣)] وآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ١٣/ ٦٨.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ١٣/ ٣٥٤ وانظر: «مقدمة في أصول التفسير» (ص٦٦).

(٣) سورة المائدة: (٥٥).

﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾[(١)] وهٰذا عمل ممدوح مشكور.

أما جانب الإسرائيليات فالثعلبي والبغوي يتفقان في سردها بين مقل ومستكثر[(٢)].

فقد ٱشتمل تفسير البغوي علىٰ نقولٍ كثيرة من الإسرائيليات[(٣)]، مثل الإسرائيليات الواردة في قصة هاروت وماروت[(٤)].

والأخبار التي تتحدث عن قصة أصحاب الكهف[(٥)].

ومن الأخبار الموضوعة ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[(٦)]. قال البغوي: أراد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرَّ به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه[(٧)].

وقد قرَّر ابن تيمية أن الحديث موضوع باتفاق أهل العلم[(٨)].

ولذلك قال الدكتور: محمد أبو شهبة رحمه الله معلقًا علىٰ قول ابن تيمية أن البغوي صان تفسيره من الموضوعات والبدع: أما صيانته عن الآراء المبتدعة فمسلَّم، أما أنه صانه عن الأحاديث الموضوعة فإن أراد

---

(١) الأحزاب: (٣٣).

(٢) «الثعلبي ودراسة كتابه» ٢/ ٧٥٢، ٧٥٣.

(٣) البغوي ومنهجه في «التفسير» (ص١٠٩).

(٤) «تفسير البغوي» ١/ ١٠٠، ١٠١.

(٥) نفس المصدر ٣/ ١٤٥.

(٦) سورة المائدة: (٥٥).

(٧) «تفسير البغوي» ٢/ ٤٧.

(٨) «مقدمة في أصول التفسير» (ص٦٧، ٦٨).

الحديث الطويل الموضوع في فضائل سوره فمُسلَّمَ، وإن أراد غير ذلك فلستُ موافقًا لشيخ الإسلام، لأنه ذكر في كتابه الموضوعات والإسرائيليات بكثرة، اللهم إلا أن يُقال: إنَّه أقلّ من تفسير الثعلبي في الموضوعات والإسرائيليات[١].

والإمام البغوي كان في تفسيره مع ركب المفسرين في إيراد الإسرائيليات، والأحاديث غير الصحيحة، ولم يسلك مسلك المحدثين في هٰذا، رغم أنه كان من علماء الحديث البارزين. وهو في هٰذا يتبع أصل كتابه تفسير «الكشف والبيان» الذي ٱعتمده أصلًا له، وتناوله بالاختصار والتهذيب، وبالزيادة والإضافة.

والحاصل أنَّ البغوي باختصاره لتفسير الثعلبي قد أبان عن أهمية هٰذا التفسير الذي ٱتخذه أصلًا له. وهو -أعني البغوي- وإن حاول التعديل نوعًا ما في «الكشف والبيان» إلا أنه مع ذلك تبقىٰ معظم مادة تفسير البغوي إنما هي من تفسير الثعلبي «الكشف والبيان»، وهو برهان واضح علىٰ أهمية «الكشف والبيان» وقيمته العلمية العالية.

ب- ولم يكن الإمام البغوي هو الوحيد الذي قام باختصار «الكشف والبيان» بل قام غيره أيضًا بهٰذا العمل، حيث ٱختصره: ابن أبي رندقة محمد بن الوليد بن محمد القرشي الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ) بعنوان «مختصر الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي».

---

(١) «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص١٢٨).

وقد رواه ابن خير الإشبيلي في «فهرست ما رواه عن شيوخه» حيث رواه عن شيخه ابن العربي[١].

وهٰذا المختصر يوجد مخطوطًا[٢].

ج- واختصره كذلك أبو محمد بهزاد بن علي، بعنوان «مختصر تفسير الثعلبي». وهو مخطوط أيضًا[٣].

د- وله أيضًا مختصر بعنوان «مختصر الكشف والبيان في تفسير القرآن» وهو مخطوط. ومؤلفه مجهول[٤].

٤- العناية والاهتمام به بوضع الحواشي عليه:

حيث وضع عبد القادر بن أبي القاسم بن عبد الله الحسيني العراقي (ت ١٢٨٨هـ) حاشيةً عليه بعنوان «حاشية على الكشف والبيان للثعلبي».

وهٰذِه الحاشية موجودة مخطوطة[٥].

٥- الاعتناء به بالجمع بينه وبين غيره:

لم تقف جهود العلماء في الاهتمام بهٰذا الكتاب عند روايته أو النقل عنه، أو اختصاره، أو نحو ذلك، بل تعدى اهتمامهم به إلى الجمع بينه وبين غيره من الكتب كما فعل أبو السعادات ابن الأثير

(١) «فهرست ابن خير» (ص٥٣).

(٢) «تاريخ الأدب العربي لبروكلمان» ١/ ٥٩٢ «الفهرس الشامل» ١/ ١٥٠.

(٣) «الفهرس الشامل» ٢/ ٨٤٤.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٨٨.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٨١٥.

في كتابه «الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف»، أخذه من تفسيري الثعلبي والزمخشري، كما قال ابن خِلِّكان[(١)].

٦- الرحلة لسماع هٰذا التفسير:

أهمية كتاب «الكشف والبيان» وقيمته العلمية، دعت العلماء إلىٰ أن يرحلوا إليه لسماعه. ومن هٰؤلاء الإمام أبو سعد السمعاني، ورفيقه أبو الحسن المرادي اللذان رحلا لسماع هٰذا التفسير. حيث يقول السمعاني في «أنسابه» عند ترجمة صاحبه وصديقه أبي الحسن المرادي: وخرجنا صُحبةً واحدة إلىٰ نوقان طوس، لسماع كتاب التفسير لأبي إسحاق الثعالبي[(٢)].

٧- العناية به بحفظه:

بلغت عناية العلماء بهٰذا التفسير إلىٰ حدِّ حفظه. كما حصل من أبي محمد محمد بن عباس الخُوارزمي العباسي فقد ذكره السبكي في «طبقات الشافعية» وذكر أن ولده ذكر في كتابه «تاريخ خوارزم» أنَّ أباه كان يحفظ «تفسير الثعلبي» حيث قال: وحفظ تفسير الثعلبي جميعه، فكان إذا سُئل في مجلسه عن عشر آيات، في مواضع متفاوتة، ذكر تفسيرها باختلاف أقوال المفسرين، من غير غلَط ولا خطأ.

وكان الخوارزمي حافظًا، يحفظ كتبًا أخرىٰ ويستحضرها

---

(١) «وفيات الأعيان» ٤/ ٧. وانظر: «أبجد العلوم» ٣/ ١٢.

(٢) «الأنساب» للسمعاني ٤/ ٣٦٩، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ٢٠/ ١٨٨.

ويستظهرها، كما ذكر ذلك ابنه عنه[١].

٨- كثرة نسخ الكتاب:

من الدلالات الواضحة علىٰ أهمية هٰذا التفسير، والاهتمام الكبير به من قبل العلماء وطلاب العلم: كثرة النُّسخ الخطية لهٰذا الكتاب. فقلما تجد مكتبة من المكتبات، أو خزانةً من خزائن المخطوطات تخلو من نسخة خطية لهٰذا التفسير، أو لجزءٍ منه.

يدرك ذلك كل من نظر في فهارس المخطوطات، واطلع علىٰ ذلك الكم الهائل من مخطوطات الكتاب[٢].

الأمر الذي يدل علىٰ أهمية هٰذا الكتاب، واهتمام أهل العلم به.

* المطلب الرابع: المآخذ علىٰ تفسير «الكشف والبيان» ومناقشتها

وبعد أن بيَّنا أهمية تفسير «الكشف والبيان» ومكانته وقيمته العلميَّة، وذكر ما قاله عنه العلماء من ميزات، نعرض هنا أهم ما عابوا به الكتاب علىٰ بساط البحث؛ لنتبيَّن بعد ذلك ما قيل فيه من حقٍّ فيُقبل، وما قيل فيه من خطأ فنردُّه، ونبرئ ساحة الثعلبي منه.

١- روايته للأحاديث الموضوعة والواهية

---

(١) «طبقات الشافعية الكبرىٰ» ٦/ ١٠٧، ١٠٨.

(٢) «الفهرس الشامل» ١/ ٨٣ وما بعدها. حيث ٱستوعب عددًا كبيرًا من نسخ الكتاب الخطيَّة.

وقد سجَّل العلماء هٰذا المأخذ على الثعلبي ونقدوه فيه ومن هٰؤلاء ابن الجوزي حيث يقول رحمه الله عن «الكشف والبيان»: ليس فيه ما يُعاب به إلا ما ضمَّنه من الأحاديث الواهية التي هي في الضعف متناهية، خصوصًا في أوائل السور[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو من أوسع من تكلَّم في الثعلبي وتفسيره: لقد أجمع أهل العلم بالحديث أنَّه -أي: الثعلبي- روىٰ طائفة من الأحاديث الموضوعة، كالحديث الذي يرويه في أول كل سورة، وأمثال ذلك، ولهٰذا يقال: هو كحاطب ليل[٢].

ويقول رحمه الله: والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع[٣].

ويقول الكتَّاني في «الرسالة المستطرفة» عند الكلام عن الواحدي تلميذ الثعلبي: ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث، بل في تفسيرهما وخصوصًا الثعلبي أحاديث موضوعة وقصص باطلة[٤].

ولا شكَّ أن الثعلبي رحمه الله عليه قد أخطأ في رواية هٰذِه

(١) نقله عنه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» ٤/ ٢٨٣.

(٢) «منهاج السنة النبوية» ٤/ ٤. وانظر أيضًا نفس الكتاب ٤/ ٨٢.

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» ١٣/ ٣٥٤.

(٤) «الرسالة المستطرفة» (ص٦٩).

الموضوعات التي ذكرها في فضائل السور وفي غيرها من الروايات الأخرىٰ.

ولقد أساء بروايتها إلىٰ تفسيره. لا سيما تلك الموضوعات التي رواها من الأحاديث التي وضعها الشيعة في علي ﷺ.

ولذلك فإن شيخ الإسلام ابن تيمية أكثر من ذكر الثعلبي وتفسيره في كتابه العظيم «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدريَّة»، والذي كان ردًّا على الرافضي يوسف بن مطهر الحِلِّي في كتابه «منهاج الكرامة»، وذلك لأنَّ الرافضي كان يعتمد في كتابه علىٰ ما يذكره ويرويه الثعلبي في «الكشف والبيان»، ممَّا جعل شيخ الإسلام ينبِّه علىٰ ذلك، منوِّهًا بتفسير الثعلبي، مبينًا ماله وما يؤخذ عليه حتىٰ لا يغترَّ غِرٌّ بما يقوله ذلك الرافضي.

ومما قاله شيخ الإسلام في هٰذا: وقد أجمع أهل العلم بالحديث علىٰ أنَّه لا يجوز الاستدلال بمجرَّد خبر يرويه الواحد من جنس الثعلبي، والنقَّاش، والواحدي، وأمثال هٰؤلاء المفسرين، لكثرة ما يروونه من الحديث، ويكون ضعيفًا، بل موضوعًا[1].

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي عن الثعلبي: اغترَّ بكثير من الأحاديث الموضوعة علىٰ ألسنة الشيعة فسوَّد بها كتابه دون أن يشير إلىٰ وضعها واختلاقها، وفي هٰذا ما يدل علىٰ أنَّ الثعلبي لم يكن له

---

(١) «منهاج السنة» ٤/ ٤.

باع في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها[١].

ويمكن الٱعتذار للثعلبي وتخفيف التَّبعة عليه في ذلك بأن يقال: إنَّ المسلك الذي سلكه قد سلكه غيره من المفسرين، بل والمحدثين أيضًا، وهم يعتقدون أنهم عندما يروون المرويات بما فيها الموضوعات بالسند تكون عهدتهم قد برئت من باب: أنَّ من أسند لك فقد أحالَك، ومن حَمل إليك فقد حمَّلك مؤنة البحث عنه، والحكم عليه.

فها هو الإمام الحافظ الجليل أبو القاسم الطبراني صاحب «المعاجم» وغيرها يُعاب بنحو ما عيب به أبو إسحاق الثعلبي، فينبري الحافظ ابن حجر للدفاع عنه، مبيِّنًا هٰذا الأمر حيث يقول في معرض كلامه عن الطبراني: وقد عاب عليه إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي جمعه لأحاديث بالأفراد مع ما فيها من النكارة الشديدة، والموضوعات، وفي بعضها القدح في كثير من القدماء من الصحابة وغيرهم، وهٰذا أمر لا يختص به الطبراني، فلا معنىٰ لإفراده اليوم، بل أكثر المحدثين في الأعصار الماضية من سنة مئتين وهلُمَّ جرًّا إذا ساقوا الحديث بإسناده ٱعتقدوا أنهم برؤوا من عهدته، والله أعلم[٢].

وإذا كان هٰذا بالمحدثين الذين يفتِّشون في الأسانيد، ويميزون بين

(١) «التفسير والمفسِّرون» ١/ ٢٣٣.

(٢) «لسان الميزان» ٣/ ٧٥.

الثقات والضعفاء، والصحيح والسقيم، فكيف بالمفسرين الذين هم أقل منهم في هٰذا الشأن؟!

ويتكلَّم الحافظ العراقي عن حديث أُبيّ الموضوع في «فضائل السور» وهو من أكثر وأشهر ما عيب على الثعلبي ٱعتمادهُ فيقول: وكلٌّ من أودع حديث أُبي المذكور تفسيرَه كالواحدي والثعلبي والزمخشري مخطئ في ذلك، لٰكن من أبرز إسناده منهم كالثعلبي والواحدي فهو أبسط لعذره إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده، وإن كان لا يجوز له السكوت عليه من غير بيانه[١].

وقفة:

نسب بعض العلماء رواية الثعلبي للموضوعات والأحاديث الواهيات إلىٰ عدم تمييزه بين الصحيح والسقيم. ومن هٰؤلاء أبو الفرج بن الجوزي حيث قال عند كلامه علىٰ حديث أُبي الموضوع في فضائل القرآن: وقد فرَّق هٰذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره .. وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث[٢].

والحقيقة أنَّ الثعلبي رحمه الله كان حافظًا راويًا للأسانيد، وكان يروي بإسناده الأحاديث والآثار والأقوال، حتى الأشعار. ولٰكن يصعب القول بأنَّ أبا إسحاق كان من الذين يكثرون من نقد

---

(١) «التبصرة والتذكرة» ١/ ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) «الموضوعات الكبرىٰ» ١/ ٢٤٠.

الأسانيد، والتفتيش عن حال رواتها، وكان له قدم راسخة في هٰذا الشأن، لٰكنَّ ذلك لا يعني جهل الثعلبي بهٰذا الفن، ولا يعني ذلك عدم تمييزه بين الصحيح والسقيم، إذ إنَّ ذلك لا يمكن أنْ يتأتىٰ مع ما نراه في تفسيره في بعض المواضع من نقده لبعض الرواة، وتضعيفه لبعض الأحاديث.

مثل نقده لحديث عبد الله بن شداد بن الهاد عن جابر بن عبد الله مرفوعًا: من صلىٰ خلف إمام كانت قراءة الإمام له قراءة.

وحديث جابر الجعفي عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا قال: من كان له إمام فقراءته له قراءة.

قال أبو إسحاق: فأمَّا حديث عبد الله بن شداد: فهو مرسل رواه شعبة والثوري وزائدة وابن عيينة وأبو عوانة وإسرائيل وقيس وجرير وأبو الأحوص مرسلًا، والمرسل لا تقوم به حجة، والوليد بن حماد وأبو الحسن (من رواة الحديث) لا يُدرىٰ من هما.

وأما خبر جابر الجعفي فإنَّه ساقط، قال زائدة: جابر كذَّاب. وقال أبو حنيفة ما رأيتُ أكذب من جابر. وقال ابن عيينة: كان جابر يؤمن بالرجعة.

وقال شعبة: قال لي جابر: دخلت علىٰ محمد بن علي فسقاني شربة وحفظتُ عشرين ألف حديث.

ولا خلاف بين أهل النقل في سقوط الاحتجاج بحديثه.

وهكذا نرىٰ أنَّ الثعلبي له مشاركة في نقد المرويات. ولذلك يصعب

علينا القول بأنه لا يميِّز بين الصحيح والسقيم. ويرجِّح القول بأنَّ ذكره للموضوعات ونحوها إنما هو ٱعتماد علىٰ روايته لها بالإسناد، وقد حصل هٰذا لمحدِّثين أمثال الطبراني كما سبق والله أعلم.

٢- توسُّعه في ذكر الإسرائيليات:

من المشهور عن الثعلبي أنَّه يُكثر في تفسيره «الكشف والبيان» من الإسرائيليات[١]، وهي من سمات هٰذا التفسير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: الثعلبي والواحدي وأمثالهما، هٰؤلاء من عادتهم يروون ما رواه غيرهم، وكثير من ذلك لا يعرفون: هل هو صحيح، أم ضعيف؟ ويروون من الأحاديث الإسرائيليات ما يعلم غيرهم أنه باطل في نفس الأمر، لأن وظيفتهم النَّقل لِما نُقل، أو حكاية أقوال الناس، وإن كان كثير من هٰذا وهٰذا باطلًا، وربَّما تكلَّموا علىٰ صحة بعض المنقولات وضعفها، ولٰكن لا يطردون هٰذا ولا يلتزمون[٢].

والثعلبي بالفعل أكثر من الإسرائيليات في تفسيره، وتوسَّع في هٰذا الباب، ولعل مردَّ ذلك إلىٰ أن الثعلبي بالإضافة إلىٰ أنه مفسِّر كان أخباريًا مؤرِّخًا، يدل علىٰ ذلك كتابه في قصص الأنبياء المسمَّىٰ «عرائس المجالس»، فقد حوىٰ هٰذا الكتاب الكثير من الإسرائيليات

---

(١) **تنويه للقارئ الكريم**: عند مطالعة الإسرائيليات في «الكشف والبيان» قد تجد المحقق يحكم عليها بالصحة، والحكم للإسناد وليس المتن.

(٢) «منهاج السنة» ٤/ ٨٤.

في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأحوال الأمم السابقة.

يقول الدكتور الذهبي: ثم إنَّ هناك ناحية أخرىٰ يمتاز بها هٰذا التفسير، هي التوسع إلىٰ حد كبير في ذكر الإسرائيليات، بدون أن يتعقَّب شيئًا من ذلك أو ينبِّه علىٰ ما فيه رغم ٱستبعاده وغرابته، وقد قرأت فيه قصصًا إسرائيليًا نهاية في الغرابة[1].

والحقيقة أنَّ الثعلبي بصنيعه هٰذا لم ينفرد أو يشذ عن ركب المفسرين، إذ لم يخل كتاب من كتب التفسير من الإسرائيليات كما سبق عند الكلام عن ذلك في منهج المصنف وعلىٰ رأس هٰؤلاء الإمامان أبو جعفر الطبري، وابن أبي حاتم، وهما الإمامان الناقدان البصيران بالصحيح والسقيم.

وكثير من الإسرائيليات التي ذكرها الثعلبي قد ذكرها قبله ابن جرير الطبري وغيرهُ[2].

فقصة هاروت وماروت، وقصة آدم وحواء وخروجهما من الجنَّة وإهباطهما إلى الأرض، وغير ذلك، معظم رواياتها الموجودة في «الكشف والبيان» نقلها المفسرون قبله وبعده.

حتى البغوي الذي ٱختصر «الكشف والبيان» وذكر عنه بعض العلماء أنَّه صان كتابه مما وقع فيه الثعلبي هو الآخر قد وقع في

---

(١) «التفسير والمفسرون» ١/ ٢٣١.

(٢) ٱنظر: «ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير» د.محمد بكر إسماعيل (ص٥٢) وما بعدها.

إسرائيليات، وموضوعات، وغيرها[١].

يقول الدكتور محمد أبو شهبة: والخلاصة أنَّ كتب التفسير ما عدا القليل منها سواء منها ما كان بالمأثور صرفًا، أو غلب عليه المأثور، أو كان بالرأي والاجتهاد، لم تخل غالبًا من الإسرائيليات الباطلة، والأحاديث الموضوعة والواهية[٢].

ثم إن الثعلبي أسند كثيرًا من هٰذِه الإسرائيليات بإسناده فيكون قد أبرأ عهدته. وإن كان ينبغي عليه أن ينبِّه علىٰ ما يقتضي التنبيه عليه، مما يمس عصمة الأنبياء، ونحوه.

يقول العلامة القاسمي في مقدمة تفسيره «محاسن التأويل» وقد رأيتُ مَّمن يدَّعي الفضل الحط من كرامة الإمام الثعلبي -قدَّس الله سرَّه العزيز- لروايته الإسرائيليات، وهٰذا وايم الحق من جحد مزايا ذوي الفضل ومعاداة العلم، علىٰ أنَّه قُدِّس سرُّه ناقل عن غيره، وراوٍ ما حكاه بالأسانيد إلىٰ أئمة الأخبار. وما ذنب مسبوقٍ بقولٍ نقله باللفظ وعزاه لصاحبه؟ فمعاذًا بك اللهمَّ من هضيمة السلف.

وقد رأيتُ له في تاريخ القاضي ابن خلِّكان ترجمة عالية أحببتُ إثباتها هنا، تعريفًا بمقامه لدى الجاهل به.. ثم ذكر ترجمته من «وفيات الأعيان» ثم قال: والقصد أنَّ الصالحين كانوا يتقبَّلون الروايات علىٰ علاتها للملاحظة المارَّة، لصفاء سريرتهم، فلا ينبغي

(١) سبق بيان ذلك .

(٢) «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص١٤٧).

إلا تفنيد الموضوع منها، لا الحط من مقامهم وقرض أعراضهم، كيف وقد تلقَّى الصحابة ومَن بعدهم الإسرائيليات وحكَوها، بل بعضهم ٱقتنىٰ أسفارها، وأدمن مطالعتها، لما ٱستبان له من البشائر النبويَّة، وتحقق تحريفهم[(١)].

٣- ٱعتماده علىٰ بعض الروايات الواهية في التفسير:

روى الثعلبي في مقدمة تفسيره «الكشف والبيان» تفسير ابن عباس من عدة طرق بإسناده الخاص.

وقد روىٰ عن ابن عباس الطرق الثابتة عنه. وروىٰ كذلك الطرق الواهية عن ابن عباس، فقد روىٰ عنه أوهى الطرق إليه في التفسير، وهي رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ورواها عن الكلبي من عدة طرق، من ضمنها أوهىٰ هٰذِه الطرق وهي رواية السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس[(٢)]. وهي سلسلة الكذب كما قال السيوطي. ولذلك عدل عن هٰذِه الرواية ابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهما من المفسرين. وكان الواجب على الثعلبي العدول عن هٰذِه الرواية وإن كان قد رواها بالإسناد.

ومن الروايات التي ٱعتمدها الثعلبي وهي واهيةٌ عن ابن عباس أيضًا: التفسير الذي يرويه موسىٰ بن عبد الرحمن الصنعاني، عن

---

(١) «محاسن التأويل» ١/ ٤١، ٤٢.

(٢) ٱنظر الأسانيد (٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥) وغيرها، وقد تمت هناك دراسة هٰذِه الأسانيد. وذكر أقوال العلماء في رواية الكلبي.

عبد الملك بن جريج، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس.

قال الحافظ ابن حجر: ومن التفاسير الواهية لوهاء رواتها التفسير الذي جمعه موسىٰ بن عبد الرحمن الثقفي الصناعاني، وهو قدر مجلدين يُسنِده إلى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وقد نسب ابن حبان موسىٰ هٰذا إلىٰ وضع الحديث، ورواه عن موسىٰ عبد الغني بن سعيد الثقفي وهو ضعيف(١).

ومن التفاسير الواهية كذلك: تفسير مقاتل بن سليمان يرويه عنه أبو عصمة نوح بن أبي مريم، الوضاع الذي وضع حديث فضائل القرآن.

ويمكن الاعتذار للثعلبي بما اعتُذر له به في المأخذ الأول، وهو أنَّه روىٰ هٰذِه التفاسير بالإسناد. وإن كان الأولىٰ بأبي إسحاق أن يكون قد نزَّه تفسيره عنها.

٤- عدم تبيين الراوي عن ابن عباس وغيره أحيانًا:

عرفنا فيما سبق أن الثعلبي روىٰ عن ابن عباس من عدة طرق، منها المقبول، ومنها الساقط الواهي.

والثعلبي يورد في ثنايا تفسيره أقوالًا كثيرةً لابن عباس. بدون إسناده، لأنه ذكر أسانيده في مقدمة تفسيره، فيحذف الإسناد كاملًا ولا يذكر حتى الراوي عن ابن عباس، وبهذا لا يدرىٰ من أي الطرق عن ابن عباس، هل هو من الطرق الصحيحة؟ أم من غيرها؟ ولا

---

(١) «العُجاب في بيان الأسباب» ١/ ٢٢٠. وانظر تفصيل القول في هٰذا التفسير عند الإسناد (٤).

يمكن معرفة ذلك إلا بتخرج الأثر -إن وُجد من يرويه بالسند- وهٰذا مسلكٌ وَعِرٌ في معرفة الراوي عن ابن عباس.

٥- جمع روايات الثقات والضعفاء في القصة الواحدة، وسوقها مساقًا واحدًا دون فصل أو تمييز، حتىٰ لا يُدرىٰ خبر الثقة من غيره:

عند قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الثعلبي: روت الرواة بألفاظ مختلفة، فقال بعضهم: لما نزلت هٰذِه الآية جاء أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وناس من الأنصار فجثوا على الركب وقالوا: والله يا رسول الله ما نزلت آية أشد علينا من هٰذِه الآية.. إلخ.

قال الثعلبي: وهٰذا قول ابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وابن عباس.. وسرد جماعة من التابعين وأتباعهم.

قال الحافظ ابن حجر معلِّقًا علىٰ هٰذا الصنيع: وهٰذا من عيوب كتابه ومَن تبعه عليه، يجمعون الأقوال عن الثقات وغيرهم ويسوقون القصة مساقًا واحدًا علىٰ لفظ من يُرمىٰ بالكذب أو الضعف الشديد، ويكون أصل القصة صحيحًا، والنكارة في ألفاظ زائدة كما في هٰذِه القصة، من تسمية الذين ذُكروا، وفي كثير من الألفاظ التي نُقلت، والسياق في هٰذِه بخصوصها إنما هو لبعضهم[1].

(١) «العُجاب في بيان الأسباب» ١/ ٦٥٤.

مبالغة بعض المعاصرين في نقد الثعلبي وتفسيره

قام بعض المعاصرين بذم تفسير «الكشف والبيان» للثعلبي بعبارات قاسية، وأحكام عامة من يطالعها لأول وهلة يعتقد أنَّ هٰذا الكتاب لا خير فيه ألبتة.

ومن هٰؤلاء الدكتور محمد حسين الذهبي، حيث يقول في كتابه «التفسير والمفسِّرون» عن الثعلبي: ليته إذ ٱدعىٰ في مقدمة تفسيره أنَّه لم يعثر في كتب من تقدَّمه من المفسرين علىٰ كتاب جامع مهذَّب يعتمد، أخرج لنا كتابه خاليًا مما عاب عليه المفسرين، ليته فعل ذلك، إذًا لكان قد أراحنا وأراح الناس من هٰذا الخلط والخبط الذي لا يخلو منه موضع من كتابه[١].

ونحن نتمنىٰ كذلك ما تمنَّاه الذهبي على الثعلبي، ولكننا لا نوافق الذهبي في أن تفسير الثعلبي لم يخل في موضع منه من «الخلط والخبط»، ونرىٰ أن هٰذا الإطلاق مبالغة ظاهرة. فالكتاب في مواضع كثيرة منه قد تضمن علومًا نافعة وفوائد جمة، وفنونًا متنوعة. كما سبق في بيان منهج المؤلف، وبيان أهمية الكتاب وقيمته العلمية.

والدكتور الذهبي لم يستقرئ الكتاب كاملًا حتىٰ يكون حكمه شاملًا، بل حكم على الكتاب من خلال النسخة الأزهرية الناقصة، والتي تنتهي بتفسير سورة الفرقان، وقد ذكر ذلك في كتابه.

---

(١) «التفسير والمفسرون» ١/ ٢٣٤.

وإضافةً إلى الذهبي قام أيضًا بعض المعاصرين بذم الكتاب ونقده، والتزهيد فيه، والحط من قدره[(١)].

والحق أنَّه لا ينبغي إهدار ما في الكتاب من الفوائد الجمَّة، والمنافع العظيمة من أجل صنيعٍ لم ينفرد الثعلبي به، بل شاركه معظم المفسرين الذين طُبعت كتبهم، واستفاد منها الناس، ولم يلحقها من الذم والنقد ما لحق «تفسير الثعلبي» رغم أنَّ جُلَّهم قد ٱستفاد منه، ونقل عنه واقتبس منه، ورغم أن الثعلبي تميز عليهم بالإسناد، مثل الزمخشري، والقرطبي، وأبي حيان، وغيرهم[(٢)].

ولذلك عندما تقرأ عبارات العلماء المتقدمين الذين هم أقرب إلى الكتاب ومؤلفه وأبصر به ترى البون شاسعًا بين عبارتهم المتأنية الموضوعية، وبين عبارات بعض المتأخرين التي تتَّسم بالتعميم والعجلة.

فهٰذا عبد الغافر الفارسي بلديُّ الثعلبي يقول عن الثعلبي وتفسيره «الكشف والبيان»: صاحب التصانيف الجليلة من التفسير الحاوي لأنواع الفوائد من المعاني والإشارات وكلمات أرباب الحقائق

---

(١) ٱنظر: «الإسرائيليات والموضوعات» لأبي شهبة (ص١٢٦)، «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» للدكتور رمزي نعناعة (ص٢١٥)، «المفسرون بين التأويل والإثبات» للدكتور المغراوي ٢/ ٥، وابن جُزي ومنهجه في «التفسير» ١/ ٢٤٨.

(٢) راجع ما قيل عن أهمية الكتاب، واستفادة العلماء منه، ونقلهم عنه، في أول هٰذا المبحث.

ووجوه الإعراب والقراءات[١].

ويقول ابن خلِّكان عن الثعلبي: صنَّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير[٢].

وما أجمل ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سئل عن بعض كتب التفسير فأجاب عن ذلك وختم جوابه بكلام نفيس حيث قال: وإن كان كلُّ هٰذِه الكتب لا بد أن يشتمل علىٰ ما يُنقَد، لكن يجب العدل، بينها، وإعطاء كل ذي حق حقَّه[٣].

(١) «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» (١٩٧).

(٢) «وفيات الأعيان» ١/ ٩٩.

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» ١٣/ ٣٨٧.

الفصل الثالث

منهج التحقيق والتنسيق ووصف المخطوطات

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج التحقيق والتنسيق.

وفيه مطلبان:

* **المطلب الأول: منهج التحقيق.**
* **المطلب الثاني: منهج التنسيق**

المبحث الثاني: وصف المخطوطات



المبحث الأول

منهج التحقيق والتنسيق

* المطلب الأول: منهج التحقيق:

أولاً: نسخ المخطوط والمقابلة:

١- نسخ نسخة الأصل حسب قواعد الخط والإملاء الحديثة، بعد قراءة دقيقة ومتأنية.

٢- مقابلة النسخة الأصل بالنسخ الأخرىٰ مقابلة دقيقة، وإثبات أهم الفروق تحاشيًا لإثقال الحواشي بما لا فائدة فيه.

٣- إذا ٱقتضى الأمر إثبات شيء من النسخ الأخرىٰ في المتن أثبتناه، ونبهنا علىٰ ذلك في الحاشية.

٤- ذكر التعليقات والحواشي الموجودة علىٰ هوامش النسخ الأخرىٰ إن وجدت.

٥- وضعنا الآيات القرآنية بين قوسين مزركشين هكذا ﴿ ﴾، مع ذكر ٱسم السورة ورقم الآية.

٦- ترقيم الروايات المسندة الواردة سواءً كانت حديثًا أو أثرًا، أو قراءة، أو بيتًا من الشعر.

٧- وضع رقم الآية المفسرة عند بداية تفسيرها.

ثانيًا: تخريج الأحاديث والآثار:

١- تخريج الأحاديث تخريجًا موسعًا، متبعين ما يأتي: ذكر من

أخرجه عن المصنف، أو من طريقه، ثم من تابع المصنف، ثم من تابع شيوخه، وهكذا، ونقدم في ترتيب مصادر التخريج: البخاري، ثم مسلمًا، ثم أصحاب السنن الأربعة، والدارمي، ثم الإمام أحمد، ثم البقية على الترتيب الزمني للمصنفين.

٢- إن كان الحديث في الصحيحين ٱكتفينا بعزوه إليهما ثم السنن الأربعة بذكر ٱسم الكتاب والباب والجزء والصفحة والرقم إن وجد، وقد يُخرج الحديث من كتب أخرىٰ لأسباب تتعلق بلفظه أو طريقه، وإن لم يكن فيهما توسعنا في تخريجه مستشهدين بأقوال العلماء في رده أو قبوله.

٣- غالبا لا نذكر في المتابعات والشواهد الٱختلاف في ألفاظ الحديث، ونستعيض عن ذلك بقولنا: بمثله، أو بنحوه، أو بمعناه.

ثالثًا: دراسة الأسانيد:

١- ترجمة رجال الأسانيد ترجمة موسعة، وقد ٱتبعنا فيها ما يأتي:

- ذكر ٱسمه كاملًا، ونسبه، وكنيته، وبلده، ووفاته، والخلاف فيها إن وجد، مع ذكر طبقته إن لم تعرف سنة وفاته.

- إن كان الرجل متفقًا علىٰ توثيقه أو تضعيفه، نكتفي بحكم الحافظ ابن حجر في «التقريب» مع الإشارة إلىٰ بعض مصادر ترجمته المطولة، وإن كان مختلفًا فيه؛ نحاول ذكر جميع ما قيل فيه إن كانت الأقوال قليلة، أو نختار أهم الأقوال إن كانت كثيرة، ونبدأ بذكر أقوال المعدلين، ثم أقوال المجرحين، ثم نختم بذكر قول

الذهبي -إن وجد- ثم قول الحافظ في «التقريب» . ونعتمد قول الحافظ ثم الذهبي ثم باقي علماء الجرح والتعديل.

وإن ٱختلفت فيه الأقوال ولم نتمكن من الترجيح نقول: مختلف فيه. وإن لم نجد له ترجمة نقول: لم أجده، وإن ٱشتبه علينا الٱسم ولم نتمكن من تحديده نقول: لم يتبين لي من هو.

وننبه أنه بسبب تدليس المصنف في الأسماء كان يصعب علينا التمييز بينها فكان مرة يذكر الراوي منسوبًا لجده أو لجد جده، أو بالكنية فقط، ٱبتداءً من أسماء شيوخه إلىٰ من دون الصحابي، علمًا بأنه من الممكن أن نجد في الطبقة الواحدة أكثر من راوٍ بنفس الٱسم.

وأحيانًا يذكر المصنف الراوي في موضع باسم مختصر، ثم يذكر الٱسم كاملًا في موضع آخر.

- نذكر ٱسم الرجل فقط إذا تكرر مع ذكر القول الراجح فيه من حيث الجرح والتعديل.

٢- ترجمة الأعلام المذكورة غير رجال الأسانيد في الموضع الأول الذي وردوا فيه؛ مبرزين بعض مناقبهم وفضائلهم.

٣- الحكم علىٰ أسانيد المصنف بالصحة، أو الحسن، أو الضعف، أو الوضع؛ إلا إن كان في الإسناد رجل لم نظفر له بترجمة، أو لم أجد فيه جرحًا ولا تعديلًا، فإنا لا نحكم على الإسناد خشية أن يكون كذابًا، أو متروكًا، ونقول عوضًا عن ذلك: في إسناده فلان لم نجد له ترجمة، أو لم نجد فيه جرحًا ولا تعديلًا.

ونبه هنا علىٰ أن الحكم على الإسناد بالصحة أو الرد لا يعني صحة الحديث أو ضعفه، فهناك أحاديث صحيحة حكمنا عليها بالضعف لضعف إسناد المصنف، وأحيانًا نشير إلىٰ وجود طرق أخرىٰ صحيحة للحديث غير طريق المصنف وفي الغالب نترك ذلك إلىٰ تخريج الحديث.

فلينتبه القارئ لذلك، **وبخاصة عند ذكر الإسرائيليات فقد تجد أنه محكوم على الإسناد بالصحة، فلا يغرنك ذلك.**

٤- المعلقات التي يذكرها المصنف فيها ثلاثة رواه أو أكثر تعاملنا معها بنفس طريقة الأحاديث المسندة، غير أنها غالبا لم تدخل في الترقيم التسلسلي للروايات المسندة.

٥- **أخيرًا**: قد أفردنا مجلدًا كبيرًا للأعلام المترجم لهم في كل الكتاب مرتبين علىٰ حروف المعجم.

رابعًا: الجانب الفقهي:

- عزو الأقوال الفقهية لأصاحبها مع دراسة مختصرة عن المسألة - في الغالب- وذكر الآختلاف فيها إن وجد.

خامسًا: اللغة:

١- توثيق القراءات وعزوها -وبخاصة الشاذة منها- إلىٰ مظانها من كتب القراءات؛ فإن لم نجدها، فمن كتب التفسير التي تُعنىٰ بذكر القراءات.

٢- تخريج الأبيات الشعرية، وعزوها إلىٰ قائليها، مع بيان الفروق

بين رواية المصنف ورواية غيره.

٣- شرح الألفاظ الغريبة.

٤- التعريف بالأماكن، والقبائل، والبلدان بإيجاز.

٥- ضبط المشكل من الأعلام أو الألفاظ.

*** المطلب الثاني: منهج التنسيق والمراجعة:**

عندما قامت اللجنة المشرفة علىٰ مهمة جمع وتنسيق هٰذا الكتاب - من خلال تسلم إحدىٰ وعشرين رسالة جامعية نوقشت بجامعة أم القرىٰ قامت بتحقيق الكتاب- ٱتفقت علىٰ منهج عام يطبق علىٰ جميع الرسائل ويتوافق مع المنهج الأكاديمي في الجامعات، وذلك حرصًا منها علىٰ بقاء جهد الباحثين في هٰذا العمل الضخم، مع عدم إرهاق القارئ بكثرة التكرار في التراجم والمقدمات التي قام بها كل باحث علىٰ حدة، مع وضع قواعد فنية لإخراج الكتاب في حُلة قشيبة؛ فأسندت اللجنة هٰذا العمل إلىٰ «دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث» بمدينة الفيوم بمصر، لتقوم به وفق هٰذا المنهج علميًّا وفنيًا، وقد سبق للدار جمع كتاب «البسيط» للواحدي، الذي كان في خمس عشرة رسالة بجامعة الإمام محمد بن سعود.

وسرنا في نهج التنسيق والمراجعة على النحو الآتي:

- توحيد منهج التحقيق والتخريج والحكم على الإسناد -قدر المستطاع- على النحو المشار إليه في منهج التحقيق.

- حذف التراجم المكررة والاكتفاء بالترجمة في أول موضع يذكر فيه صاحب الترجمة، والاكتفاء عند تكراره بذكر ٱسمه ورتبته من حيث الجرح والتعديل، مع إصلاح ما قد يوجد من أخطاء في رجال الأسانيد، وبخاصة وأن الثعلبي يبهم في الأسماء ويدلس فيها كثيرا جدًا، وتمت مراجعتها كلها علىٰ قدر المستطاع، والحمد لله.

- ترقيم الأحاديث والآثار المسندة في الكتاب كله.

- توحيد المصادر والمراجع المستخدمة في تحقيق الكتاب، وقد أرفق بها ثبت في نهاية الكتاب مع الفهارس.

- أما بالنسبة لرموز المخطوطات فقد وحدناها في معظم الكتاب ولم يتيسر فِعل ذلك في العموم؛ لاختلاف ٱختيارات كل باحث للنسخة الأصل وبعض الأسباب الفنية، لكننا وضحنا رموز كل محقق عند الكلام على النسخ الخطية.

- أما النواحي الفنية فكان أبرز ما فيها:

نسخ جميع الآيات القرآنية وفق رسم المصحف، مع ترقيم الآيات علىٰ يمين الصفحة بشكل مميز، ووضع ٱسم السورة في أعلىٰ الصفحات الفردية، ورقم الجزء من القرآن أعلىٰ الصفحات الزوجية، وتمييز الآيات المفسرة فقط بلون أقرب إلى الأحمر، وكذلك تمييز الأحاديث القولية المرفوعة مع وضعها بين أقواس « ».

تمييز بعض العناوين الفرعية بالأسود الغامق.

أما في الحاشية:

فتم تمييز كلمات: (الحكم على الإسناد) و(التخريج) باللون الأحمر.

تمييز الأعلام المترجم لهم بالأسود الغامق، وكذا الكلمات المشروحة.

تمييز رقم الحاشية في المتن وفي الهامش باللون الأحمر.

- **تم عمل الفهارس الآتية:**

١- فهرس الأرباع.

٢- القراءات المتواترة غير حفص.

٣- القراءات الشاذة.

٤- الأحاديث القولية.

٥- الأحاديث الفعلية.

٦- الآثار.

٧- رجال الإسناد.

٨- الأعلام المترجم لهم غير رجال الإسناد.

٩- فهرس شيوخ المصنف.

١٠- الفرق والأديان.

١١- الشعر.

١٢- الألفاظ المشروحة لغويًا.

١٣- موضوعات القرآن الكريم (وهو مستفاد من كتاب: دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم).

١٤- فهرس المصادر والمراجع.

١٥- فهرس ترتيب الكتاب ببيان موضع بداية السور والأجزاء والأرباع.

* * *

المبحث الثاني

وصف النسخ الخطية

اعتمد الباحثون في تحقيق هذا الكتاب علىٰ عشر نسخ خطية ليس منها نسخة كاملة تماما، وبيانها كالآتي:

النسخة الأولى: النسخة المحمودية:

وتوجد منها صور في:

أ- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرىٰ (مكة المكرمة) برقم: (٩٩ تفسير).

ب- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض) برقم: (٣٣٣) أو (٨٩٨ف)[١].

جـ- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم: (٦٤٣ف)[٢].

د- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم: (٥٢٦ف).

وتحتوي هٰذِه النسخة علىٰ معظم تفسير «الكشف والبيان»، حيث تتكوَّن من ثلاثة عشر جزءًا، يوجد منها تسعة أجزاء، والباقي ناقص، وتبدأ النسخة من الجزء الأول إلى الجزء الرابع على التوالي، من

---

(١) فهرس المخطوطات والمصورات -التفسير وعلوم القرآن- جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية (٢/ ١٧٨).

(٢) فهرست كتب التفسير في الجامعة الإسلامية (ص ٤٦٥- ٤٦٦).

أول الكتاب إلىٰ نهاية تفسير سورة النساء، ثم الجزء السادس والسابع من الآية (٩٣) من سورة الأعراف إلىٰ نهاية سورة النحل.

ثم الجزء العاشر والحادي عشر من أول سورة الزمر إلىٰ نهاية سورة الطور.

ثم الجزء الثاني عشر: من بداية سورة النجم إلىٰ نهاية المدثر.

ثم الجزء الثالث عشر: من أول سورة القيامة إلىٰ نهاية القرآن.

والنسخة مكتوبة بخط كبير واضح، وإن كانت الأوراق الأولىٰ منها قد أثَّرت فيها الرطوبة. والأقواس المحيطة بالآيات القرآنية مكتوبة بخط أحمر، وتوجد بهوامشها شروح وتعليقات بخط يد الناسخ. وقد سجَّل الناسخ عقب كل ٱنتهاء جزء تاريخَ فراغه من الكتابة.

وهٰذِه النسخة مسجَّلة في المكتبة المحمودية بالأرقام الآتية: (١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧) تفسير.

عدد أسطر صفحتها (١٩) سطرًا. ومسطرتها (٢١×١٤).

وتاريخ النسخ: حوالي سنة (٦٣٠). وفرغ منها ناسخها في ستٍّ بقين من ربيع الآخر من السنة نفسها.

واسم الناسخ: حامد بن محمد بن حامد الشتري.

- وقد تميزت هٰذِه النسخة بما يأتي:

١- أنَّها مسندة، حيث ورد في أولها إسناد متصل إلى المؤلف، ويزيد في قيمة الإسناد أنَّه من طريق تلميذ المؤلف المشهور: أبي

الحسن الواحدي، عن شيخه الثعلبي.

وهٰذا الأمر يزيد هٰذِه النسخة توثيقًا وإثباتًا وقيمةً وأهمية.

٢- تقدُّم تاريخ نسخها، وقربه من عصر المؤلف، وتدوين ٱسم ناسخها وتاريخ الفراغ من كلٍّ جزء في آخره.

٣- العناية بهٰذِه النسخة بمقابلتها بنسخةٍ أو نُسخ أخرىٰ، وتصحيحها وتصويبها في الهامش.

٤- ندرة التصحيف والتحريف في هٰذِه النسخة.

٥- وضوح خطِّها وظهوره، وضبطه وتشكيله. إلا في بعض المواضع التي تأثَّرت بالرطوبة.

- ويوجد في هٰذِه النسخة سقط في تفسير سورة الفاتحة، حيث سقط جزء كبير من تفسيرها، كما توجد بعض الأسطر فيها طمس، إمَّا من أثر الرطوبة، أو بسبب اللاصق الطامس الذي وضع علىٰ بعض المواضع عند القيام بترميم المخطوطة والعناية بها في المكتبة المحمودية، وكان الأولىٰ بمن رمَّم المخطوطة وأصلحها أن يضع لاصقًا شفافًا يمكن رؤية الكتابة من ورائه.

- واعتمد علىٰ هٰذِه النسخة أصحاب الرسائل: (١، ٢، ٣، ٤، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١).

- ورمز لها في هٰذِه الرسائل على التوالي: الأصل أو (س)، الأصل أو (س)، س، م، الأصل، الأصل، ح، الأصل، م، الأصل، ح، ح، الأصل، ب).

النسخة الثانية: النسخة التركيَّة (السُّليمانيَّة):

وهي موجودة في المكتبة السليمانيَّة بتركيا، تحت الرقم (١٠٢) قسم داماد إبراهيم باشا[١].

وتوجد منها صورة في أربعة أفلام ميكروفيلم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وهٰذِه النسخة هي النسخة الوحيدة الكاملة تقريبا لتفسير «الكشف والبيان».

وتقع في (١٦٧٨) ورقة، وعدد الأسطر (٢٥) سطرًا، ومسطرتها (٢١×١١). وخطها جيد وصغير ومتقارب الكلمات.

وتتكون من أربعة أجزاء في أربعة مجلدات، كل جزء له ترقيمٌ مستقل.

وتاريخ نسخها في عام (١١٨٦هـ).

وناسخها هو: إبراهيم بن محمد بن أحمد، المشهور بعربجي باشا وفي بعض المواضع (عمير بجي) رحمه الله، وقد ٱنتهىٰ من نسخها في يوم السبت خامس عشر شهر الله المحرم سنة ١١٨٦هـ، فهي متأخرة جدًّا.

وكذا يوجد في هامش بعض الأوراق تصويبات واستدراكات وفي ثنايا أوراق المخطوط خاتم ظهر منه ما يأتي:

.... وقف ... الحاج مصطفىٰ أغا ابن المرحوم الحاج حسين أغا

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة داماد إبراهيم باشا (ص٩).

... والله أعلم، وصلَّىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

فمن الملاحظ أن هٰذِه النسخة تعاقب عليها عدد من النساخ، وكتبت علىٰ فترات مختلفة لاستكمالها.

وتتميز هٰذِه النسخة بأنها النسخة الوحيدة الكاملة تقريبا، ولذلك تمَّ تقسيم الكتاب من قبل اللجنة المنبثقة من قسم الكتاب والسنَّة علىٰ هٰذِه النسخة.

وهٰذِه النسخة يقع فيها تصحيف وتحريف، إلا أنَّها مع ذلك تبقىٰ نسخة هامة، تمتاز بكمالها، وعدم وجود سقط فيها، أو بياض أو مسح.

- واعتمد علىٰ هٰذِه النسخة أصحاب الرسائل: (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١).

- ورمز لها في هٰذِه الرسائل على التوالي: (ت، أ، الأصل، ت، ت، ت، ك، الأصل، الأصل، ج، الأصل، م، أ، الأصل، الأصل، س، ج).

النسخة الثالثة:

هٰذِه النسخة لا يوجد ما يدل علىٰ مصدرها، وهي قريبة من النسخة المصورة من مكتبة أصفهان.

- كذلك لا يوجد عليها تاريخ يوضح الزمن الذي كتبت فيه، ولكنها قد تكون أقرب للمؤلف.

- تبدأ من سورة الأحزاب في منتصف الورقة الأولىٰ، يسبقها

ثمانية أسطر من تفسير سورة السجدة، وتنتهي بقوله تعالىٰ: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ الآية السادسة من سورة الصافات.

- عدد أوراقها ثمانية وخمسون، بكل ورقة صفحتان، تبدأ برقم (٣٦٣)، وتنتهي بـ (٤٧٨).

- عدد الأسطر ثلاثة وعشرون سطرًا بكل ورقة، وهو عدد قليل نسبيًّا؛ مما ترتب عليه زيادة المسافة بين الأسطر، وزيادة عدد الأوراق، والوضوح.

- كتبت النسخة بخط كبير، إلا أن كلماتها غير منقوطة في الغالب، ويوجد بها سقط كثير ومسح وتحريف وإغراب في بعض الألفاظ.

- واعتمد علىٰ هٰذِه النسخة كأصل لرسالته صاحب الرسالة (١٤) فقط، ولم يعتمدها أحد غيره لاحتوائها علىٰ ما قرر عليه من التحقيق.

النسخة الرابعة: نسخة جاريت يهودا:

وهي في مجموعة (جاريت يهودا) بمكتبة جامعة برنستون الأمريكيَّة، برقم (٨٠٠)[1].

والجزء الأول منها مصوَّر على الشريط المصغر (الميكروفيلم) في مكتبة الملك فهد الوطنيَّة بالرياض، بنفس الرقم السابق، في (٢٧٧) ورقة (لوحة)، وعدد الأسطر (١٧) سطرًا، ومسطرتها (١٧×١١).

---

(١) انظر: «الفهرس الشامل» ١/ ٨٤.

والخط واضح، وتاريخ النسخ في القرن السادس أو السابع.

والجزء الثامن عدد لوحاته (١٨٦) لوحة، وعدد الأسطر (١١) سطرًا، ومسطرتها ١٦ × ١٠ والخط واضح أيضًا، وسليمة من الطمس والبياض.

تاريخ نسخها: في جمادى الآخرة سنة (٦٠٠هـ).

واسم ناسخها: محمد بن يحيىٰ بن محمد بن عبيد الله البغدادي.

وتمتاز هٰذِه النسخة بما يأتي:

١- سلامتها من الطمس والبياض.

٢- وضوح الخط وشكله.

٣- ندرة التصحيف والتحريف فيها.

٤- ضبط هٰذِه النسخة ومقابلتها وتصحيحها، ولذلك وضع بعد كل مقطع دائرة منقوطة علامة على المقابلة.

٥- ومن أبرز ما تميَّزت به هٰذِه النسخة: الدِّقة في أسماء الرواة والأعلام، وخاصَّةً رجال الأسانيد.

- ويؤخذ علىٰ هٰذِه النسخة ما يأتي:

١- وجود سقط في مقدمة المؤلف، حيث تبدأ المقدمة فيها بذكر مصادر المؤلف، وما قبلها ساقط.

٢- حذف كلمة (قال) عند تتابع الأقوال، والاقتصار علىٰ ذكر الأسم وبعده القول. وهٰذا تصرُّف من الناسخ أساء به إلىٰ هٰذِه النسخة القيِّمة.

٣- عدم ترتيب بعض أوراق المخطوط وتسلسلها، وتداخل صفحاتها.

٤- عدم تصدير الآية بعبارة (قوله ﷻ) قبل تفسيرها، وحذف هٰذِه العبارة ونحوها خلط تفسير الآيات بعضها ببعض دون تمييز بين آية وأخرىٰ.

- واعتمد علىٰ هٰذِه النسخة أصحاب الرسائل: (١، ٢١).
- ورمز لها في هٰذِه الرسائل على التوالي: (ج، الأصل).

النسخة الخامسة: نسخة شستربتي:

وهي من مكتبة شستربتي في «أيرلندا الشمالية - دبلن»، ورقمها هناك (٣٨٧٦، ٣٩٠٣). وتشمل المجلد الأول من التفسير ويحتوي علىٰ تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، ويقع في (٣٤٩) ورقة.

وتاريخ النسخ (٦٩٩هـ) ولا يُعرف الناسخ[1].

وعدد الأسطر (٢١) سطرًا، ومسطرتها (١٤×٢٤) وخطها نسخي جيد، وفي هامشها تصويبات كثيرة.

وهٰذا الجزء مصوَّر علىٰ شريط مصغر (ميكروفيلم) في معهد البحث العلمي بجامعة أم القرىٰ، برقم (٣٢٨) تفسير وعلوم قرآن.

وتتميَّز هٰذِه النسخة بوضوح خطها كما أنها سليمة من النقص

(١) «الفهرس الشامل» ١/ ٨٥.

والسقط والبياض، إلا أنَّه يعيبها كثرة التصحيف والتحريف فيها.

- واعتمد علىٰ هٰذِه النسخة أصحاب الرسائل: (١، ٢، ١٥).

- ورمز لها في هٰذِه الرسائل على التوالي: (ش، ش، ج).

النسخة السادسة:

نسخة موجودة في مكتبة دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٩٧) تفسير، توجد منها صورة في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرىٰ، علىٰ ميكروفيلم رقم (١١٤٧) تفسير، وهي تحوي الجزء المراد تحقيقه كاملًا:

وخطها: نسخ معتاد، وعدد أوراقها (٢١١) ورقة، من أول سورة الشعراء إلىٰ تفسير قوله: (هم الذين كفروا وصدوكم...) من سورة الفتح، وعدد الأسطر (٣١) سطرًا، ومقاسها (١١/ ٢٥) سم، ولا يعرف تاريخ نسخها ولا اسم ناسخها.

وهٰذِه النسخة كلماتها غير واضحة في كثير من المواضع، ويوجد بها تخريجات، وألفاظ التحديث فيها مختصرة كالنسخة المحمودية، ولا يوجد بها سقط في الغالب.

- واعتمد علىٰ هٰذِه النسخة صاحب الرسائل (١٥) فقط، وقد رمز لها بالرمز (ب).

النسخة السابعة: المغربية:

وهي نسخة موجودة في مكتبة الخزانة العامة، بمدينة الرباط، في المغرب، ولها مصورة في الجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية، تحت رقم (٣٠٤٣) تفسير.

وعدد أوراق المجلدة (٢٩٥) لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٢٢) سطرًا تقريبًا، وفي كل سطر أكثر من (١٢) كلمة تقريبًا.

وناسخ هٰذِه النسخة هو: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن عبد الله بن سهلويه رحمه الله، وقد ٱنتهىٰ من نسخها في سلخ ربيع الأول سنة ٤٣٠هـ، بعد وفاة المؤلف بثلاث سنوات وثلاثة أشهر.

وهي نسخة قيمة، لقربها من عصر المؤلف، مكتوبة بخط واضح مقروء وكبير، وبها ضبط بالشكل للآيات، وكثير من الأعلام، وفيها دقة وتحرير.

- واعتمد علىٰ هٰذِه النسخة أصحاب الرسالتين (٤، ٥).
- ورمزا لها برمز (الأصل).

النسخة الثامنة: النسخة الفرنسيَّة:

ومصدرها: المكتبة الوطنيَّة في باريس[١]. ورقمها: (٥٩٥).

وتحتوي هٰذِه النسخة علىٰ جزء من التفسير يشمل تفسير سورة

(١) «الفهرس الشامل» (١/ ٨٥).

الفاتحة، وسورة البقرة إلى الآية (٢٧٧). وعدد أوراق هٰذا الجزء: (٣٢٨) ورقة. وعدد الأسطر: (٢١) سطرًا، ومسطرته: (١٥×٢٣). وخطه: جيد وواضح. ولكن النَّقْط ممسوح أحيانًا. وتاريخ النسخ: في القرن الثامن.

وهٰذا الجزء مصوَّر في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة -قسم المخطوطات- علىٰ فيلم رقمه (٨٩٩٨). وهي سليمة من السقط والبياض، ولكنها كثيرة التصحيف والتحريف.

- واعتمد عليها صاحب الرسالة (١) فقط، ورمز لها بالرمز (ف).

النسخة التاسعة: نسخة المكتبة الأزهرية:

وهي نسخة من مكتبة الأزهر مرقومة برقم (١٣٦) تفسير، في أربع مجلدات، وتنتهي في أثناء سورة الفرقان، وعدد أوراق الجزء الأول (٢٩٧)، والثاني (١٩٠)، والثالث (١٣٤٩)، والرابع (٢٣١)، ومسطرتها ٢٢سم، وخطها نسخ جيد واضح، إلا أن بها خروما وآثار رطوبة.

الجزء الثاني، ويبدأ من قوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾: [البقرة: ١٨٧] إلىٰ نهاية السورة، وتوجد في المكتبة الأزهرية برقم ([٣١٣] ٥٥٦١)[1].

---

(١) «فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية» ١/ ٢٨٥، وانظر: «الفهرس الشامل» ١/ ٨٦.

وله صورة في: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرىٰ، برقم: (١١٧٩) تفسير[1].

وخطها نسخ واضح، بقلم معتاد قديم بها تلويث، وآثار حرق، وخروم، وفي هامشها تصحيحات وتعليقات، ويبدو أنها قرأت وصححت على النسخة المحمودية.

اسم الناسخ: محمد بن يوسف بن عيسى الأشموني.

تاريخ نهاية النسخ: يوم الخميس العاشر من صفر سنة (٧٤٠هـ).

عدد الأوراق: (١٧٧) لوحة، أي (٣٥٤) صفحة.

عدد الأسطر: (٢١) سطرًا.

- واعتمد علىٰ هٰذِه النسخة أصحاب الرسائل: (٢، ٩، ١٠).
- ورمز لها في هٰذِه الرسائل بالرمز (ز).

النسخة العاشرة: نسخة المسجد النَّبوي:

وتوجد في مكتبة المسجد النبوي، قسم المخطوطات، وتقع في خمسة أجزاء:

الجزء الأول: ويبدأ من أول الكتاب إلىٰ نهاية تفسير سورة البقرة. ورقمه (٣٦/ ٢١٢) وعدد أوراقه (١٤٦).

والثاني: يشتمل علىٰ تفسير سورة آل عمران. ورقمه (٣٧/ ٢١٢)

---

(١) «فهرس علوم القرآن المصورات بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي» ٢/ ٢٣٥.

وعدد أوراقه (١٧٠).

والثالث: يشتمل علىٰ تفسير سورة النساء والمائدة والأنعام. ورقمه (٣٨/ ٢١٢)، وعدد أوراقه (٢٨٢).

والرابع: ويبدأ من تفسير سورة الأعراف إلىٰ نهاية تفسير سورة النحل ورقمه (٣٩/ ٢١٢) وعدد أوراقه (١٦٨).

والخامس: يبدأ من أول تفسير سورة الإسراء إلىٰ نهاية سورة الشعراء ورقمه (٤٠/ ٢١٢)، وعدد أوراقه (٢٦٠).

ولا يعرف تاريخ النسخ ولا الناسخ.

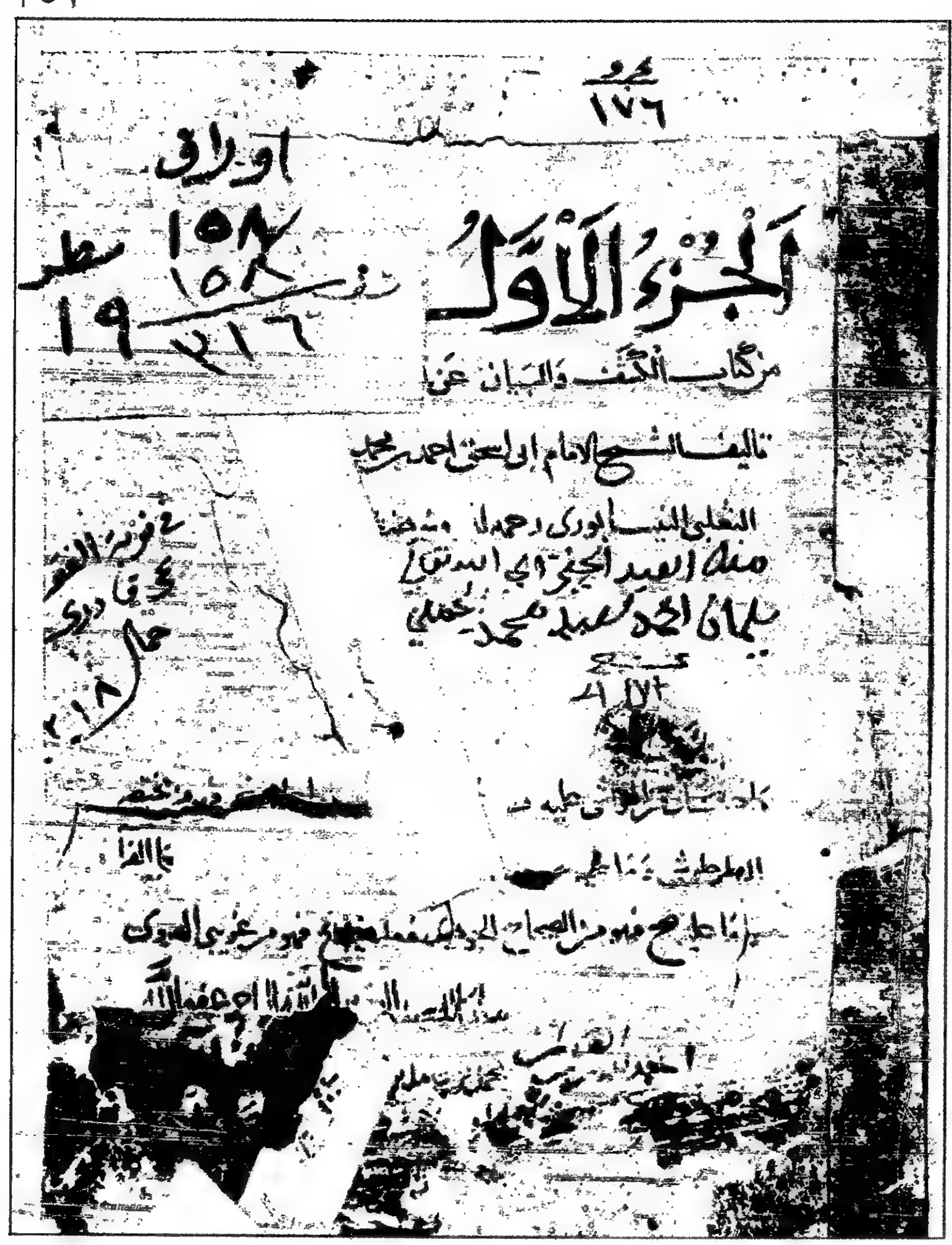
وخطها دقيق وصغير، ومتقارب تقاربًا يؤدي أحيانًا إلى ٱختلاط الكلام بعضه ببعض، كما أنها لم تسلم من التصحيف والتحريف.

- واعتمد علىٰ هٰذِه النسخة أصحاب الرسائل: (١، ٢، ٣، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢).

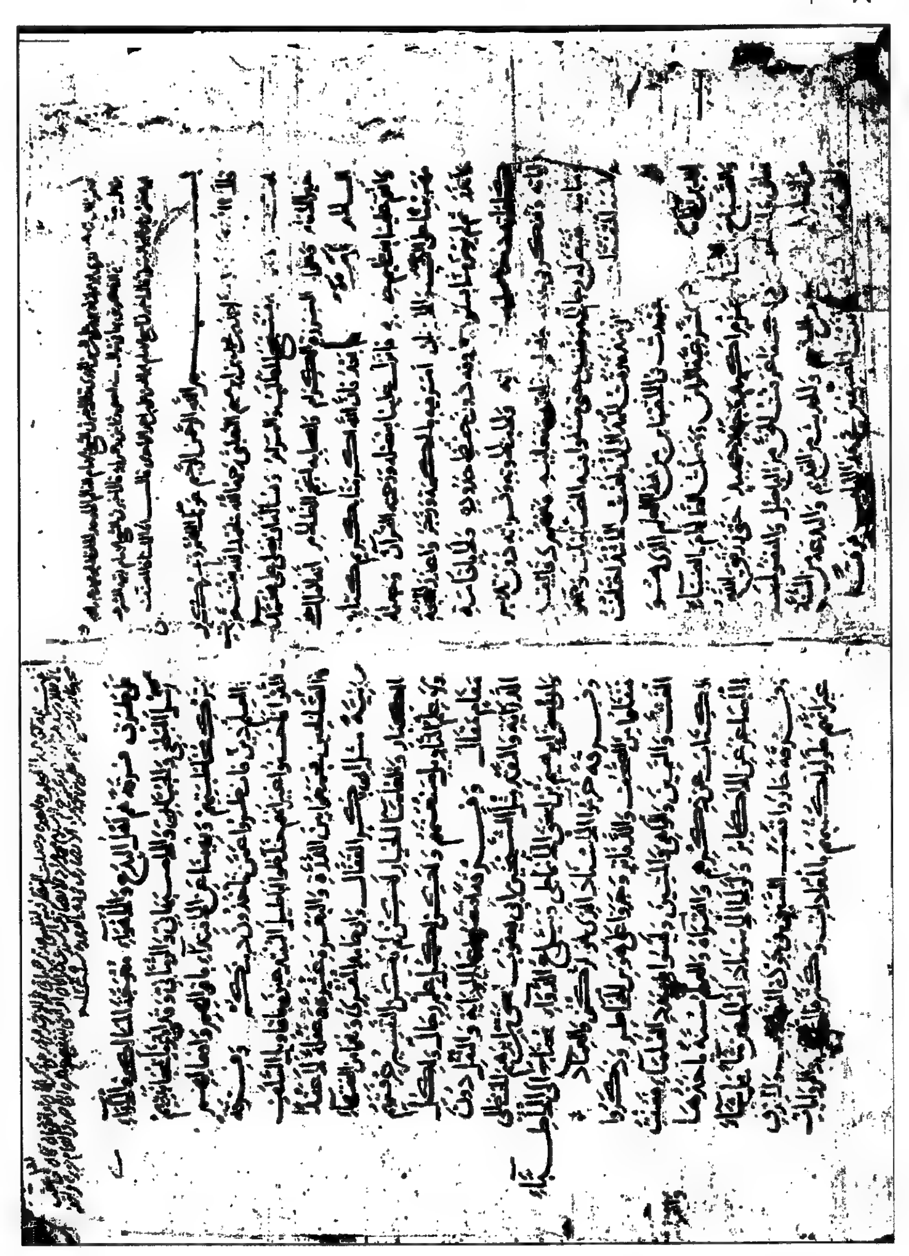
- ورمز لها في هٰذِه الرسائل بالرموز: (ن، ح، ن، ن، ن، م، ب، ب، ح).

نماذج من النسخ الخطية

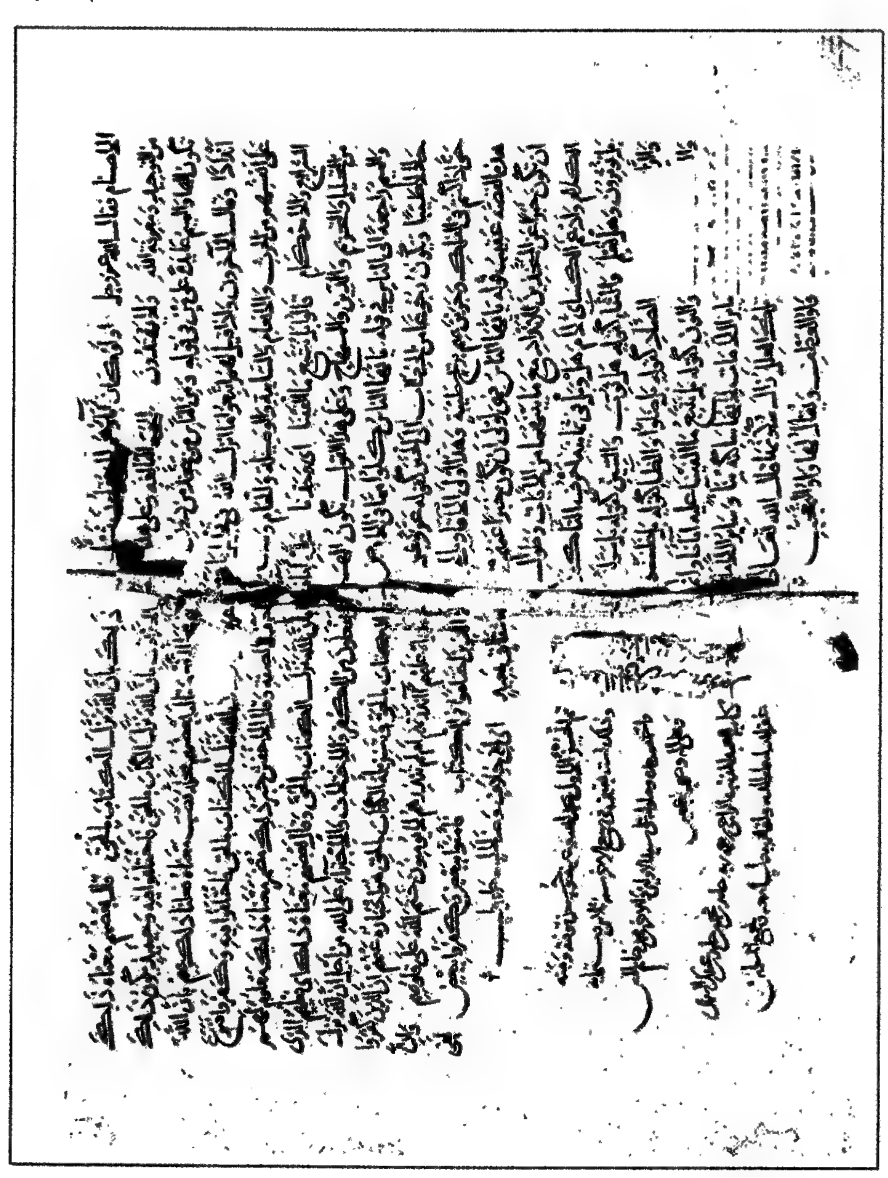




ظهرية الجزء الأول من النسخة الأولى المحمودية



الورقة الأولى من النسخة الأولى المحمودية

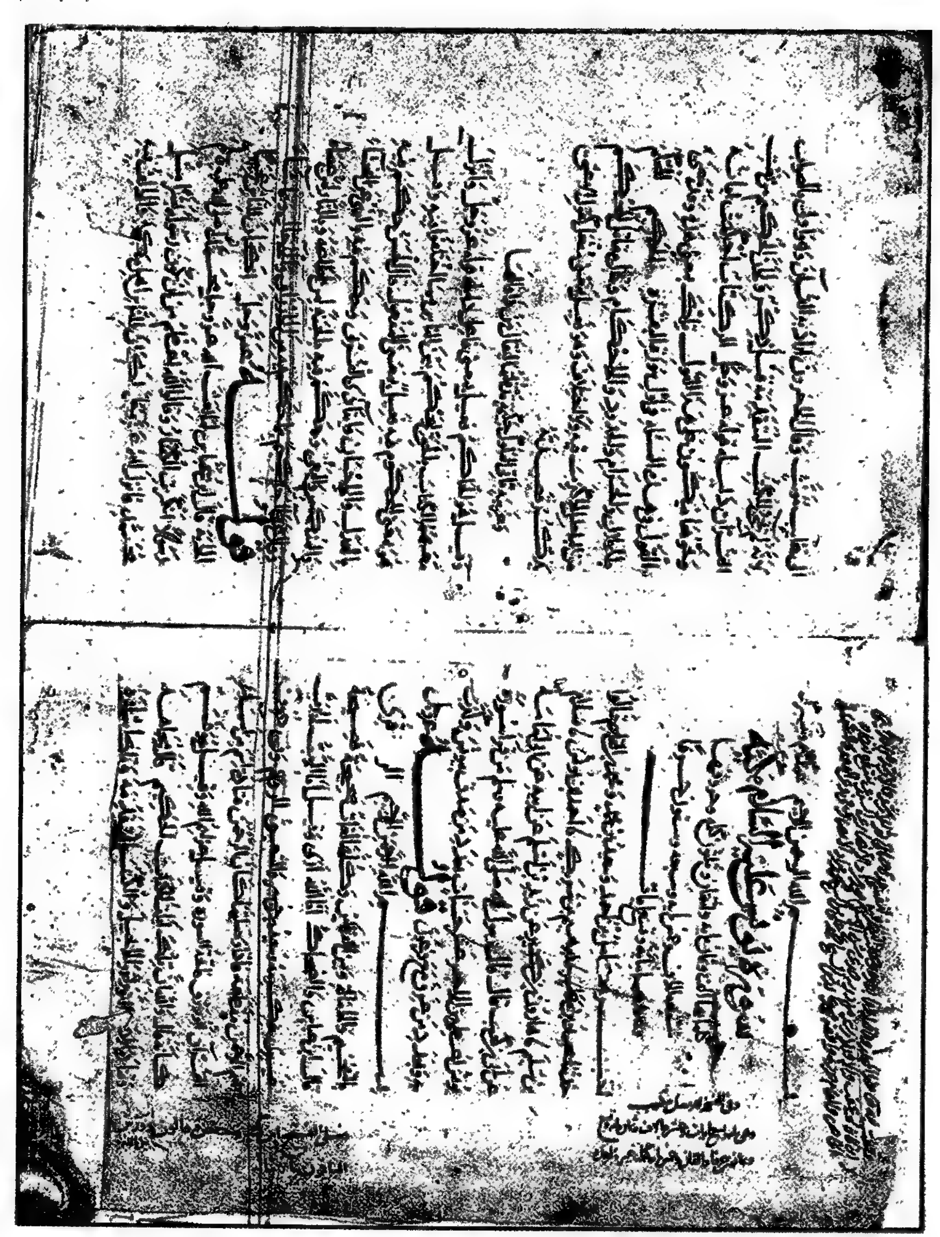


نهاية الجزء الأول من النسخة الأولى المحمودية

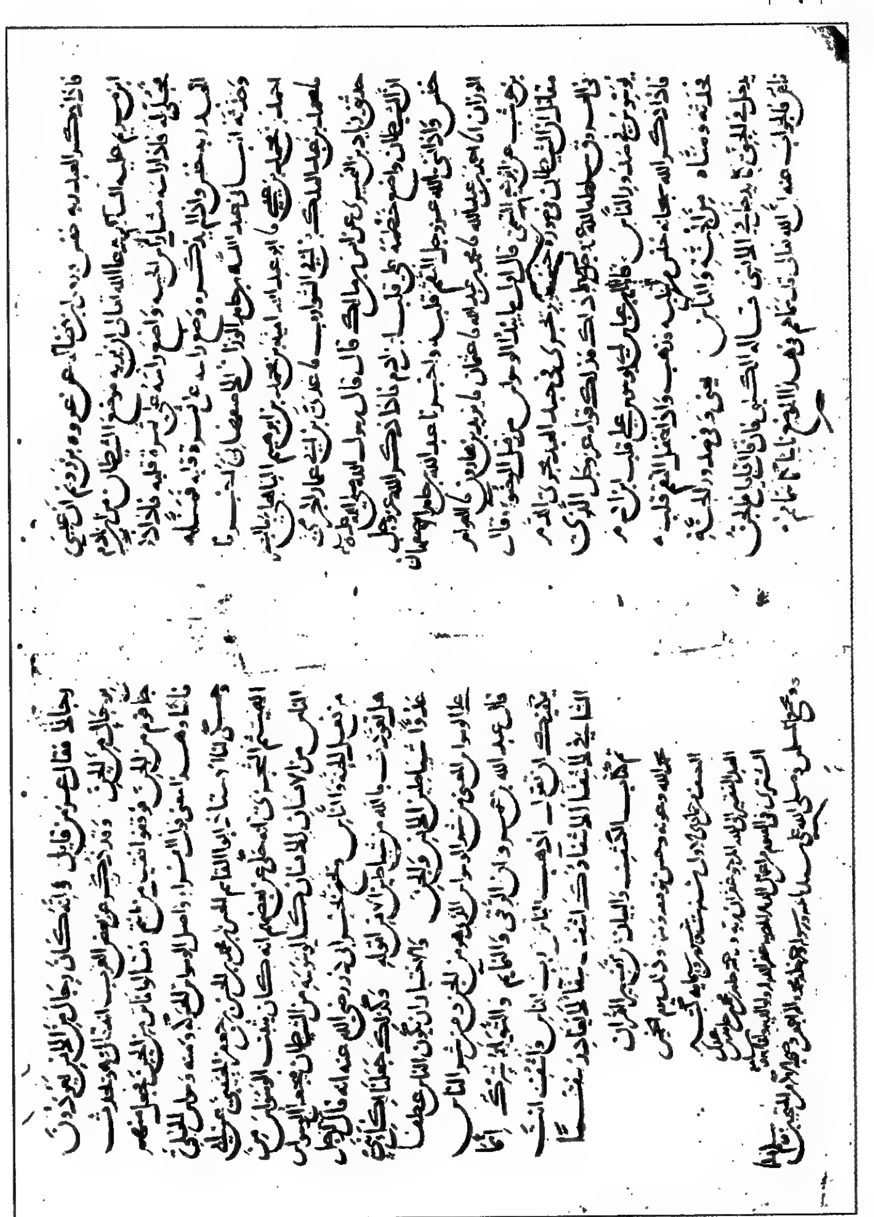
ووليّنا وأولى بنا فانصرنا على القوم الكافرين أخبرنا
عبد الله بن حامد الأصبهاني قال نا محمد بن جعفر المطيري قال نا علي
الموصلي قال نا ابن فضيل قال نا عطاء عن سعيد عن ابن عباس في قول الله
آمن الرسول الى قوله واليك المصير قال غفرت لكم لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الى قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال لا أؤاخذ
ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به قال لا احملكم واعف عنا الى آخر السورة قال قد
عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم
الكافرين اخبرني ابو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ
... نا عمر بن احمد القطان قال نا محمد بن

تمّ ... قال آمين

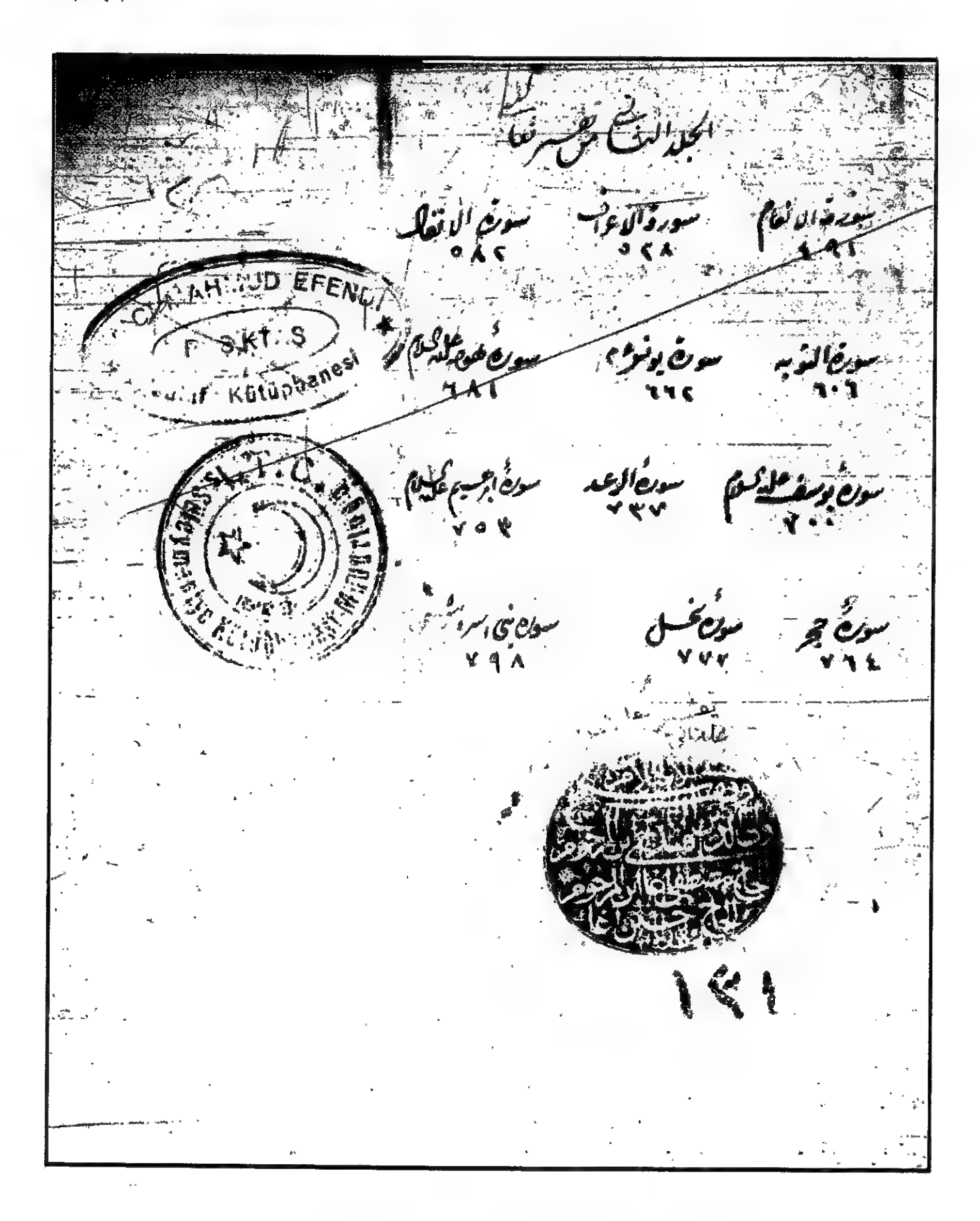
نهاية تفسير سورة البقرة من النسخة الأولى المحمودية



بداية تفسير سورة يونس من النسخة الأولى المحمودية



نهاية النسخة الأولى المحمودية

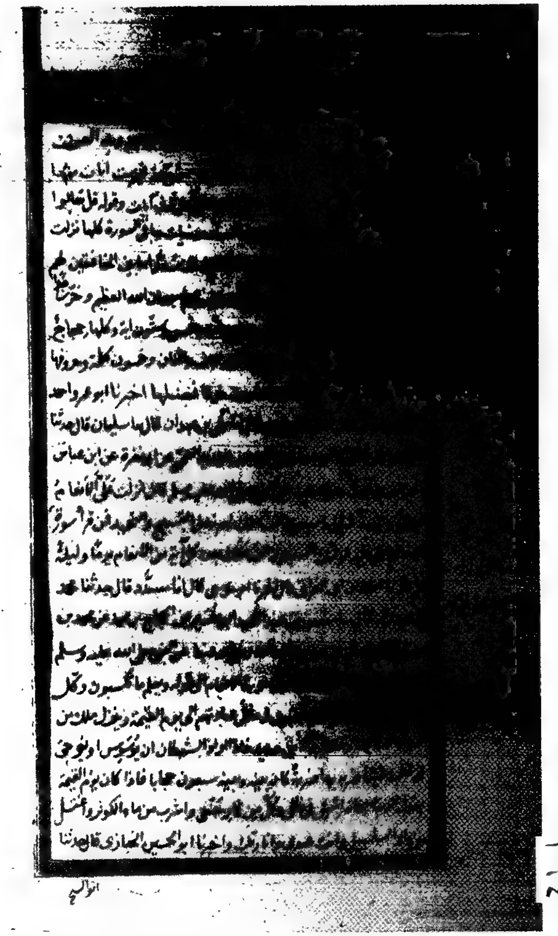


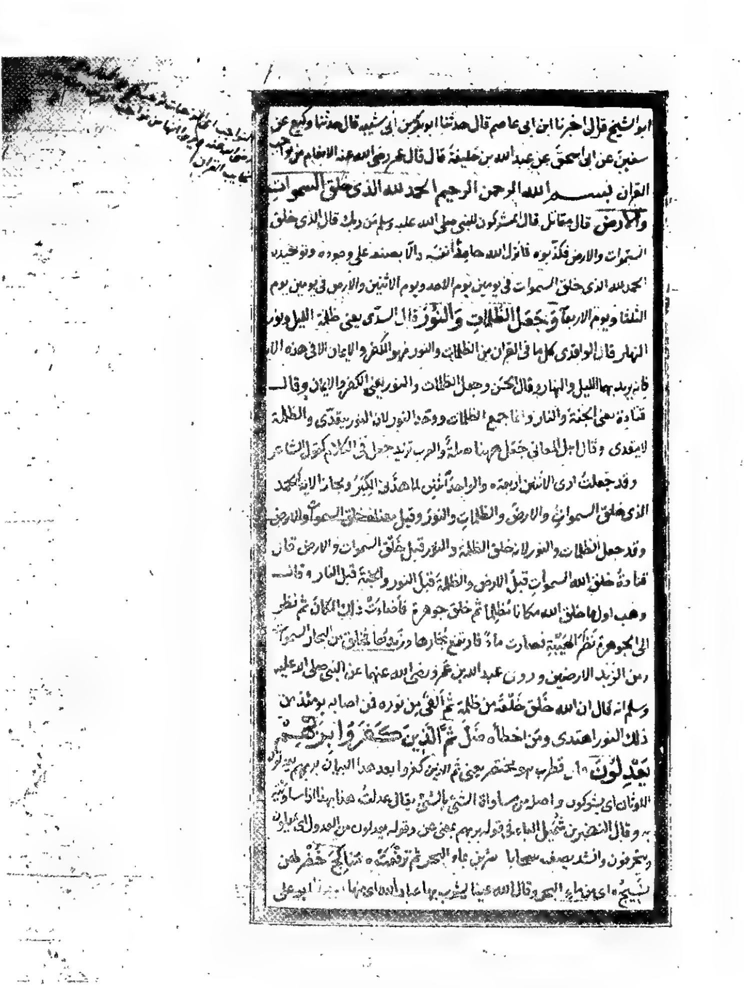
المجلد الثاني من تفسير

سورة الانعام	سورة الاعراف	سورة الانفال
٤٩١	٥٢٨	٥٨٢
سورة التوبة	سورة يونس	سورة هود عليه السلام
٦٠٦	٦٦٢	٦٨١
سورة يوسف عليه السلام	سورة الرعد	سورة ابراهيم عليه السلام
٧٠٠	٧٣٧	٧٥٤
سورة حجر	سورة نحل	سورة بني اسرائيل
٧٦٤	٧٧٢	٧٩٨

١٢٩١

فهرس المجلد الثاني من النسخة التركية





ابو الشيخ قال اخبرنا ابن ابي عاصم قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا وكيع عن
سفين عن ابي اسحق عن عبد الله بن خليفة قال قال عمر رضي الله عنه الانعام من نواجب
القران بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات
والارض قال مقاتل قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم من ربك قال الذي خلق
السموات والارض فكذبوه فانزل الله حامدا نفسه دالا بصنعه على وجوده وتوحيده
الحمد لله الذي خلق السموات في يومين يوم الاحد ويوم الاثنين والارض في يومين يوم
الثلثا ويوم الاربعا وجعل الظلمات والنور قال السدي يعني ظلمة الليل ونور
النهار قال الواقدي كل ما في القران من الظلمات والنور فهو الكفر والايمان الا في هذه الاية
فانه يريد بها الليل والنهار وقال الحسن وجعل الظلمات والنور يعني الكفر والايمان وقال
قتادة يعني الجنة والنار وانما جمع الظلمات ووحد النور لان النور يتعدى والظلمة
لا يتعدى وقال اهل المعاني جعل هاهنا صلة والعرب تزيد جعل في الكلام كقول الشاعر
وقد جعلت ارى الاثنين اربعة والواحد اثنين لما هدني الكبر ومجاز الاية الحمد
الذي خلق السموات والارض والظلمات والنور وقيل معناه خلق السموات والارض
وقد جعل الظلمات والنور لانه خلق الظلمة والنور قبل خلق السموات والارض قال
قتادة خلق الله السموات قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار وقال
وهب اول ما خلق الله مكانا مظلما ثم خلق جوهرة فاضاءت ذلك المكان ثم نظر
الى الجوهرة نظر الهيبة فصارت ماء فارتفع بخارها وزبدها فخلق من البخار السموات
ومن الزبد الارضين وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله خلق خلقه من ظلمة ثم القى من نوره فمن اصابه يومئذ من
ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون قال قطرب هو مختصر يعني ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون
الاوثان اي يشركون واصله من مساواة الشيء بالشيء يقال عدلته بهذا اذا ساويته
به وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم بمعنى عن وقوله يعدلون من العدول اي يميلون
وينحرفون وانشد يصف سحابا شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن
نئيج اي من ماء البحر وقال الله عينا يشرب بها عباد الله اي منها [illegible] ابو علي

بداية تفسير سورة الأنعام من النسخة الثانية التركية

سورة الكهف مكية وهي ستة آلاف وثلثمائة

وستون حرفا والف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة ومائة وعشر آيات

اخبرنا ابو الحسن عبد الرحمن بن ابرهيم بن محمد الطرازي بها قال اخبرني

ابو علي الصفار قال حدثنا الحسن بن الفضل قال حدثنا غياث بن كلوب قال

حدثنا مطرف بن سمرة بن جندب عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم من قرا عشر آيات من سورة الكهف حفظا لم تضره فتنة الدجال

ومن قرا السورة كلها دخل الجنة واخبرني محمد بن القاسم قال حدثنا

عبد الرحمن بن محمد بن حبيب قال حدثنا جعفر بن سهل قال حدثنا احمد بن

حرب قال حدثنا مكي بن ابرهيم عن اسمعيل بن رافع عن ابي اسحق بن عبد الله

بن ابي فروة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على سورة

شيعها سبعون الف ملك حين نزلت وملا عظمها ما بين السماء والارض لتاليها

مثل ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال سورة اصحاب الكهف من قراها يوم الجمعة

غفر له الى الجمعة الاخرى وزيادة ثلثة ايام ولياليها واعطي نورا يبلغ السماء

ووقي فتنة الدجال قوله عز وجل الحمد لله الذي انزل على عبده

الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما مجاز الآية الحمد لله الذي انزل

على عبده الكتاب قيما قال ابن عباس رضي الله عنهما عدلا وقال

الفراء قيما على الكتب كلها مصدقا لشرائعها ولم يجعل له عوجا مقدما ومؤخرا

لينذر بأسا شديدا اي لينذركم بأس شديد من لدنه ويبشر

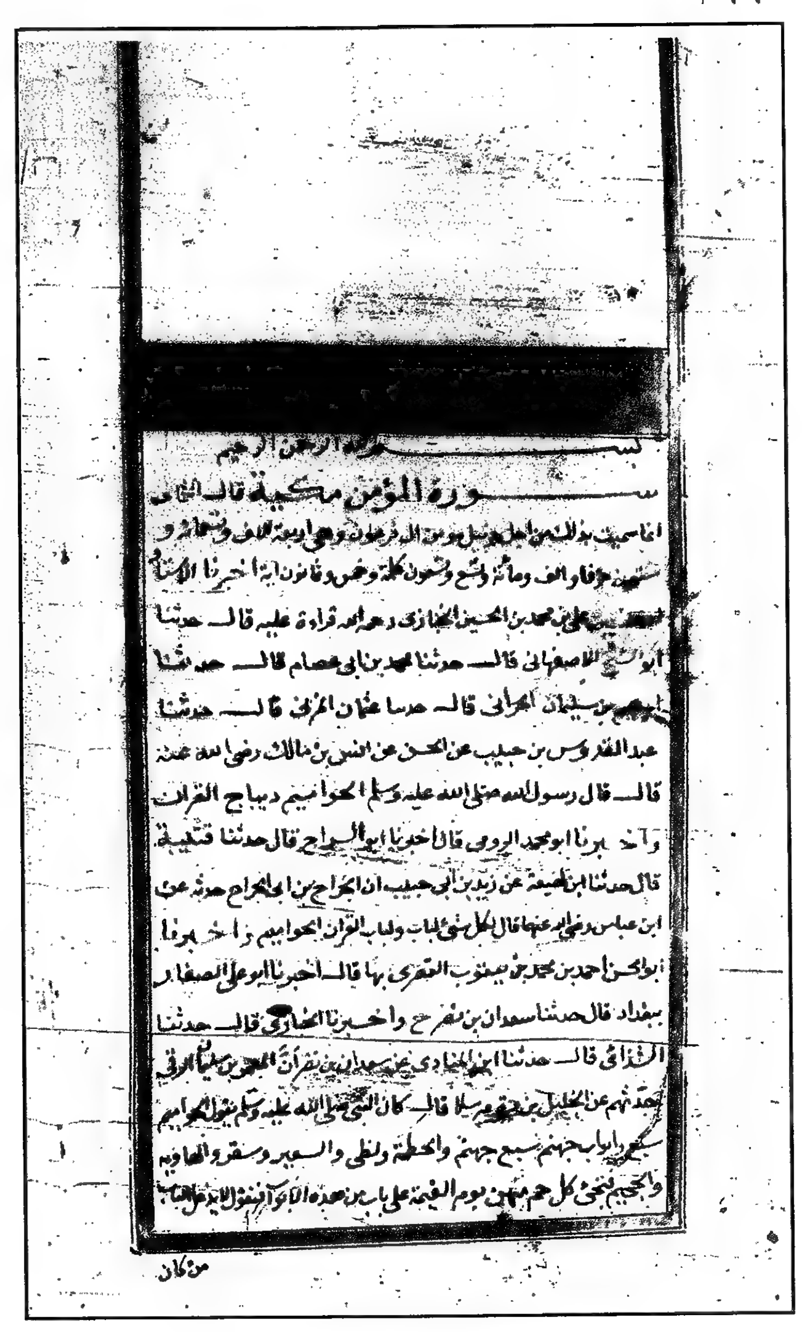
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا وهو

الجنة ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ

الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة

نصب على التمييز والقطع تقديره كبرت الكلمة كلمة تخرج من افواههم

بداية تفسير سورة الكهف من النسخة الثانية التركية



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمن مكية قال الثعلبي

انما سميت بالمؤمن لقول مؤمن آل فرعون وهي اربعة آلاف وتسعمائة و

ستون حرفا والف ومائة وتسع وتسعون كلمة وخمس وثمانون آية اخبرنا الاستاذ

... علي بن محمد بن الحسين الخبازي رحمه الله قراءة عليه قال حدثنا

ابو الشيخ الاصفهاني قال حدثنا احمد بن ابي عصام قال حدثنا

... بن سليمان الحراني قال حدثنا عثمان المزني قال حدثنا

عبد القدوس بن حبيب عن الحسن عن انس بن مالك رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحواميم ديباج القرآن

واخبرنا ابو محمد الرومي قال اخبرنا ابو السراج قال حدثنا قتيبة

قال حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ان الجراح بن ابي الجراح حدثه عن

ابن عباس رضي الله عنهما قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم واخبرنا

ابو الحسن احمد بن محمد بن يعقوب التميمي بها قال اخبرنا ابو علي الصفار

ببغداد قال حدثنا سعدان بن نصر ح واخبرنا الخبازي قال حدثنا

... قال حدثنا ابن المنادي عن سعدان بن نصر ان المعتمر بن سليمان الرقي

حدثهم عن الخليل بن مرة مرسلا قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الحواميم

سبع وابواب جهنم سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية

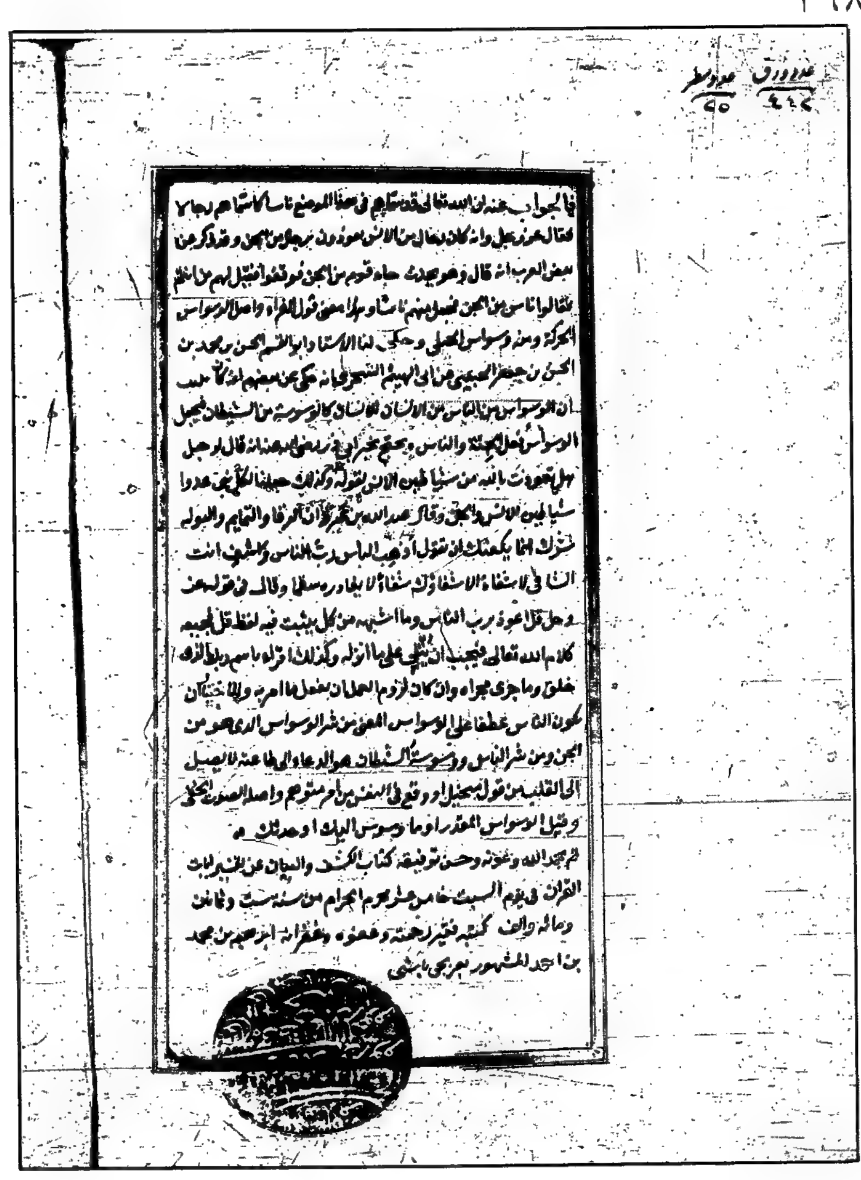
والجحيم تجيء كل حم منهن يوم القيمة على باب من هذه الابواب فتقول لا يدخل الباب

من كان

بداية تفسير سورة المؤمن (غافر)
من النسخة الثانية التركية



فهرس الجزء الرابع من النسخة الثانية التركية



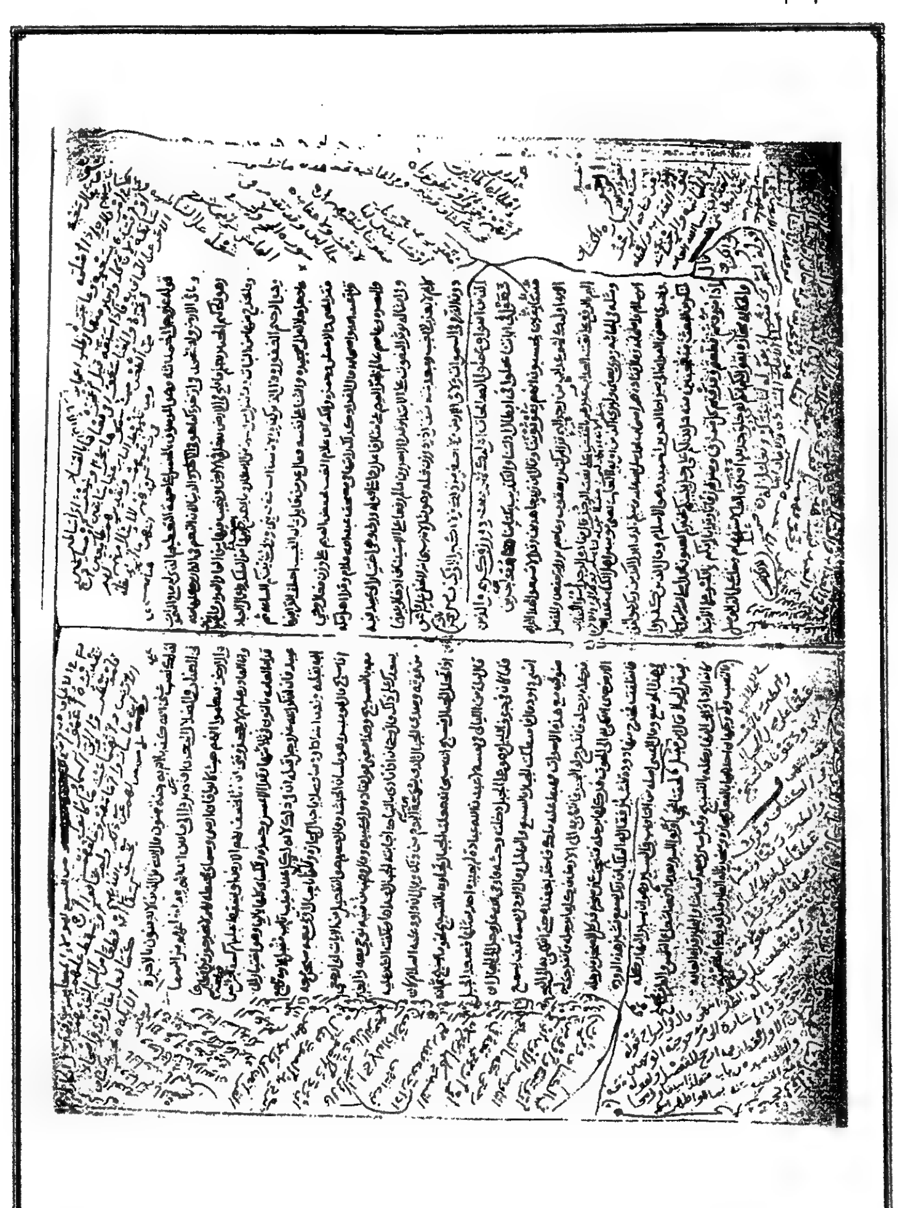
عدد ورق ٤٤٢ عدد سطر ٢٥

فإن الجواب عنه أن الله تعالى قد سماهم في هذا الموضع ناسا كما سماهم رجالا
فقال عز وجل وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن وقد ذكر عن
بعض العرب أنه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل لهم من أنتم
فقالوا أناس من الجن فجعل منهم ناسا وهذا معنى قول الفراء وأصل الوسواس
الحركة ومنه وسواس الحلي وحكى لنا الأستاذ أبو القسم الحسن بن محمد بن
الحسن بن جعفر الحبيبي عن أبي الهيثم السجزي أنه حكى عن بعضهم أنه كان يحسب
أن الوسواس من الناس من الإنسان للإنسان كالوسوسة من الشيطان فيجعل
الوسواس فاعل الجنة والناس ويحتج بخبر أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل
هل تعوذت بالله من شياطين الإنس بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الإنس والجن وقال عبد الله بن عمر لو أن القرقا والتمايم والبولي
شرك إنما يكفيك أن تقول أذهب البأس رب الناس واشف أنت
الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وقال في قوله عز
وجل قل أعوذ برب الناس وما أشبهه من كل ما يثبت فيه لفظ قل لجميع
كلام الله تعالى فيجب أن يتلى على ما أنزله وكذلك أنزله باسم ربك الذي
خلق وما جرى مجراه وإن كان لزوم العمل أن يفعل ما أمره ولا يحتاج أن
يكون الناس عطفا على الوسواس المعنى من شر الوسواس الذي هو من
الجن ومن شر الناس ووسوسة الشيطان هو الدعاء إلى طاعته بكلام خفي يصل
إلى القلب من قول متخيل أو وقع في النفس من أمر متوهم وأصل الصوت الخفي
وقيل الوسواس المعذر أو ما وسوس إليك أو حدثك م

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه كتاب الكشف والبيان عن تفسير آيات
القرآن في يوم السبت خامس عشر محرم الحرام من سنة ست وثمانين
ومائة وألف كتبه فقير رحمته وعفوه ومغفرته إبراهيم بن محمد
بن أحمد المشهور بمرزجي باشي

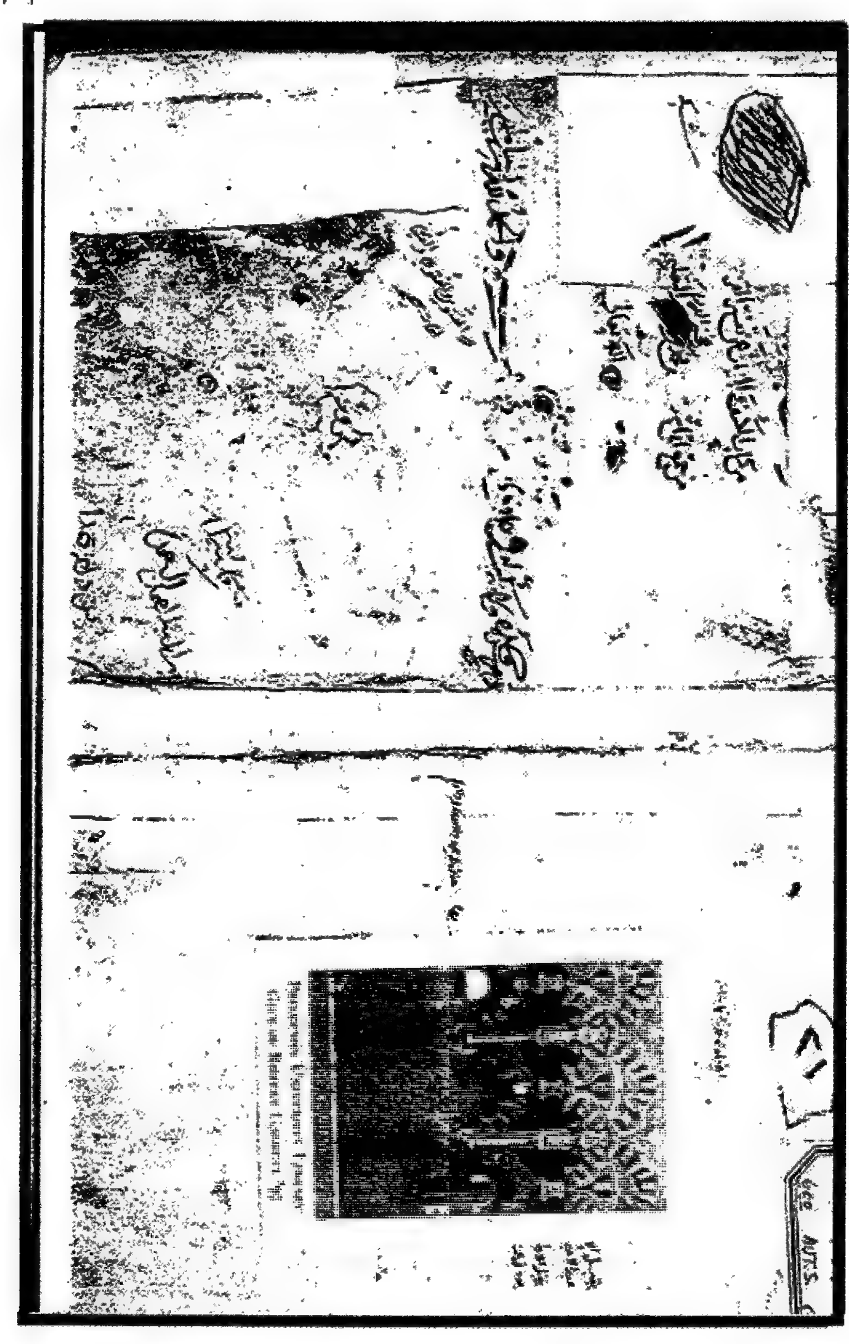
نهاية النسخة الثانية التركية

أول سورة الأحزاب من النسخة الثالثة



تعليقات وحواشي على لوحة

من النسخة الثالثة



ظهرية النسخة الرابعة جاريت يهودا



[illegible]

وبالله التوفيق والتسديد ٥

القـــراءات [illegible] عن ابن عباس

[illegible] والإمام والقدوة في علم الكتاب

وترجمان القرآن [illegible] دعا له رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين [illegible]

[illegible]

[illegible]

تفسير [illegible] ٥

أخبرنا أبو حامد أحمد بن الوليد بن أحمد الصوفي بقراءتي عليه

في داره سنة ثمان وأربع مائة قال أخبرنا أبو القسم سليمان

بن أحمد بن أيوب الطبراني قال حدثنا أبو محمد بكر بن سهل الدمياطي

قال أخبرنا عبد الغني بن سعيد الثقفي عن أبي محمد موسى بن عبد الرحمن

الصنعاني عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس

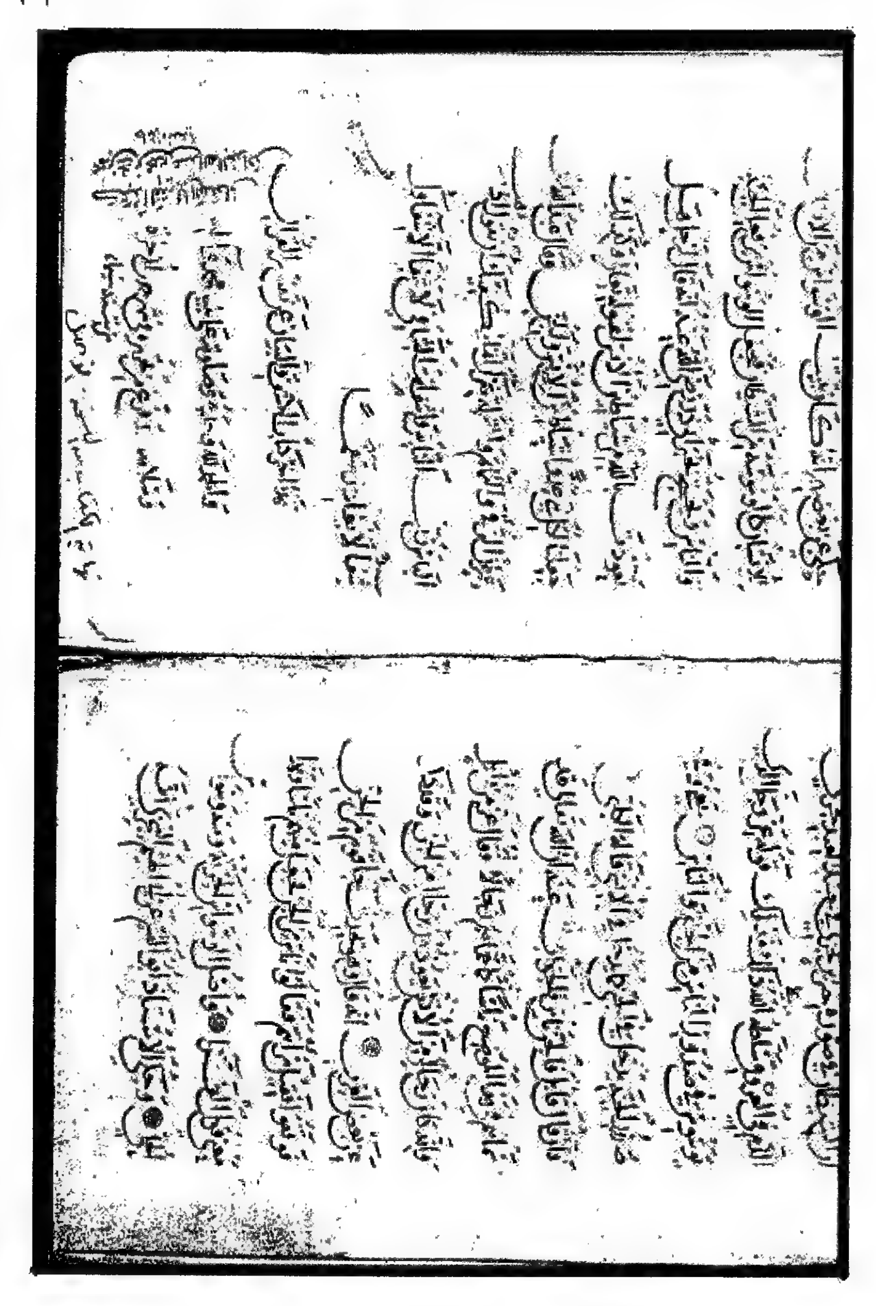
[illegible]

تفسير عكرمة ٥

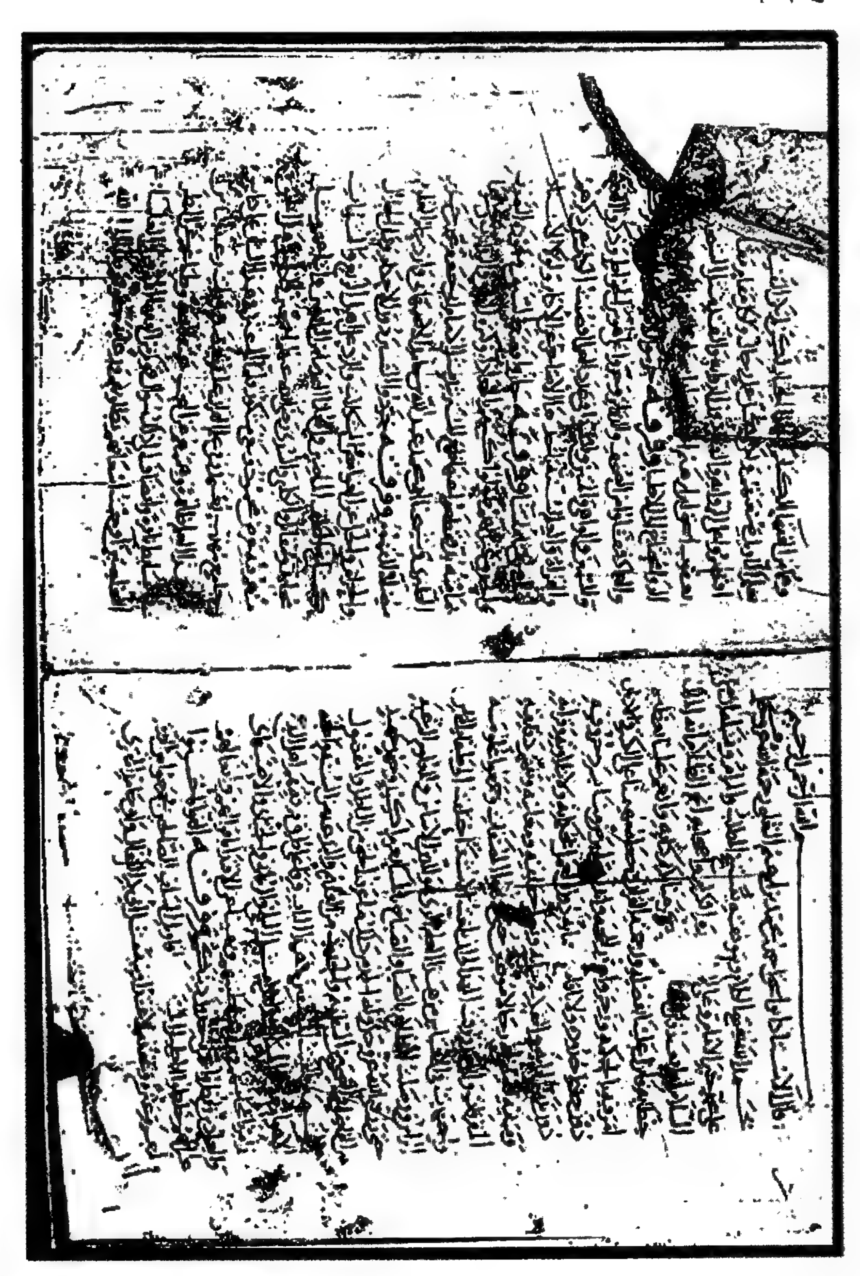
حدثنا أبو القسم الحسن بن محمد [illegible]

[illegible]

الورقة الأولى من النسخة الرابعة جاريت يهودا



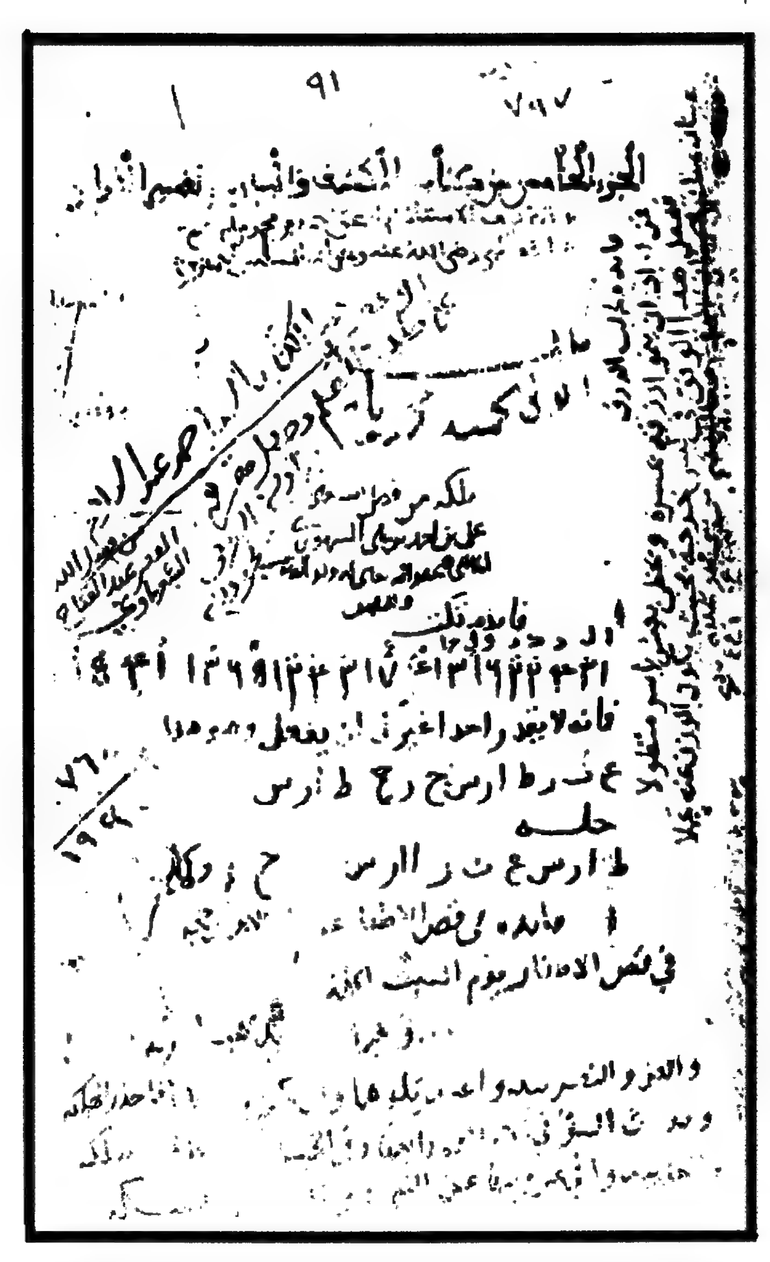
الورقة الأخيرة من النسخة الرابعة جاريت يهودا



الورقة الأولى من النسخة الخامسة شستربتي

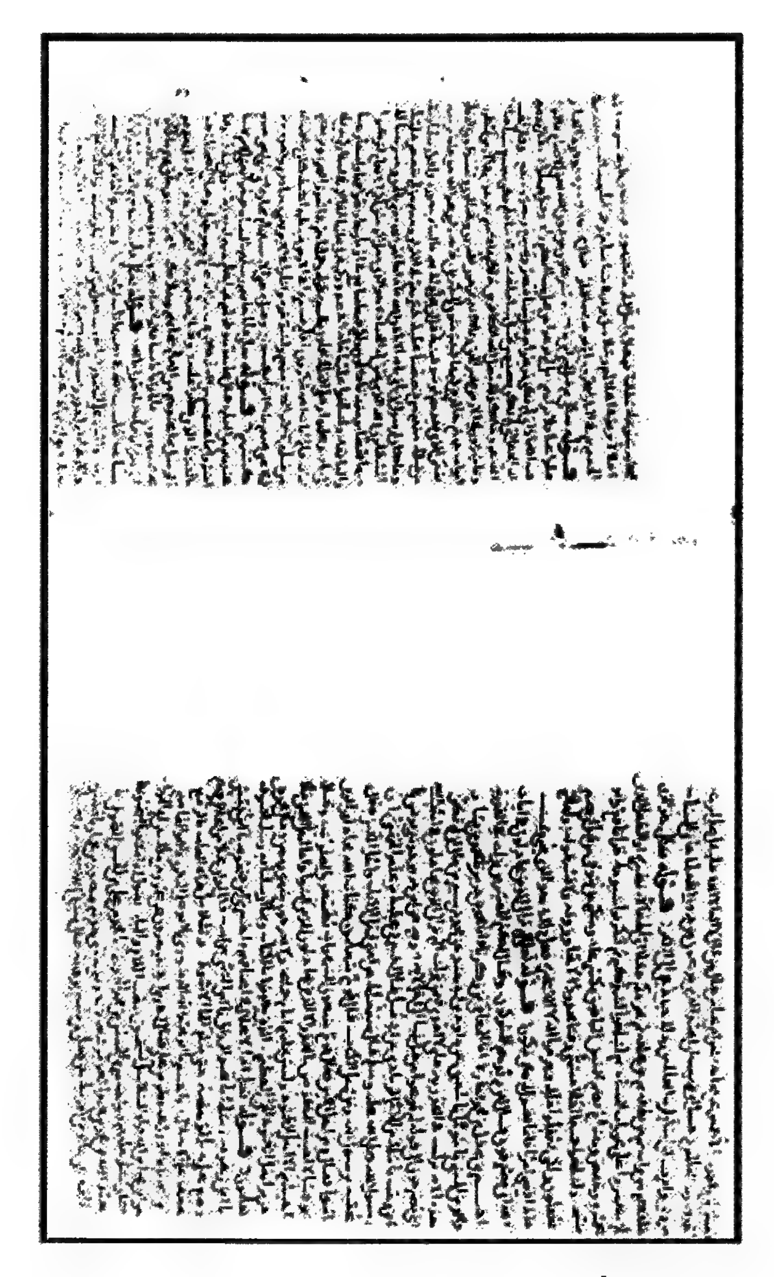


الورقة الأخيرة من النسخة الخامسة شستربتي

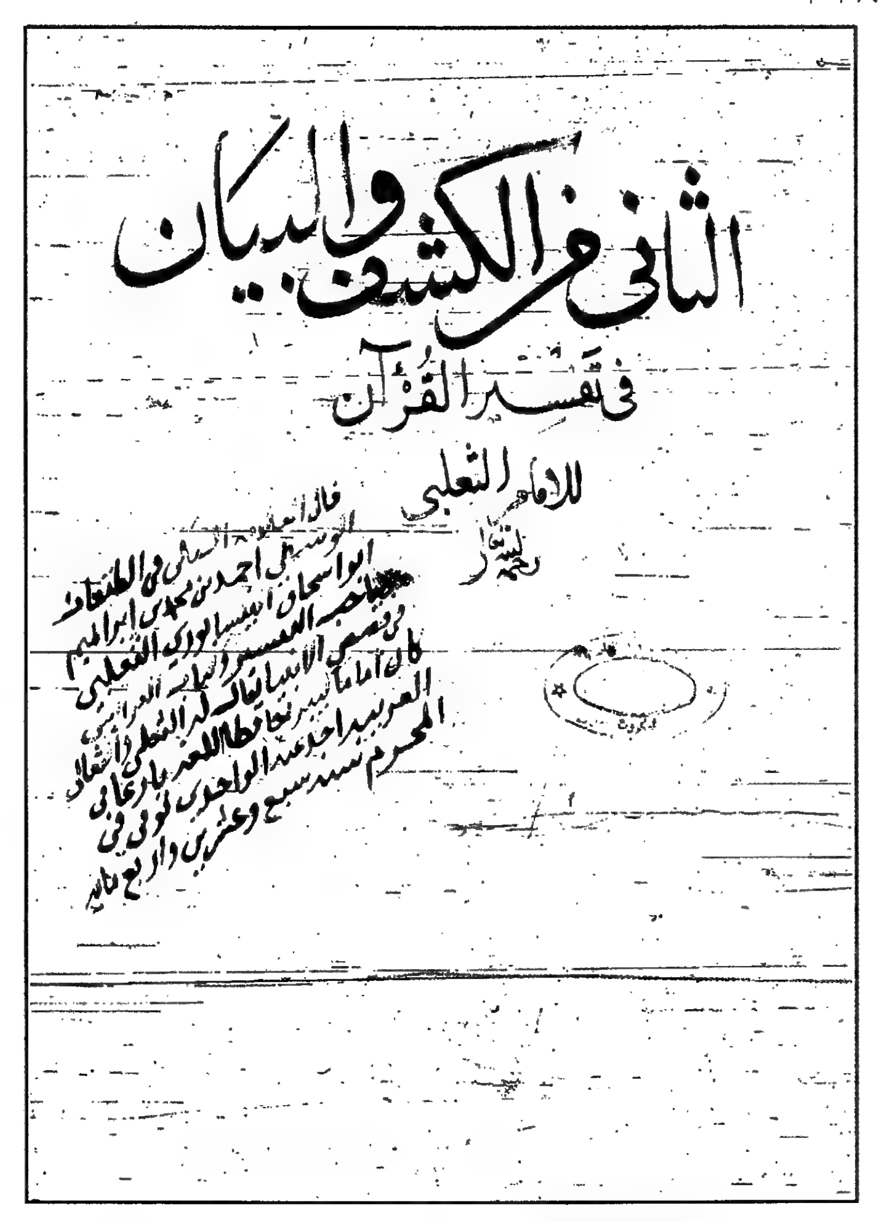


الجزء الخامس من كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن

غلاف النسخة السادسة دار الكتب المصرية

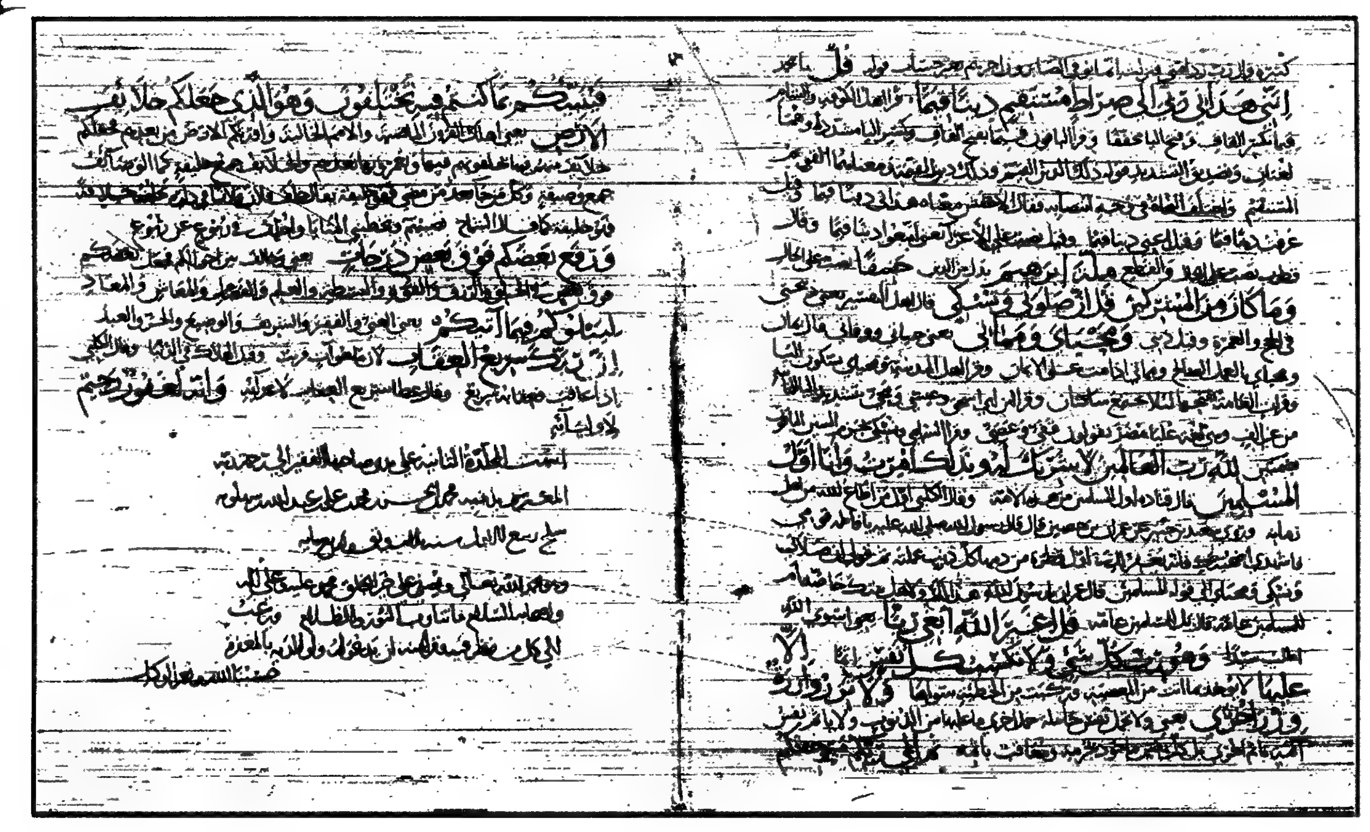


الورقة الأخيرة من النسخة السادسة دار الكتب المصرية



ظهرية المجلد الثاني من النسخة المغربية

الورقة الأولى من النسخة المغربية



[illegible] قُلْ يا محمد

إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا وقرأ أهل الكوفة والشام

قيما بكسر القاف وفتح الياء خفيفا وقرأ الباقون قيما بفتح القاف وكسر الياء مشددا وهما

لغتان [illegible]

المستقيم واختلف النحاة في وجه انتصابه فقال الأخفش معناه هداني دينا قيما [illegible]

[illegible]

[illegible] مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا [illegible]

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي [illegible]

[illegible] وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُسْلِمِينَ قال قتادة أول المسلمين من هذه الأمة وقال الكلبي أول من أطاع الله من أهل

زمانه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا [illegible]

[illegible] وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا

عَلَيْهَا [illegible] وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وِزْرَ أُخْرَى [illegible]

[illegible]

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ

الْأَرْضِ يعني أهلك القرون الماضية والأمم الخالية وأورثكم الأرض من بعدهم فجعلكم

خلائف [illegible]

[illegible]

[illegible]

وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ [illegible]

[illegible] والعلم [illegible]

لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ يعني الغني والفقير والشريف والوضيع والحر والعبد

إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ [illegible]

[illegible] وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

لأوليائه

انتهت المجلدة الثانية على يد صاحبها الفقير إلى رحمة ربه

[illegible]

[illegible]

وصلى الله تعالى [illegible] على خير الخلق محمد [illegible]

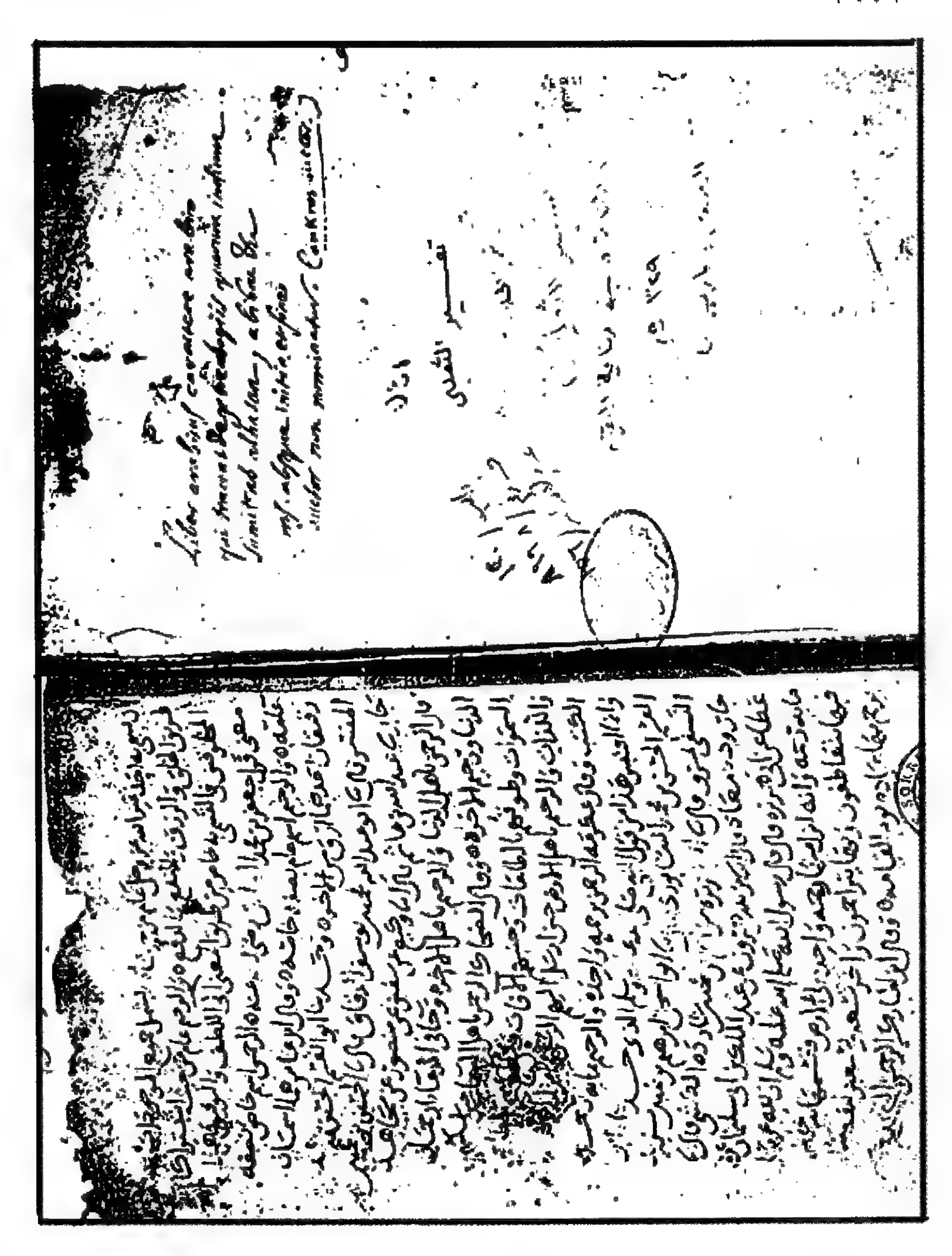
وأصحابه [illegible]

[illegible]

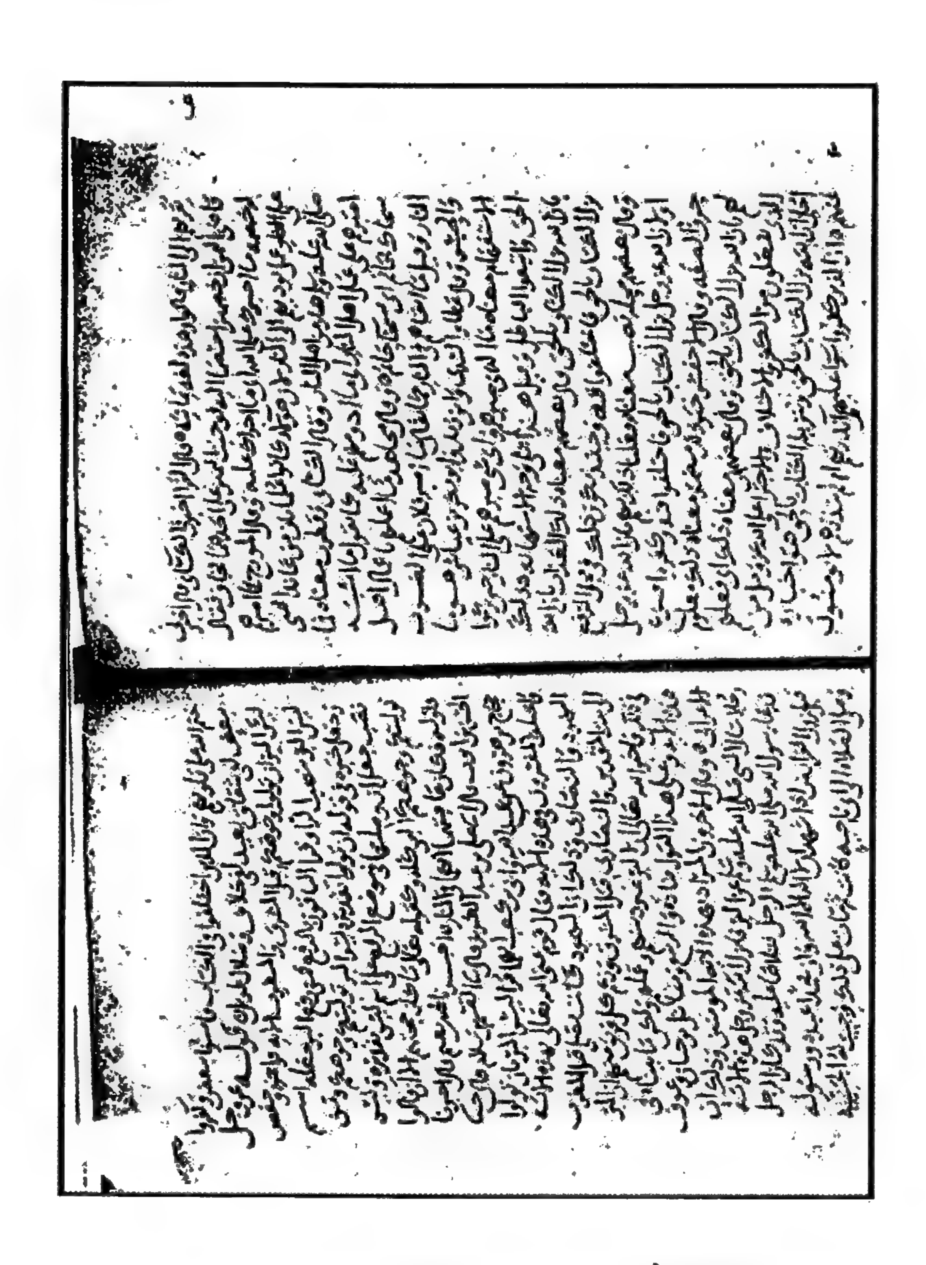
حسبنا الله ونعم الوكيل

نهاية المجلد الثاني من النسخة المغربية

أول سورة آل عمران في النسخة المغربية



الورقة الأولى من النسخة الثامنة الفرنسية



الورقة الأخيرة من النسخة الثامنة الفرنسية



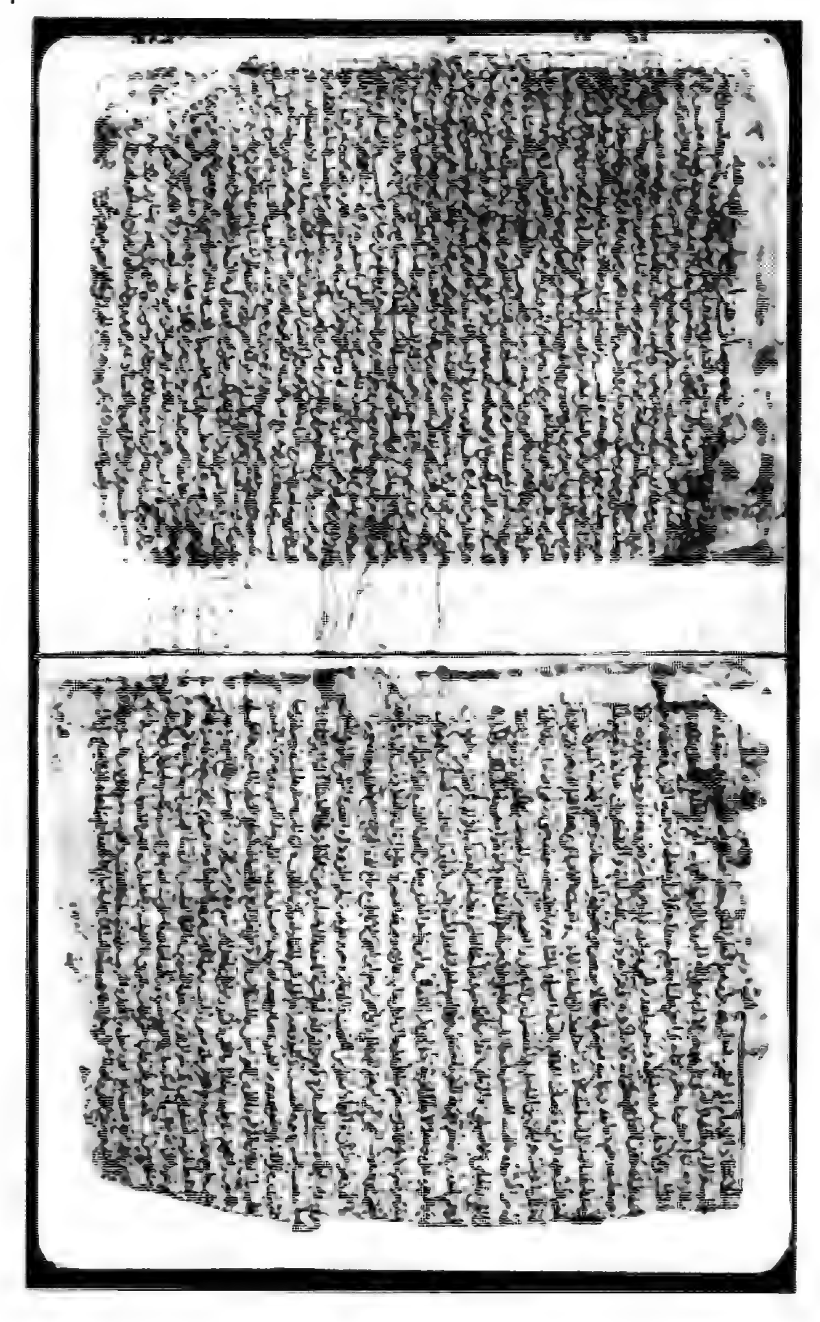
الورقة الأولى من النسخة التاسعة الأزهرية

هذا ه بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الكهف مكية وهي مائة وخمس آيات في المدنيين
والمكي وست في الشامي وعشر في الكوفي وفي البصري اختلفوا
في احدى عشرة آية من عدد ما كلهم عدوه زادوا ثم عدها لان الشامي وعد
المدني الاخير ما يعلمهم الا قليل وكلهم عد الى فاعل ذلك غدا الا المدني الا
خير وعد الكوفي والبصري والمدني الاخير والشامي بينهما زرعا وعدوا
من كل شي سببا وعد الكوفي والبصري والمدني الاول والمكي هذه ابدا وعد
الكوفي والبصري فاتبع سببا وكذلك ثم اتبع سببا وعد المكي والمدني الاول
والبصري والشامي عندها قوما وعد الكوفي والشامي والبصري بالاخسرين
اعمالا وعدد كلامها الف وخمسمائة وسبعة وسبعون كلمة وعدد حروفها
ستة الاف وثلثمائة وستون حرفا قال سمرة بن جندب قال النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا عشر آيات من سورة الكهف حفظ لم يضره فتنة
الدجال ومن قرا السورة كلها دخل الجنة وقال اسحاق بن عبد الله بن
ابي فروة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على سورة شيعها سبعون
الف ملك عظمها ما بين السماء والارض لتاليها مثل ذلك قالوا بلى يا رسول قال
سورة اصحاب الكهف من قراها يوم الجمعة غفر له الى الجمعة الاخرى وزيادة
ثلثة ايام واعطي نورا يبلغ السما ووقي فتنة الدجال قوله تعالى
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب يعني
القران ولم يجعل له عوجا قيما مجازا الاية الحمد لله الذي انزل على عبده
الكتاب قيما اي مستقيما قال ابن عباس عدلا وقال الفرا قائما على سائر
الكتب كلها ناسخا لشرائعها ولم يجعل له عوجا مختلفا ملتبسا لينذر بأسا
شديدا اي لينذركم بأسا شديدا اي عذابا اليما من لدنه اي من عند الله
قرا ابو بكر عن عاصم لدني باسكان الدال واشمامها الضم وكسر النون والها
موصولة بيا والباقون لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الها وهي
لغات ووقف حفص على قوله ولو وقفة خفيفة ثم يقول قيما
وكذلك في يس من مرقدنا ويقف ثم يبتدئ وعد الرحمن وفي
سورة القيمة عند قوله وقيل من فيقف شيئا ثم راق وبل الطففين
كلا بل فيقف ثم يقول ران على قلوبهم وانما وقف كذلك حوف الالتباس والباقون
بالوصل من غير وقف قوله ويبشر المؤمنين المصدقين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا حسنا وهي الجنة ماكثين دائمين فيها ابدا وخالدين وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح
ابن الله وقريش قالوا الملائكة بنات الله ما لهم بذلك من علم من صلة مجازه
ما لهم بذلك من علم ولا لابائهم كبرت كلمة نصب على التمييز والقطع تقديره كبرت

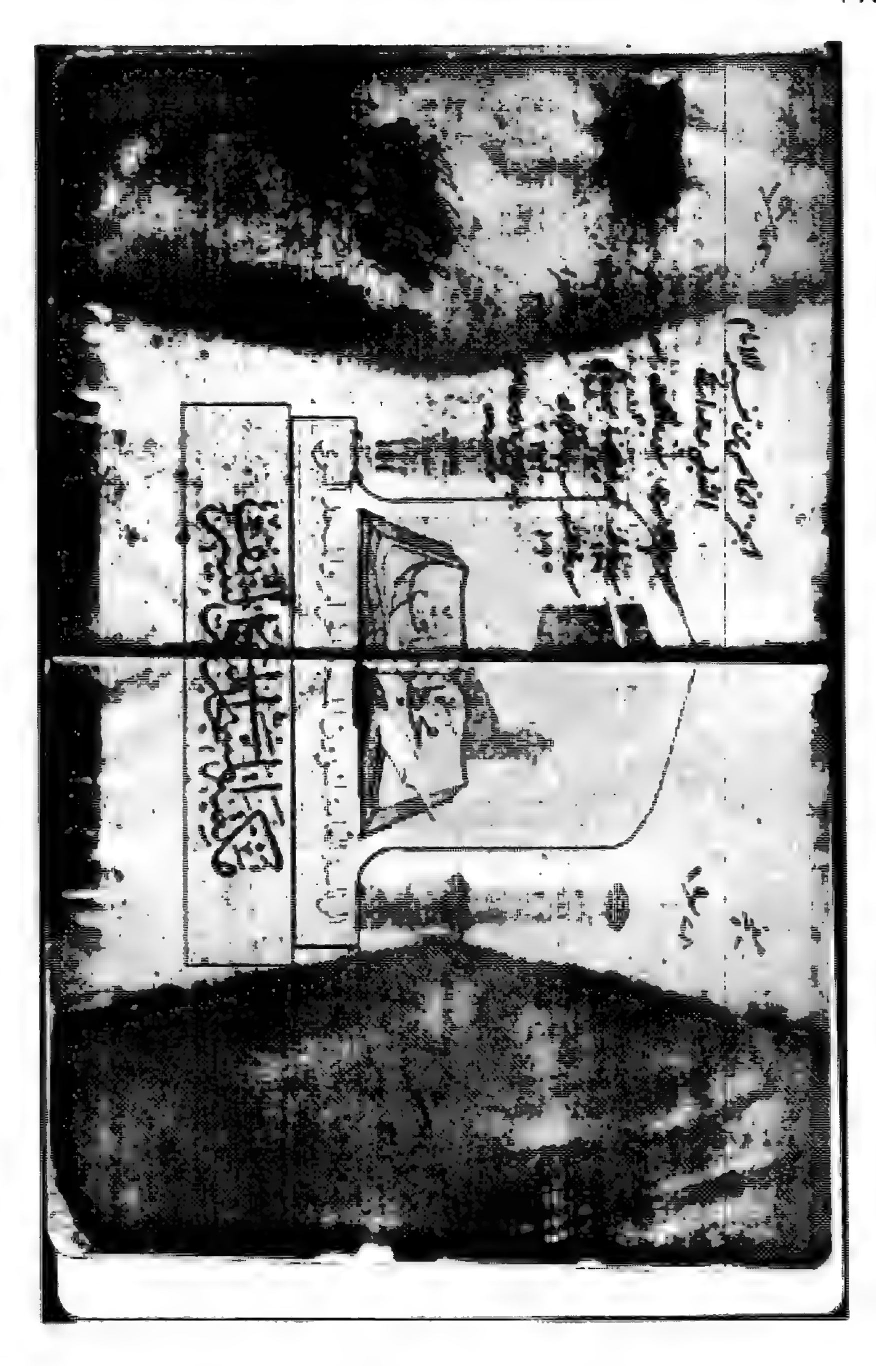
الورقة الأخيرة من النسخة التاسعة الأزهرية



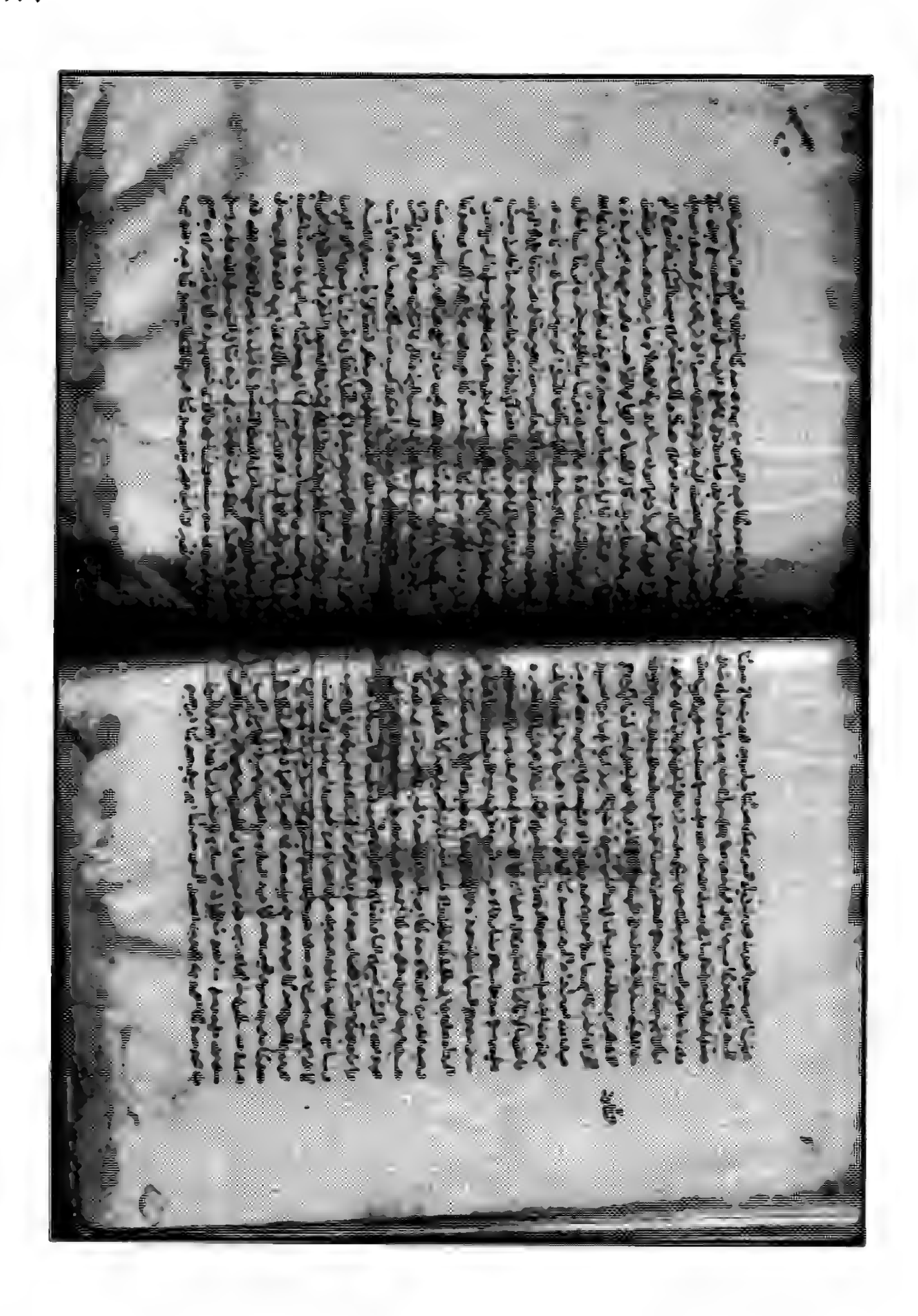
ظهرية الجزء الأول من النسخة العاشرة
المسجد النبوي



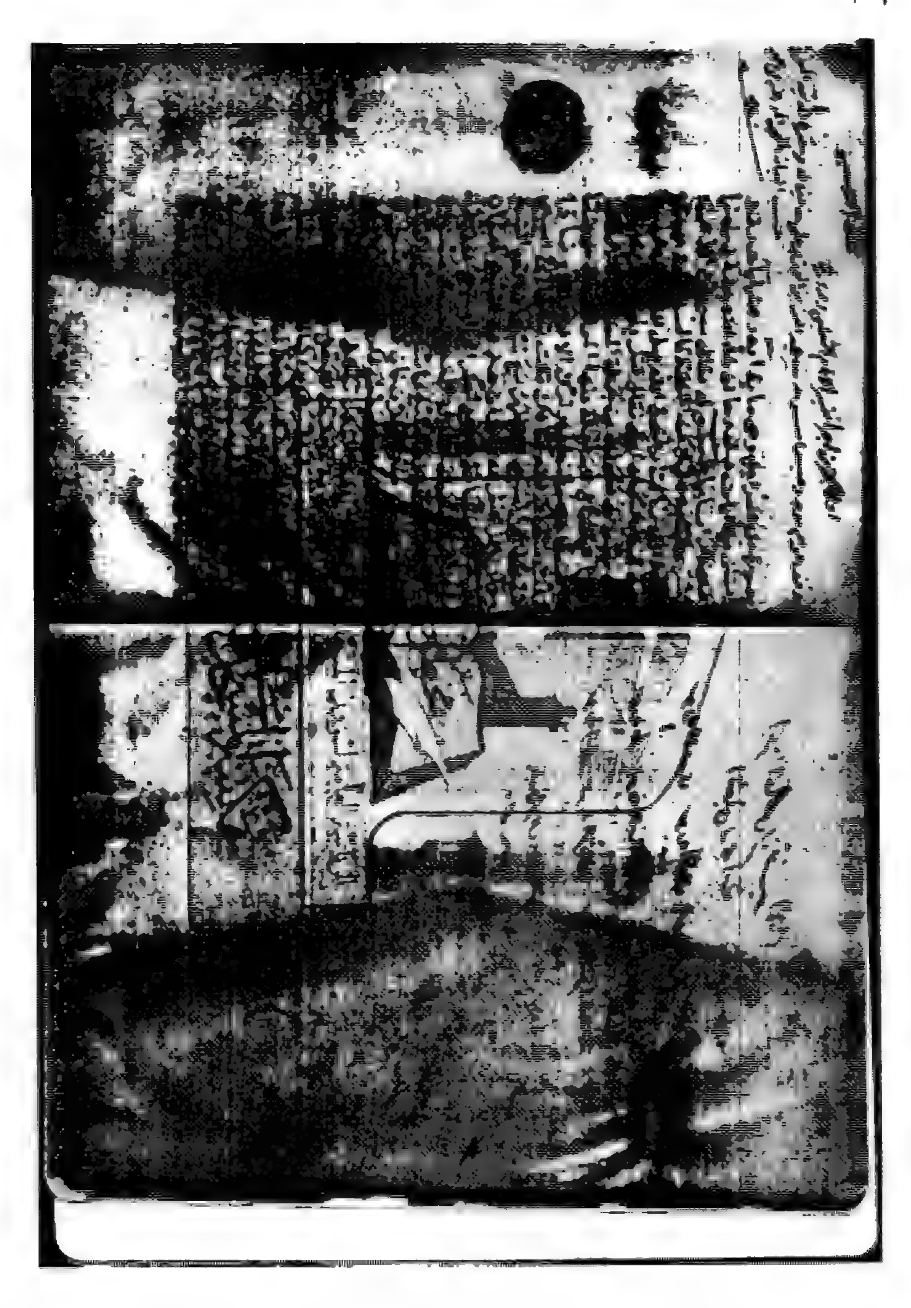
الورقة الأولى من النسخة العاشرة المسجد النبوي



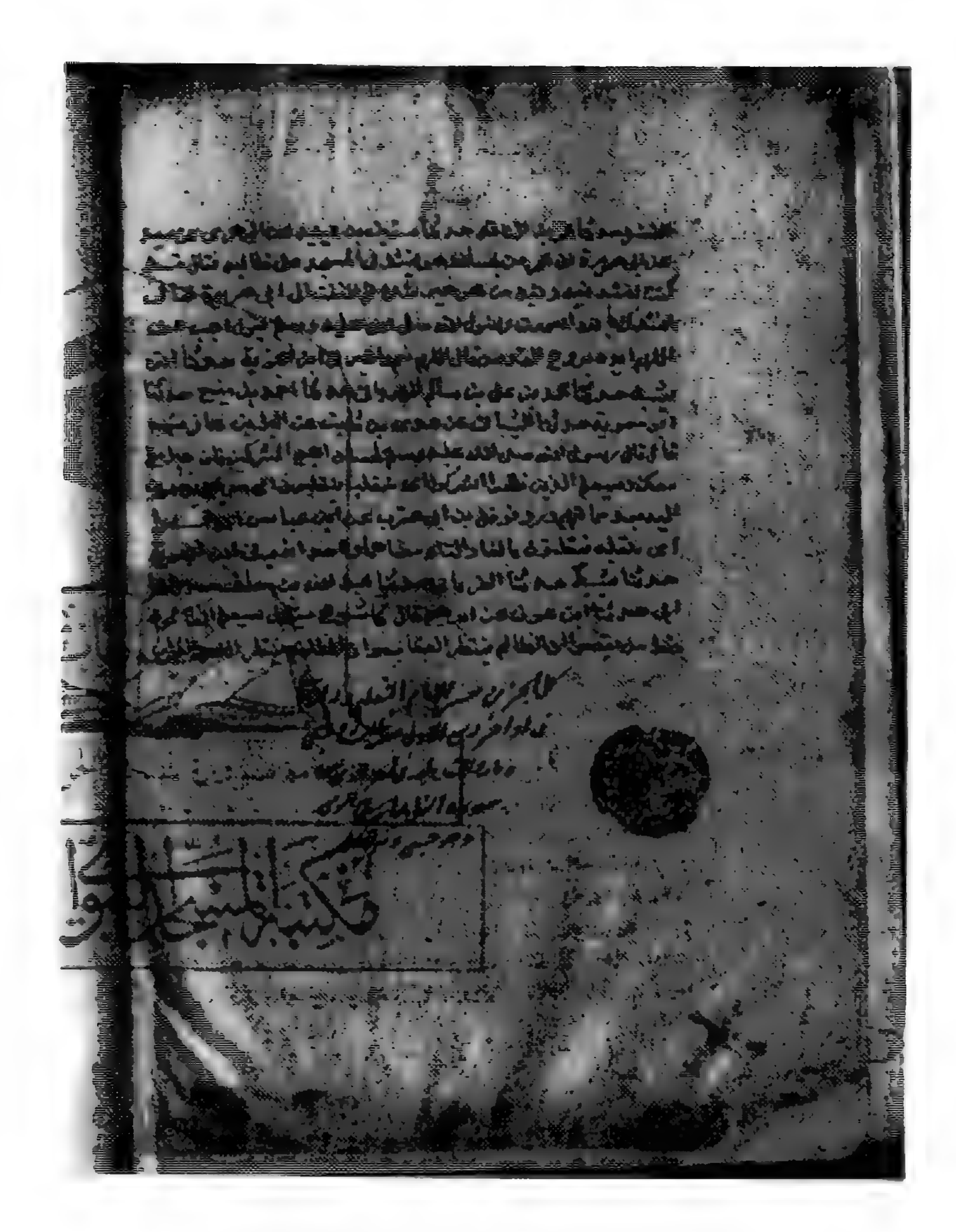
ظهرية الجزء الخامس من النسخة العاشرة المسجد النبوي



ورقة من النسخة العاشرة المسجد النبوي

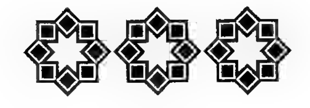


بداية تفسير سورة الإسراء من النسخة العاشرة المسجد النبوي



نهاية تفسير سورة الشعراء من النسخة العاشرة

المسجد النبوي



تقسيم مجلدات الكتاب

المجلد الأول

المجلد الثاني

٣٠ (٨٩) سورة الفجر ٢٨٧/٢٩

٣٠ (٩٠) سورة البلد ٣٧٥/٢٩

٣٠ (٩١) سورة الشمس ٤١٣/٢٩

٣٠ (٩٢) سورة الليل ٤٣٥/٢٩

٣٠ (٩٣) سورة الضحى ٤٦٣/٢٩

٣٠ (٩٤) سورة الشرح ٥٢١/٢٩

